مايو (أيار) ١٩٩٢ - ذو القعدة ١٤١٢

Reader's Digest

AL MUKHTAR min Reader's Digest May '92 N° 162

أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٤١ طبعة، ١٧ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا

ديزني الاوروبية

(ص ٧٦)

الولد من يفضّل الأب أم الأم؟

(ص ١٤)

٦ أيام في جحيم الكويت

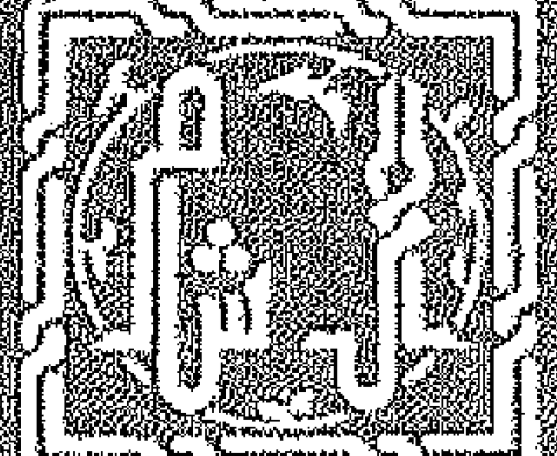
(ص ٣)

(ص ٣٣)

فندق الشام

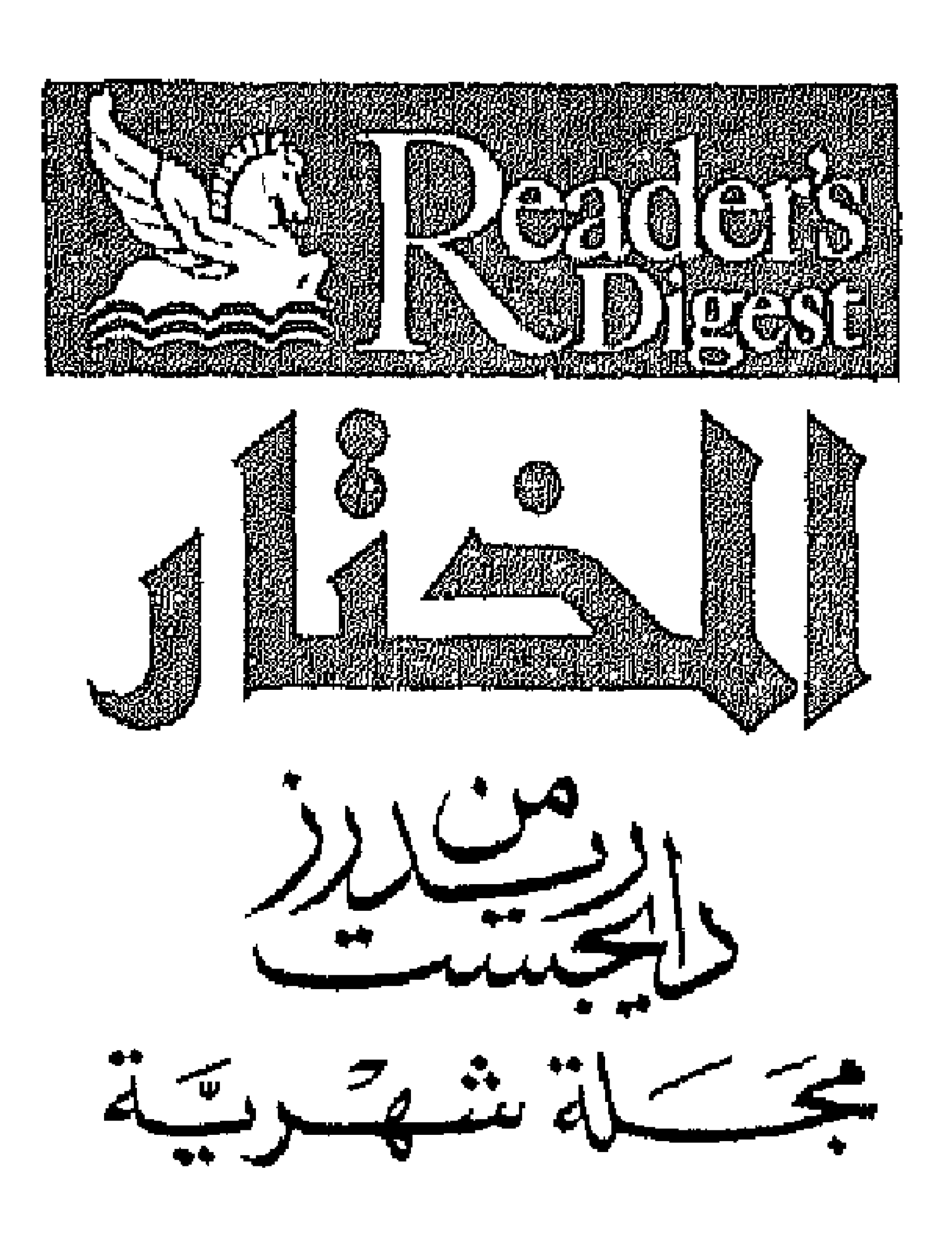
أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها ... صمم على أحدث طراز في ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك ... فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية ... ولاتنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها



للحجز : فندق الشام - ص . ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام
عراقة في التقاليد



رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
مديرة التحرير: راغدة حداد.
أمانة التحرير: لورا نفاع، عائدة الموسوي.
الاشتراكات: فريال علاف.
مدير القسم الفني: جورج غالي.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس.
الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت.
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.
التحرير والادارة: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.
التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE.
الهاتف: ٣٤١٥٩٧ / ٣٧٠٥٧٥(١).
الاعلانات: MEDIA LINKS INTERNATIONAL, S.A.R.L. العكاوي، بناية ميديا سنتر، الهاتف ٢١٦٠٥٨ – ٣٢٧٤٨٤(٠١). التلكس PRESSE LE ٤٣٢٨٣ فاكس ٨٦٤٥٧٢ – ص.ب ٦٨٨ – ١١ بيروت – لبنان.
التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية، البوشرية – لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest



© 1992 BY AN NAHAR P.I.S.A. LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN. INC.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Makdessi St., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.
Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE.
Tel. (1) 341597 / 370575.
Advertising: Media Links International, S.A.R.L. P.O. Box 11-688, Beirut, Lebanon. Telex 43283 PRESSE LE.
Fax (1) 864572. Tel. (1) 216058/327484.



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

لبنان .... ١٥٠٠ ليرة.
سورية .... ٧٥ ليرة.
الأردن .... ١ دينار.
الكويت .... ١ دينار.
الامارات العربية المتحدة ...... ١٠ دراهم.
قطر .... ١٠ ريالات.
البحرين .... ١ دينار.
السعودية .... ١٢ ريالاً.
مصر .... ٢ جنيه.
السودان .... ١ جنيه
ليبيا .... ٥٠٠ درهم.
الجمهورية اليمنية .... ٢٥ ريالا.
مسقط .... ١ ريال.
قبرص .... ١،٥ جنيه.
تونس .... ١ دينار.
المغرب .... ١٠ دراهم.
الجزائر .... ٧ دنانير.
انكلترا .... ١،٥ جنيه.
اليونان .... ٤٠٠ دراخما.
كندا وامريكا الشمالية .... ٢،٥ دولار.

ريدرز دايجست
المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.
الطبعات الدولية
رئيس التحرير: كنيث توملنسون.
مدير التحرير: كريستوفر ولكوكس. المدير العام: جورج ف. غرون.
تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والاسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) وفي الصينية والروسية والهنغارية والكورية والهندية، الى العربية. وهي تنشر ايضا في طبعة خاصة بحروف كبيرة، وفي طبعة بحروف بريل، وعلى اشرطة مسجلة.
حقوق النشر محفوظة لـ"المختار من ريدرز دايجست" بموجب اتفاق خاص مع شركة "ريدرز دايجست" في نيويورك، الولايات المتحدة. يحظر النقل من "المختار" او الترجمة او الاقتباس منها في اي شكل كان جزئيا او كليا، في العربية او في اي لغة اخرى، وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية. وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية.

May '92 N° 162 (New Series) Vol. 14

مع الحدث دائماً
قبل الحدث غالباً





36 RUE WASHINGTON 75008 PARIS FRANCE - TÉLÉPHONE (1) 45 63 58 25 - TÉLEX 648730 LINKS F TÉLÉFAX (1) 42 89 85 81

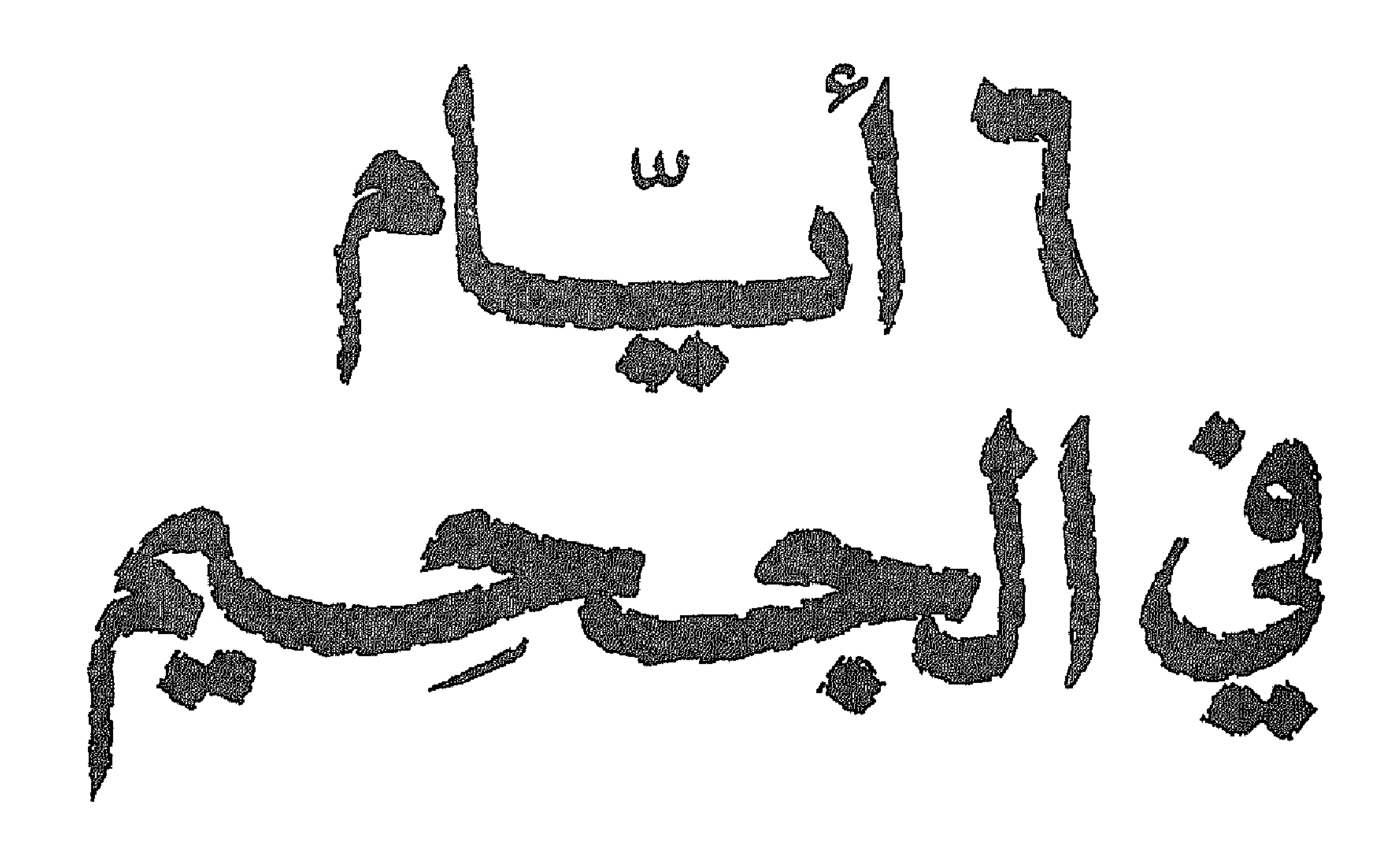
Reader's Digest

المختار

مايو (أيار) ١٩٩٢
ذو القعدة ١٤١٢

السنة الرابعة عشرة
سلسلة جديدة

مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر



تفاصيل إخماد بئر نفط مشتعلة في الكويت

لم يشهد التاريخ سوى القليل من مثل هذه الأعمال التدميرية. فمع فجر ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٩١، بعد أقل من أسبوع على وصول القوات البرية الامريكية والحليفة الى الخليج العربي، بدأ مهندسون عراقيون إشعال حقول النفط الكويتية المترامية. فانفجرت الصحراء وتحوّل نحو ٩٠ في المئة من آبار النفط الكويتية المنتجة مشاعلَ متّقدة تستهلك ستة ملايين برميل من النفط الخام يومياً وتلوث الاجواء امتداداً حتى جزر هاواي.

وفي أوائل مارس (آذار) بدأ اختصاصيون باخماد حرائق النفط، من ثماني دول، سباقهم مع الزمن لاطفاء هذه الحرائق الجحيمية، فأنهوا إخماد آخر بئر في ٦ نوفمبر (تشرين الثاني).

في الصفحات التالية قصة فريق من هؤلاء الخبراء.

PHOTOS: C.S. COMPOINT / SYGMA

حقل برقان لانتاج النفط.
٤ أغسطس (آب) ١٩٩١.

تمَّ الى الآن إخماد ٢٨٢ بئراً، أي أكثر من ثلث الآبار التي أُشعلت. الّا أن أحداً لا يحتفل بذلك. فالأخطر منها لا يزال يستدعي المواجهة..

غاري سيغو اطفائي في الاربعين من عمره، ملتحٍ، قوي البنية، يرئس فريقاً من ثلاثة رجال تابعين لمؤسسة "بوتس أند كوتس"[١] في هيوستن بولاية تكساس، وقد بدأ العمل في مكافحة حرائق الآبار الكويتية منذ أوائل ابريل (نيسان). وكان سيغو في الماضي انتشل بقايا جثتي رجلين التهمتهما النار بعدما انحرفت سيارتهما عن الطريق، وكل ما وجده آنذاك مجموعة عظام ساق على الدواسات وعمود فقري متفحم وجمجمة التحمت بنوابض المقعد الخلفي.

كانت ذكرى هذا المشهد المريع تلاحقه على الدوام، مع أنه عايش أخطاراً كهذه مثلما يعايش آخرون حيوانات أليفة. فقد كان، وهو مراهق، يركب ثيران البراهما في مباريات الروديو.[٢] ثم تطوع مظليا في الجيش. وخبر في حياته عدة مواقف خطرة لم تكن كلها على علاقة بعمله. وهو لا يزال يحمل ندباً مزرقّاً يحوط عنقه ولا ينفكّ يذكّره بعراك كاد يكلفه حياته. ويقول: "تلك كانت المعركة الوحيدة التي خسرتها."

لم تفقد مؤسسة "بوتس أند كوتس" أيا من رجالها طوال ربع قرن من العمل

---
(١) Boots & Coots



في إخماد حرائق حقول النفط في العالم، لكنها لم تواجه أوضاعاً كهذه من قبل. إذ كانت رياح بسرعة ٨٠ كيلومتراً في الساعة تنشر النيران العنيفة مثل مروحة لا تتوقف فيما وصلت الحرارة الى ٦٠ درجة مئوية. وقد قُتل الى ذلك الحين خمسة رجال رمّدتهم كُرات نارية ضخمة انطلقت على نحو غير متوقع من بحيرات نفط مشتعلة. ولم تكن الحرارة العدو الوحيد لهؤلاء الرجال، فقد عطلت فرق كنس الألغام البريطانية نحو ٧٠٠٠ طن من الألغام العراقية المزروعة في محيط الآبار، غير أن ألغاماً كثيرة أخرى لم تكن مكتشفة بعد.

مايك موريسون هو العضو الثاني في فريق سيغو. إنه اطفائي ابن ستة وعشرين عاماً، طويل القامة، قوي البنية، عمل قبلا مع سيغو في مكافحة تسربات عنيفة في بحر الشمال. وهو، ككثيرين غيره ممن أتوا الى الصحراء، أغوته الأخطار والأجور العالية. فقد قال لزوجته قبل أن يغادر الى الكويت: "إنها فرصة العمر."

ثالث أعضاء الفريق كان غلين هاربر ابن الثانية والستين الذي قضى سنوات من عمره تحت شمس حقول النفط القاسية في شرق تكساس فتخشب وجهه وتشققت يداه.

قاربت الحرارة ٤٠ درجة مئوية عند الفجر حين انطلق الرجال للتعرف الى البئر "ب ج ٣٦٠" التي سيباشرون اخمادها. وكان لهب الآبار المشتعلة يتطاول الى الافق. وأدرك سيغو أن الموت هناك هو أشبه بسكنى الجحيم.

لم يكن أي منهم يحتاج الى اشارة توجيه ليعرف موقع البئر "ب ج ٣٦٠"، فقد استطاعوا ان يروا من مسافة كيلومترات سحب الدخان الهائلة المنبعثة من بحر اللهب. وكان شريط مخطَّط يحدد المنطقة النظيفة من الألغام حول البئر، وخلفه البقعة الخطرة.

توزع أفراد الفريق لاستطلاع محيط المنطقة، وكان سيغو يدور حولها على أمل أن يلمح رأس البئر في بؤرة النار لكي يتمكن من وضع خطة الهجوم. فحرائق آبار النفط لا يشبه أحدها الآخر أبداً. أبسطها تلك التي تندفع عالياً كنافورة وأسوأها تلك التي تندلع من دون وجهة.

أخذ سيغو يتلمّس طريقه بحثا عن مصدر اللهب. وكان يختفي مراراً عن الأنظار ليعود ويظهر بعد لحظات، شكلاً بالغ الصغر في مواجهة غيوم سوداء كثيفة. كان سيغو يسمع البئر "ب ج ٣٦٠" تهدر كقطار شحن، ويحسّ من خلال نعل جزمته حرارة حقل النار الملتهب والحرائق الأرضية المحيطة به.

لقد فجرت العبوات العراقية الموضوعة بعناية خبير مجمَّعة غطاء البئر والصمّامات التي تضبط الدفق والضغط في البئر، فغدا ما يراه سيغو أشبه ببركان. فثمة هضبة صغيرة من الكوك (رماد النفط الخام الجامد) ترتفع حوالى ستة أمتار فوق رأس البئر، وقد تكونت بفعل حرارة تجاوزت ٢٢٠٠ درجة مئوية،



أي ما يعادل نصف حرارة الشمس تقريباً. كانت القشرة تنبض كأنها حيّة فيما انطلقت من محيطها نوافير من اللهب الابيض (بفعل الحرارة) كما اللهب المنبثق من ثقوب رأس موقد غاز.

لاخماد حريق البئر "ب ج ٣٦٠" واغلاقها، سيضطر أفراد فريق سيغو الى إزالة الغلاف الفحمي المتكون حول رأس البئر، فيواجهون عندئذ احتمال تحول قوة النار كلها في اتجاههم مثل قاذفة لهب عملاقة، ولن يكون أمامهم عندئذ سبيل للنجاة.

حدق سيغو طويلا الى النار، وكانت أطراف أذنيه بدأت تتقرح.

٥ أغسطس (آب). في السابعة صباحاً جمع سيغو فرقته في موقع البئر، وكانت تضم الى موريسون وهاربر مشغّلي معدات ثقيلة وخبراء في حقول نفط الشرق الاوسط وفريق اسعاف لمعالجة الانهاك الحراري والصدمات والحروق. كان على كل رجل في الفرقة أن يشرب ١١ ليتراً من الماء المجلد خلال النوبة الواحدة والا قتله نقص الماء في جسمه بسبب الحرارة الشديدة.

وعلى بعد ١٨٠ متراً عن البئر، في عكس اتجاه الريح، كانت حفرة كبيرة ملئت خلال الليل الفائت بحوالى ١٩٠ ألف ليتر من مياه البحر المنقولة من الخليج العربي على بعد ١٥ كيلومتراً، وأقيمت عليها مضختان ضخمتان تستطيعان مدّ الفريق بثلاثين ألف ليتر من الماء في الدقيقة.

في الحادية عشرة صباحاً بات سيغو جاهزاً لمهاجمة الحريق. وهو أقام ثلاثة "مراقيب" (خراطيم مياه متحركة ذوات فوهات يمكن تعديل اتجاهاتها) في موقع معاكس لوجهة الريح على طرف حقول

القطران المشتعلة التي تسد الطريق الى هضبة الكوك. وتولى أعضاء الفرقة تشغيل الخراطيم، تحميهم من وهج النار أكواخ من التنك المغلفن (المطلي بالزنك).

صوّب سيغو خرطومه نحو أكثف النيران فيما رفع موريسون وهاربر خرطوميهما الى مسار أعلى لاغراق مساحة أكبر. فكانوا كمن يحاول اطفاء نار هشيم بدلو ماء.

تصاعد الدخان بفعل المياه المتدفقة من الخراطيم على نحو أكثف وأشد سواداً مما حجب الرؤية عن الرجال في غالب الاحيان، مع أن أكواخ الحماية كانت على مسافة أمتار قليلة بعضها من بعض. كان التنفس صعباً، وبدت عيون الرجال، حين كانوا ينزعون نظارات السلامة، بيضاء في وجوه مسودّة.

كان هذا الحريق هو الأشد حرارة بين الحرائق التي كافحها هاربر في حياته. وهو لاحظ على الأرض قطعة خشب تنفجر مشتعلة في لحظة كأنها عود ثقاب.

في أولى ساعات بعد الظهر تمّ فتح ممر ضيق الى رأس البئر عبر النيران الأرضية. ومع ذلك بقيت واجهة اللهب قريبة على نحو خطر، مما اضطرّ الفرقة الى العمل ساعتين اضافيتين لتوسيع الممر بواسطة رمل خشن يتحمل الشاحنات الثقيلة والجرارات.

قال سيغو لرجاله: "أعتقد أننا نستطيع الاقتراب بحيث نتمكن من ازالة بعض ذلك الكوك."

وضع سيغو نظارتي سلامة على عينيه وقناعاً من القماش المقاوم للنار على وجهه، وتسلق عربة رُبطت الى جرار قوي من طراز "د ٨." كانت العربة زُودت سلاسل أعرض من المعتاد وذراعاً طولها ٢٠ متراً مجهزة بأداة تشبه المدمّة.[٣] تكوّم سيغو تحت مقعد السائق خلف الدرع الواقية من الحرارة واستخدم اشارات اليدين ليوجه سائق الجرار الى مقربة من البئر. وعندما وصلا الى الموقع المناسب خفض ذراعه، فأنزل السائق المدمّة حتى لامست أسنانها هضبة الكوك. فبدأت المخالب تنقبض محاولة الامساك بقطع من الكوك، ثم ترتد، لكنها لم تستطع إزالة نثرة واحدة. وبعد حين ارتخت المدمّة وراحت تترجح من دون ضابط. لقد قُلعت ذراع الربط.

ويستغرق إبدال المدمّة ساعات، لذا أعلن سيغو نهاية العمل لذاك النهار. فقد أمضى رجاله عشر ساعات في الاتون ولم يحققوا إلّا القليل.

٦ **أغسطس (آب)**. أبدل سيغو المدمّة المعطوبة بخطاف من الفولاذ المطرّق. أزيلت في البداية شرائح ضخمة من الكوك المتوهج، لكن الذراع تهاون وهضبة الكوك لم تنقص سوى بضعة أمتار، اذ لم يتحمل المعدن الضغط المتواصل في درجات الحرارة تلك.

٧ **أغسطس (آب)**. بدأت النيران الارضية تنحسر أخيراً. فتمكنت الفرقة

في أربع ساعات من ازالة قطع كبيرة من الخَبَث[٤] عن الهضبة. ومع ذلك بقي رأس البئر مطموراً على عمق خمسة أمتار تحت القشرة. لقد مضت ثلاثة أيام، وما زال الرجال عاجزين عن تحقيق أي انجاز.

وصل جايمس تابين المشرف لدى مؤسسة "بوتس أند كوتس" ليشهد حدوث عطل جديد في المعدات. فثار سيغو وشتم اذ واجه تأخيراً إضافياً.

إلا أن جايمس حمل أخباراً لاقت ترحيباً. فهو أعلن أن فرقة من مهندسي الجيش الامريكي ستأتي بدبابة من طراز إم ٦٠ معدّلة لنسف الهضبة. وسيوفر ذلك أياماً من العمل ويخفف المخاطر عن الجميع.

٨ أغسطس (آب). وصلت الدبابة في السابعة صباحاً وأوقفها طاقمها في موقع يبعد ٧٠٠ متر عن "ب ج ٣٦٠." ثم شغّل جهاز الليزر لتحديد المدى قبل أن تُحشى قذيفة شديدة الانفجار في مؤخر مدفع الدبابة. لكن أحدهم انتبه في اللحظة الأخيرة الى أن القذيفة قد تنبو عن سطح الهضبة وتصيب محطة لضخ النفط والغاز على بعد ٨٠٠ متر، فألغيت المهمة.

عندئذ قرر سيغو استخدام جرار من نوع آخر مجهز بذراع ذات مفاصل مما يؤمن تحكماً ودقة أفضل. غير أن السائق سيضطر الى العمل على مسافة أربعة أمتار من النار، أي على حدود السلامة الدنيا.

تطوع مايك موريسون للمهمة، فقال له سيغو: "سأوجه أحد الخراطيم ليرش الماء بينك وبين النار، فيما يرش خرطوم آخر مقصورة القيادة. وسأعطيك اشارة اذا رأيت أن سوءاً ما قد يحصل. لذا عليك أن تبقى متيقظاً."

أومأ موريسون موافقاً وتسلق الى مقعد السائق، ثم مدّ ذراع الآلة زاحفاً في اتجاه الكومة. وبدأت المدمّة تجرف كميات من الكوك. عمل موريسون لمدة ساعة تخللتها فترات راحة كل عشر دقائق. ثم لاحظ كتلة كبيرة من الكوك على وشك أن تفلت من الكومة، فمد الذراع وأمسك بها وراح يهزها. فانفجرت الكتلة بقوة مدمّرة مطلقة نافورة من اللهب في اتجاه الجرار. وفي ثوان معدودة اختفى موريسون داخل الاتون.

عدّل سيغو اتجاه خرطومه عن هضبة الكوك باهتياج شديد، وأطلق سيل الماء على المكان الذي رأى فيه موريسون للمرة الاخيرة، فيما انطلق المساعد الطبي كن سبرين في اتجاه البئر. فجأة، ظهر موريسون مرجعاً الجرار الى خلف. وكان جانب كامل من الجرار اسودّ بفعل النار، لكنّ موريسون نجا بأعجوبة من دون أن يصاب بخدش.

أعلن موريسون بهدوء الواثق من نفسه: "أعتقد أننا نعرف الآن مصدر اللهب." ورأى سيغو على وجهه ابتسامة يعرفها جيداً. انها النشوة التي تأتي من التحايل على الموت.

أعاد سيغو وضع نظارتي السلامة

والقناع الواقي ثم انزلق تحت اللهب وراح يمشي محدودباً نحو البئر. لقد كشف موريسون رأس البئر، وصار في امكان سيغو أن ينظر الى فوهتها ويرسم خطة لاخمادها.

تلك الليلة استغرق في نوم هانىء للمرة الاولى منذ خمسة أيام.

٩ **أغسطس (آب).** يمكن اغراق معظم التسربات المتفجرة في آبار النفط بسيل من الماء. لكن سيغو قرر، بسبب الضغط الهائل والاتون الجحيمي الثائر في البئر "ب ج ٣٦٠"، أن ينسف رأس البئر بالديناميت، مفترضاً أن الانفجار سيمتص الاوكسيجين من الهواء ويخنق النار.

غير أن ثمة إشكالاً يحمل في طياته خطراً مميتاً يجب أن يؤخذ في الاعتبار. فهناك شبكة من خطوط أنابيب الغاز المسال (تحت ضغط عال) مدفونة في مكان ما في المنطقة ولا يستطيع أحد تحديد موقعها بالضبط، لأن العراقيين كانوا أتلفوا، أو نقلوا، معظم خرائط حقول النفط. وسيتحول المكان محرقة في حال تمزق خط واحد.

كان ادوارد "كوتس" ماثيوز (٦٨ عاماً) وصل الى الموقع للاشراف على عملية التفجير. وهو وشريكه أسغر "بوتس" هانسن من أصحاب الملايين، لكنهما يصران على العمل مع رجالهما ومشاركتهم في المخاطر.

ويعتبر ماثيوز فناناً في استخدام الديناميت. وهو بدأ يتفحص كل إصبع بحثاً عن قطرات "عَرَق" ناجمة عن تكثف الرطوبة، وهي دليل على أن المتفجر عتيق وغير مستقر. ثم قال وفي صوته نبرة تشاؤم: "سيكون هذا انفجاراً جهنمياً."

فردّ سيغو: "ستكون نار جهنمية."

رتّب سيغو أصابع الديناميت صفوفاً داخل برميل فولاذي سعة ٢٠٠ ليتر، ووسّدها بالرمل. بعد ذلك لُفّت الحاوية بقماش الاسبستوس° وعُلقت في ذراع العربة ليتسنى وضعها فوق رأس البئر.

انتقى سيغو السائق بنفسه، وهو رجل سبق أن عمل في تفجير حرائق كهذه، مؤكداً لماثيوز: "إنه يستطيع إطعام طفل بواسطة هذه الآلة."

وفيما ماثيوز يعمل على وصل صاعق التفجير، أحس سيغو وخز الرمل على وجهه، اذ عنفت الريح الصحراوية الحارة فجأة الى حدود العاصفة. فالتفت سيغو الى ماثيوز قلقاً، فالديناميت متى وصل بالصاعق يصبح شديد الحساسية، وقد تفجره شحنة كهربائية ساكنة ناتجة من احتكاك الرمل بالهواء.

قال ماثيوز: "فلننته من الامر!"

أشار سيغو الى مشغّل الذراع، وجثم خلف الدرع الواقية من الحرارة داخل العربة. فتحركت الآلة العملاقة ببطء الى الأمام ثم توقفت وأنزلت الذراع برفق وبدقة متناهية حتى صار برميل الديناميت معلقاً فوق رأس البئر مباشرة.

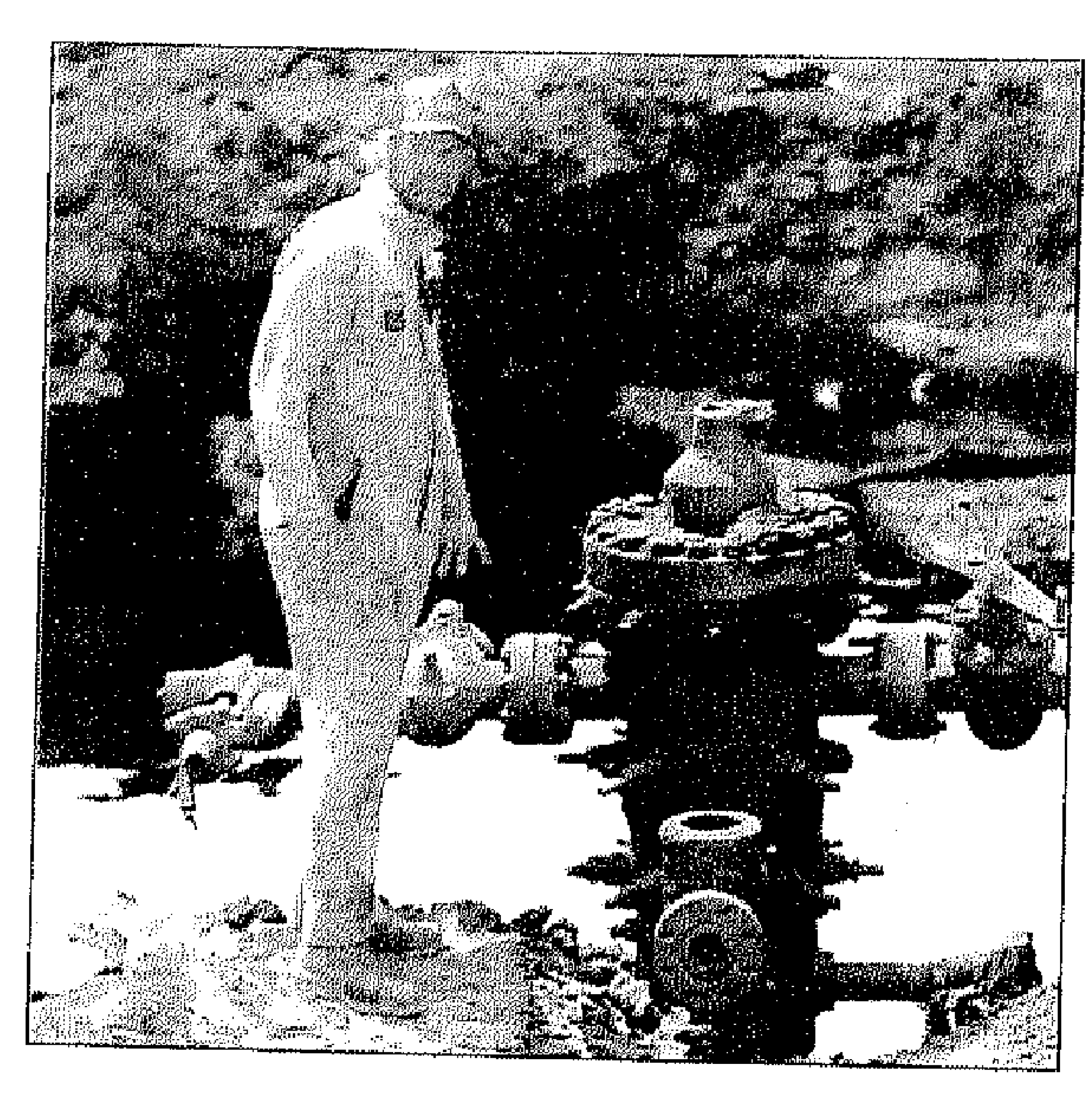
حينئذ هتف سيغو: "هيا! لنخرج من هنا!"

قفز الرجلان وركضا ليحتميا خلف جرافة متوقفة على مسافة ٥٠ متراً. كان ماثيوز هناك يمسك بسلكين قرب طرفي بطارية سيارة. ولما تأكد له أن الجميع بمأمن لامس الاسلاك بمخارج البطارية، فتلا ذلك ارتجاج مدو واهتزت الجرافة تحت وطأة الموجة الصدمية.

حوّل الانفجار البئر "ب ج ٣٦٠" بؤرة فراغ هائلة امتصت حتى ألواح التنك المغلفن التي كانت تغطي أكواخ الخراطيم. ولفّ الموقع صمت قطعه هدير دفق النفط الخام.

أُخمدت النار! لكن العملية بلغت الآن أخطر مراحلها. فان شرارة صغيرة أو جمرة تحملها الريح قد تشعل الأبخرة المتصاعدة وتحاصر الرجال.

١٠ أغسطس (آب). كان الفريق عمل منذ ساعات الفجر الأولى في تركيب مضخة ماصّة لسحب النفط المتجمع في برك على أرض الموقع لكي يتمكن الرجال من الوصول الى رأس البئر. وبدأ سيغو وموريسون اعداد الأطر المعطوبة لتركيب مجمّعة الغطاء الجديدة. كانت نافورة النفط الهادرة من رأس البئر، في ضغط يفوق ٧٠ كيلوغراماً في السنتيمتر المربع، قادرة على قطع ذراع بشرية كمنشار كهربائي، فيما الخطو على الارض الزلقة ينطوي على خطر غادر. وكان رذاذ النفط المتساقط يكاد يعمي سيغو وموريسون اللذين تحركا بحذر مقتربين ببطء من اطار رأس البئر.



عمل سيغو وموريسون بالتناوب وبدقة جراحية. وبعد أربع ساعات كانت رؤوس الاطر المثلمة استوت فأصبح في الإمكان إنزال المجمَّعة الجديدة الى مكانها.

في هذه الاثناء وصل عضو رابع من "كوتس أند بوتس" الى الموقع لمدّ يد المساعدة. انه تشارلز مورغان. وهو رجل في السابعة والثلاثين ضخم الجثة يزن ١١٨ كيلوغراماً. وكان يتباهى بأنه يرفع ٢٣٠ كيلوغراماً مستلقياً على ظهره، وستسنح له الآن فرصة لاثبات ذلك.

كان غطاء الرأس يتدلّى من رافعة هيدروليكية تزن ٥٠ طناً. فطلب سيغو من مورغان تشغيل مفاتيح التحكم، ذلك لأن المجموعة التي تزن ٣٠٠ كيلوغرام قد تصطدم برأس البئر اذا لم توجَّه بدقة وتأن، فتطلق شرارة تقضي عليهم جميعاً.

أنزل مورغان الغطاء ببطء فيما سيغو ينتظر انطباق البراغي على الثقوب لكي يُدخل العزقات ويحكم شدها.

انتحى سيغو وموريسون جانباً في انتظار مضخة التنفيس. ثم أخذ سيغو يوجّه مورغان باشارات من يديه. وفجأة ضرب النفط المتدفق طرف المضخة بكامل قوة اندفاعه، فارتدت الى الوراء وبدأت تترجح في حركة دائرية هددت بسحقهما على جوانب الحفرة.

أعاد مورغان السيطرة على المضخة وقام بمحاولة أخرى. فلدى تلقّيه اشارة من سيغو، ثبّت الذراع وقفز الى الحفرة للمساعدة ضاغطاً بثقله على مضخة التنفيس لوقف تحركها. عندئذ راح سيغو، الذي أعماه رذاذ النفط، يبحث عن فتحة صغيرة متلمساً بيديه، ثم أدخل البرغي وشدّه. وفيما هما يديران مضخة التنفيس لضبط مواقع الثقوب، مرت المضخة عبر السيل المتدفق فانتثر النفط في كل مكان. فاذا انكسر البرغي قبل تركيب بقية البراغي، فسوف يقصف الضغط ذراع الصمامات كما لو كانت غصناً يابساً.

وجد سيغو ثقباً آخر، فأدخل برغياً وشدّه بالصوملة. ثم أعاد الكرة حتى انتهى من البراغي كلها.

وفيما البراغي تُشد باحكام خفت الهدير الى هسيس. وأخيراً لم يعد الرجال يسمعون سوى صوت تقطّر منتظم.

دانت الساعة السادسة مساء. وكانت عضلات سيغو ترتجف من الجهد الهائل الذي بذله. كان هو ومورغان تبللا بالنفط فبدت ضحكاتهما العريضة أكثر اشراقاً. لقد أُخمدت البئر "ب ج ٣٦٠" وسوف يتولى فريق آخر إحكام إغلاقها بالوحل والاسمنت.

توقف سيغو للحظات في الطريق ونظر الى الخلف. لم يستطع رؤية البئر تحت مستوى الأرض. وكل ما رآه فسحة واسعة من الصحراء المحروقة.

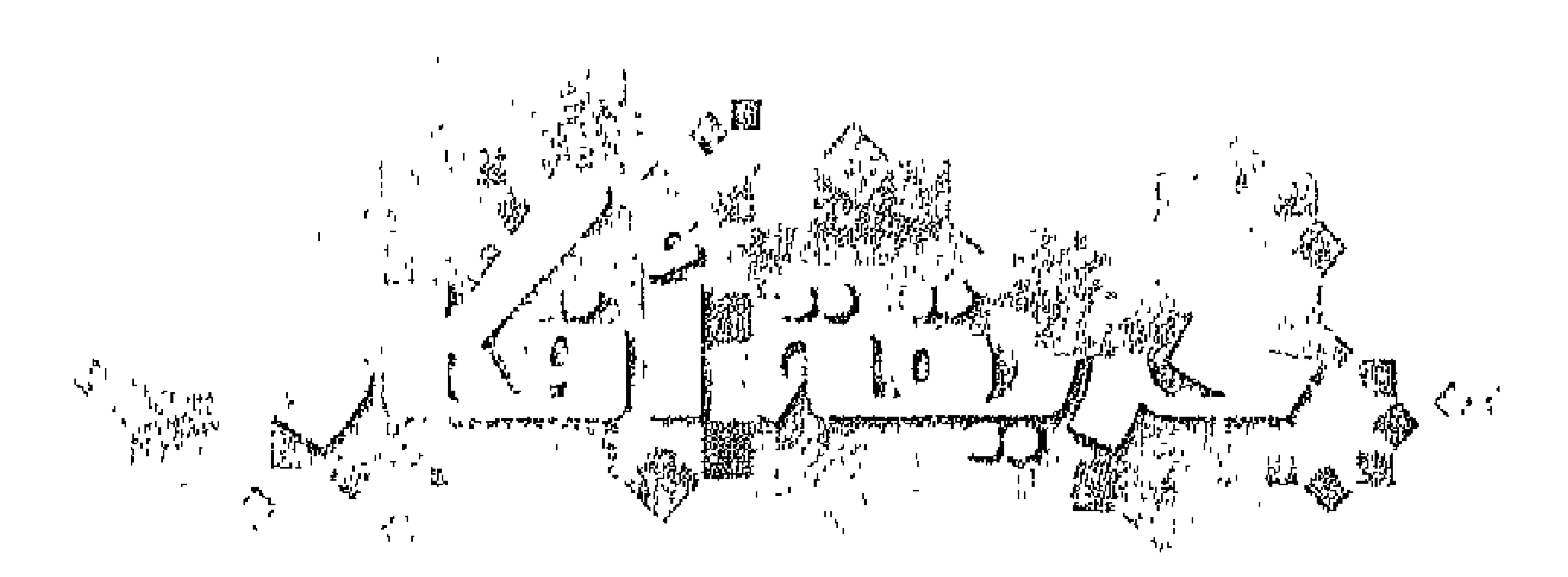
ناثان أدامس ■

معلّمة في الفضاء

بعد كارثة تحطم المكوك الفضائي الأمريكي "تشالنجر" عام ١٩٨٦ التي أودت بحياة الرائدة المدرِّسة كريستا ماكوليفي ورفقائها، عينت وكالة الفضاء الامريكية "ناسا" رائدة بديلة هي مدرِّسة الصف الابتدائي الثالث بربارة مورغان. وتزور مورغان مدارس الولايات المتحدة لتتحدث عن التزامها برنامج الفضاء.

تقول: "بتنا نخشى المخاطرة. فأولادنا لم يعودوا يرون رجال أمّتهم يجوبون أنحاء القارة في عربات خيل أو يبحرون عبر المحيط الأطلسي في قوارب تتسرب اليها المياه. ومعظم المجازفات التي يختبرونها هي الترهات الضاجّة العنيفة التي يشاهدونها في التلفزيون. وقد تطوّعتُ في برنامج الفضاء لانني لمست حاجتنا الى أن نظهر لصغارنا سبل التصرّف في المواقف العصيبة. لا استسلام، ولا تراجع، بل مضيّ قدماً. فالفضاء ملك للجميع على رغم مخاطر استكشافه وسبر امتداده الرحب. وعلى أي مدرِّس في الفضاء أن يكون، كما كانت كريستا ماكوليفي، قائداً رائداً يستطلع لنا الدرب وصولا الى النجوم."

ك.ف.



- يا لروعة مايو (ايار). لو يبقى اشهراً ثلاثة!

ا.ا.

- الأمل موجود دائماً حين يُرغم الناس على الاستماع الى الطرفين.

جون ستيوارت ميل، فيلسوف واقتصادي بريطاني

- ارتكاب الظلم مُخزٍ أكثر من مقاساته.

افلاطون، فيلسوف اغريقي

- مهما يكن صبرنا طويلا، فاننا نفضل عدم استخدام شيء منه.

ج.ا.

- اعرف نفسك. ولا تعتبر إعجاب كلبك بك دليلا قاطعاً على أنك رائع.

آن لاندرن، مرشدة صحافية

- بعض الناس لا يبالغون، بل يرون ذكرياتهم بعدسة مكبرة.

أ.س.

- أعطِ مئة في المئة دائماً، فلا تضطر الى التساؤل كيف كان أداؤك.

طومي جون، رياضي أمريكي

- ثمة أشخاص يتفوهون بكلام معقول في مسالة مثيرة للجدل. هؤلاء هم الظرفاء.

ك.هـ.

- لا يمكنك أن تبني سمعتك على ما سوف تفعل.

هنري فورد، مؤسس شركة "فورد" للسيارات

لا غريزة أقوى من الامومة. لكن الاولاد يطلبون آباءهم في الاوقات الصعبة

راحت الفتاة تجوب أرجاء البيت تفضي اليها بتنهداتها وعلى قسماتها مسحة حزن وألم. وكانت تبكي أحياناً ظانة أن أحداً لا يراها. فساور القلق والديها وسألاها عما بها، فكان جوابها: "لا شيء." فكيف تخبرهما أنها متيّمة للمرة الاولى في حياتها، وأن من تحب لا يدري بوجودها؟

جلس والدها بالقرب منها فأمسك بيدها وأخذ يستوضحها الأمر بحنو ورقة الى أن أفضت اليه بسر تعاستها. فأطلعها بلطف وبساطة على حال الدنيا والحب مخفّفاً عنها.

كانت آنذاك طفلة في السادسة من عمرها.

تقول كاثلين كيلباتريك وهي مساعدة خاصة في مكتب وزير الداخلية الامريكي: "انني لا أنسى تلك اللحظة. ولكم تذكرت ما حصل وذهلت لأن أبي لم يسخر مني بل احترم مشاعري وقدرها."

كان روبرت كيلباتريك آنذاك رئيس مجلس ادارة شركة كبرى، ولم يكن تلقى دروساً في الأبوة، لكنّه اكتفى باظهار حبه لابنته، فمنحها بعضاً من وقته وحاول أن يرى العالم من منظارها. وهل من صيغة للأبوة أفضل من هذه؟

يقول راي غارندي الاختصاصي بعلم النفس السريري ومؤلّف كتاب "العودة الى الأسرة"[١]: "إن للآباء حضوراً مميزاً، وهم عنصر قوة في تربية أولادهم." وقد أكبّ غارندي على دراسة تجارب طويلة خاضتها مئة عائلة أمريكية ناجحة، فتبين له أن القيم التقليدية المتجذرة في الثقة المتبادلة والصدق والحب غير المشروط، لا تزال تشكل قاعدة التربية الناجحة. ويؤدي الآباء في هذا الاطار دوراً بارزاً.

تتفتح غرائز الأبوة بسهولة لدى بعض الرجال فيما يضطر آخرون الى صقلها وتنميتها. أما جزاؤها فعظيم، ويكمن في تأثيراتها الايجابية المستديمة في الأطفال.

اليكم ما يريده الأولاد من آبائهم، وهي جملة مطالب مستمدة من تجارب حقيقية:

(١) Back to the family

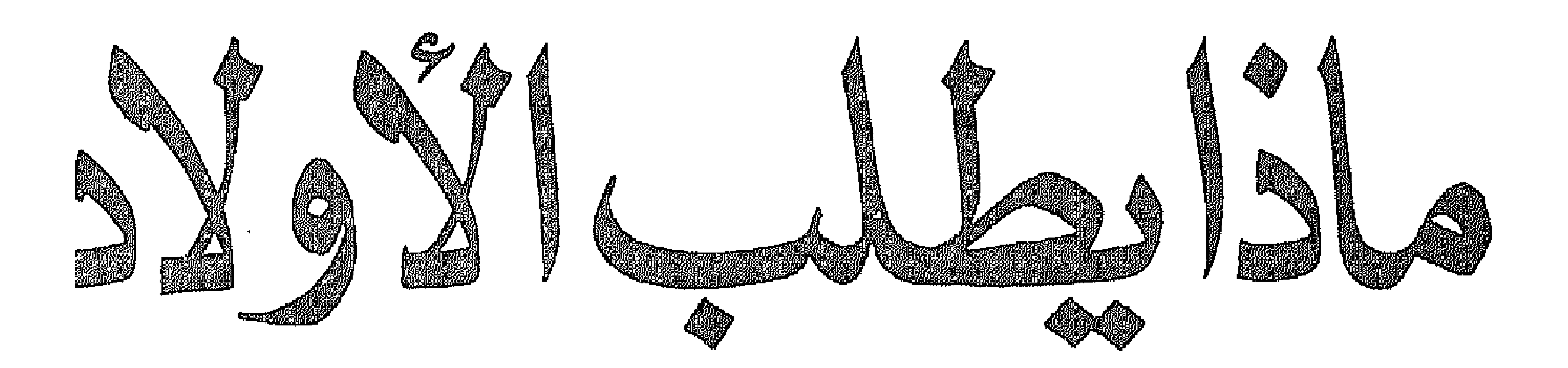


PHOTO: © PAUL BARTON / THE STOCK MARKET

"أريد شخصاً يظهر لي انه يحبني."

يقول المرشد كينيث ميد إن أكثر ما يتكرر على مسامعه خلال إرشاداته العائلية أمنية يتلفظ بها الأطفال: "ليت أبي يقول لي إنه يحبني أو يظهر لي أنه يحبني حقاً." وغالباً ما يصادف رجال الدين والمرشدون والأطباء النفسانيون أشكالا مختلفة لهذه الأمنية صادرة عن أولاد، قد يكونون رجالا بالغين، تواقين الى مزيد من العاطفة الصريحة يغمرهم بها آباؤهم.

ويقول الكاتب والت هارينغتون: "لم أشك يوماً في مقدار حب والدي لي، لكنني لا أذكر أنه حضنني مرة أو قبلني أو قال لي إنه يحبني."

هذه العبارات الصريحة تمنح الأولاد ثقة وتشجيعاً يحتاجون اليهما، وقد ثبتت أهميتها في نظر الخبير زيغ زيغلار يوم كان يحاول تركيب دراجة ثلاثية العجلات اشتراها لابنه طوم الذي كان في الرابعة. كان المسمار "أ" لا يناسب العزقة "ب"، فاستولى الضيق والغضب على زيغلار وأوشك أن يعدل عن تركيب الدراجة لو لم يباغته طوم هامساً: "أنا أحبك يا أبي."

وغني عن القول ان زيغلار أنهى تركيب الدراجة يومذاك.

لقد تبين لغارندي أن "الآباء الذين يعانون صعوبات في التعبير عن

مِن آبائهم؟

عواطفهم، في العائلات المتماسكة، يبذلون جهوداً استثنائية لاظهارها." ومَن تصعب عليه لغة الكلام تراه يستعين برسالة أو بطاقة أو ببضع كلمات يخطّها على رسوم أولاده.

كان أحد الآباء ماهراً في تأليف مقطوعات موسيقية، فكتب لأولاده أغنيات عبر فيها عن حبه لهم.

وفي إمكان الآباء أيضاً الاستعانة بتقنية اعتمدتها إحدى الأمهات. فقد كانت تحرج أولادها بتصرفاتها العلنية التي تنم عن عاطفتها العميقة. لذا استعانت بـ"شيفرة" سرية اتفقوا عليها جميعاً. فباتت كلما شارك أحد أولادها في مباراة رياضية أو نشاط مدرسي تشدّ على كتفه في حركة تعني "أحبك."

والعاطفة التي يظهرها الأب للأم هي طريقة بديلة مهمة للتعبير عن عاطفته تجاه أولاده. وقد برهنت دراسة غارندي أن العاطفة العلنية التي تجمع الوالدين هي من أهم العناصر التي تحمل الطمأنينة والاستقرار الى قلوب الأولاد.

"أريد شخصاً يمضي معي بعض الوقت."

غالباً ما يكون عطاء الأب شحيحاً في الحب والوقت، وهما أهم عنصرين يستطيع منحهما. فالأولاد يحتاجون في بعض الأحيان الى آبائهم تحديداً، وليس الى من يحل محلهم. وفي هذا الصدد يقول غارندي: "أكثر ما يتذكره الأولاد حضور آبائهم، وتتمحور أهم ذكرياتهم حول اللحظات العائلية العادية التي أمضوها برفقتهم."

وتروي الكاتبة سوزان جاكوبي: "كنت في فصل الصيف ألحق بوالدي قبيل الغروب الى حديقة المنزل الخلفية، فأتحادث معه الى أن تنادينا أمي لتناول العشاء. ولم أسمعه يوماً يقول لي: اذهبي عني."

كان برنامج المدرب الرياضي ريك إردمان حافلا بالمواعيد، ينقله من مكان الى آخر بعيداً عن زوجته وابنه كوري. وهو يقول: "لا تفارقني ذكريات رحلات الصيد مع والدي. فهو لم يكن ميالا الى الصيد، لكنه كان يتيح لنا نحن الاثنين أن نمضي معاً أوقاتاً طيبة في الغابة من دون حاجة الى كلام." ويكرسُ إردمان أوقات فراغه لابنه، فيلعب معه بكرة السلة ويركبان دراجتيهما في جولات طويلة.

"أريد شخصاً يرى العالم كما أراه."

غالبا ما يهمل الآباء هذه القاعدة. فعودوا الى طفولتكم وستفهمون عندئذ لماذا تبدو أمور كثيرة غامضة أو مخيفة أو مضحكة بالنسبة الى الأطفال.

إن الآباء الذين يتغاضون عن نظرة الطفل الى الأمور يقفون حيارى أمام تصرفاته. وهكذا، فالآباء الذين يشترون لعبة ثمينة لابنتهم يتعجبون عندما يرونها تلعب بالعلبة عوضاً عن اللعبة، ناسين أن العلبة هي قصر بالنسبة اليها. فليتذكّر هؤلاء الآباء يوم تحولت الحافلة في

نظرهم عربة تجرّها جياد، ويوم أصبح السرير مركبة فضائية.

يجب ألا ينسى الآباء أن الأطفال يتمسكون بأمور الحياة كما يرونها هم.

في كتاب "طفولة أمريكية"[٢] تروي المؤلفة آني ديلارد كيف عثرت على دايم[٣] يرقى الى العام ١٩١٩ عندما كانت في الخامسة من عمرها تلعب في ممشى الحديقة خلف منزلها وتحفر الأرض بعود جيلاتي (آيس كريم). يومذاك شرح لها والدها كيف طُمر هذا الدايم مع مرور الزمن، وكيف يتراكم التراب على الأشياء. فماذا كان رد فعل طفلة الأمس؟ "قررتُ أن أكرس حياتي لنبش الكنوز. وبعدما نبشت جميع طبقات الثروة التي أوصلتني اليها عيدان الجيلاتي، تحولت الى التنقيب عن البضاعة الجيدة، عن طبقات الذهب الاسباني القديم."

ويتذكر المدرّس أندرو مرتون يوم دخل مدرَّجاً رياضياً في بوسطن برفقة ابنه الذي كان آنذاك في الرابعة من عمره، ليحضرا معاً مباراة حاسمة في كرة القدم. فما ان انتهت التمارين التمهيدية حتى قال له الصبي: "ضجرت من كرة القدم يا أبي. أريد العودة الى البيت الآن." فقد فات مرتون أن نظرة صبي في السن الرابعة الى هذه اللعبة الشهيرة هي أبعد ما تكون عن الحماسة. فغضب وحمل ابنه خارج الملعب. وفي الطريق مرّا بمتحف بوسطن للعلوم، فتذكر كم استمتع هناك هو وابنه خلال زيارتهما السابقة وكم كان الصبي يتوق الى زيارة ثانية. دخلا المتحف، فراح الصبي يتنقل في أرجائه. يقول مرتون: "كان يناديني كلما اكتشف شيئاً جديداً لأشاطره إعجابه." وقد سُرّ الاب كثيراً ذلك اليوم لأنه قرر، عبر رؤية العالم من منظار ابنه، أن ينسى أحلامه المثالية وإن موقتاً.

"أريد شخصاً يرسم لي حدوداً."

يغيب عن أذهان الأهل الذين يمتنعون عن تأديب أولادهم أن هؤلاء يملكون حدساً في التربية والحرية. ويقول الممثل البريطاني جون كليز إنه علم من ابنته أن "الاولاد يحتقرون الاساتذة الذين لا يستطيعون إحلال النظام في الصف." ولما تأمل نظرة الأولاد الى الحدود المفروضة على تصرفاتهم تخيّل طفلا جالساً على كرسي وسط غرفة مظلمة وغريبة. "فحين يعرف الطفل مواقع الجدران، أي حدود المكان، يستطيع عندئذ فقط أن يستكشف الغرفة بفضول وبلا خوف."

إن التأديب شكل من أشكال الحب، لكنه صارم ومحفوف بالمخاطر، لأن الطفل غالباً ما ينبذ مؤدّبه. غير أن دراسة غارندي أظهرت أنه عندما يكون التأديب ضرورياً مدعوماً بالحب، يصبح مفيداً للأولاد. وهم يعترفون بذلك.

ويقول الخبير التربوي جايمس دوبسون إن الآباء "الذين لا يجرؤون" على تأديب أولادهم سينتهون الى

(٢) An American childhood

(٣) الدايم «dime» قطعة نقد من فئة ١٠ سنتات.

معاقبتهم فحسب، مضيفاً أن العقاب أمر يُنْزَل بالطفل في حين أن التأديب أمر لمصلحته. وقد يضطر الأب أحياناً الى المعاقبة بهدف واضح ومحب هو تصحيح تصرف الولد. يقول غارندي: "على الآباء أن يتذكروا أن التأديب هدية محبة دائمة."

وسواء أكان التأديب المحب منعاً من الخروج أو صفعة على المؤخرة، فالهدف منه تلقين الطفل درساً.

ويروي الكوميدي بيل كوسبي كيف لقن ابنه البالغ من العمر ١٢ سنة درساً لن ينساه "بعدما تبنى هواية جديدة هي الكذب وبرع فيها حتى تحولت عنده فناً." فذات يوم قال كوسبي لابنه على الهاتف: "سوف أركلك عندما أعود الى البيت." ولما عاد تكلم مع ابنه وأنهى الحديث بتنفيذ العقاب على نحو مدروس. فكان سيلٌ من الدموع.

وسأل كوسبي ابنه: "هل فهمت الآن ماذا أعني عندما أقول إنني لا اريد أن أسمع كذباً بعد اليوم؟"

فهز الفتى رأسه والدموع تنهمر على وجهه. فقال له أبوه: "حسناً، اذهب الآن."

فاستدار الفتى، لكن كوسبي ركله ثانية. فنظر اليه نظرة مخدوع، فقال كوسبي: "عذراً، لقد كذبت. هل تريدني أن أكذب عليك بعد اليوم؟"

فأجابه الفتى: "لا يا أبي."

يقول كوسبي إن ابنه أقلع عن الكذب منذ ذلك الحين. وكتب معلقاً على هذه الحادثة: "أعرف أن مشاهير علماء النفس يرون في الركل عودة الى العصر الحجري، ولكن ربما كان الأولاد في ذلك العصر يولون كلام آبائهم اهتماماً أكبر."

إن الأولاد الذين أُدّبوا ولم يعاقَبوا اعتباطاً وتعسفاً، نادراً ما يتذكرون بغضب الاوقات التي تلقوا فيها عقاباً جسدياً. وقد كشف غارندي أن نحو ٧٠ في المئة من العائلات الناجحة التي تناولتها دراسته استعانت ببعض أشكال العقاب الجسدي في تربية أولادها. ولطالما بدا هؤلاء الأولاد في نظر أساتذتهم "ناضجين ومرهفي الاحساس."

تُرى ما هو سر الآباء؟

من الصعب تحديده. لكن الاولاد يعرفون حقيقته جيداً. وتقول نانسي وارد التي تعمل ممرضة قانونية في جناح للأطفال المصابين بأمراض مستعصية: "غالباً ما يطلب هؤلاء الأطفال رؤية آبائهم عندما يكونون متألمين." حتى أن أحدهم قال لأمه وهو يحتضر إنه يريد والده، لا لأنه لم يكن يحب أمه بل لأنه شعر بحاجة الى أبيه. وتضيف نانسي: "على رغم العطف والعناية اللذين تؤمنهما الأمهات لأولادهن، فان هؤلاء لا يشعرون بالأمان إلا مع آبائهم. في امكانكم استخلاص ما تريدون، ولكن تذكروا أن ما من شيء يلغي الحاجة الى الآباء."

رالف كيني بينيت ■

كان فتى طري العود يوم أرغمت عائلته الاريستوقراطية على الفرار وها قد عاد اليوم لمساعدة بلاده وبناء مجتمع ديموقراطي

أطبق الصمت على الحضور المميز فيما كان فاكلاف هافيل يدخل قاعة المؤتمرات في المقر العام لحلف شمال الاطلسي في بروكسل ببلجيكا.

وكان وزراء خارجية الدول الحليفة وسفراؤها اتفقوا على اللقاء في بروكسل في مارس (آذار) ١٩٩١ للاستماع الى رئيس تشيكوسلوفاكيا، أول رئيس دولة من الكتلة السوفييتية السابقة يزور مقر الحلف. وقد طلب منهم هافيل في خطابه المساعدة لضمان أمن بلاده. واستجاب الحضور لطلبه بتصفيق مطول.

جلس وراء هافيل رجل أنيق المظهر انفرجت أساريره عن ابتسامة رضى بعدما نجح بأسلوبه الهادىء والمتروي في الاعداد لهذه الزيارة وتحقيقها. ولطالما كان الديبلوماسيون الغربيون يتوقعون أن يكون ميخائيل غورباتشيف أول زعيم أوروبي شرقي يزور الحلف. ولكن عندما أخذ السوفييت يماطلون ويؤجلون

الأمير العائد

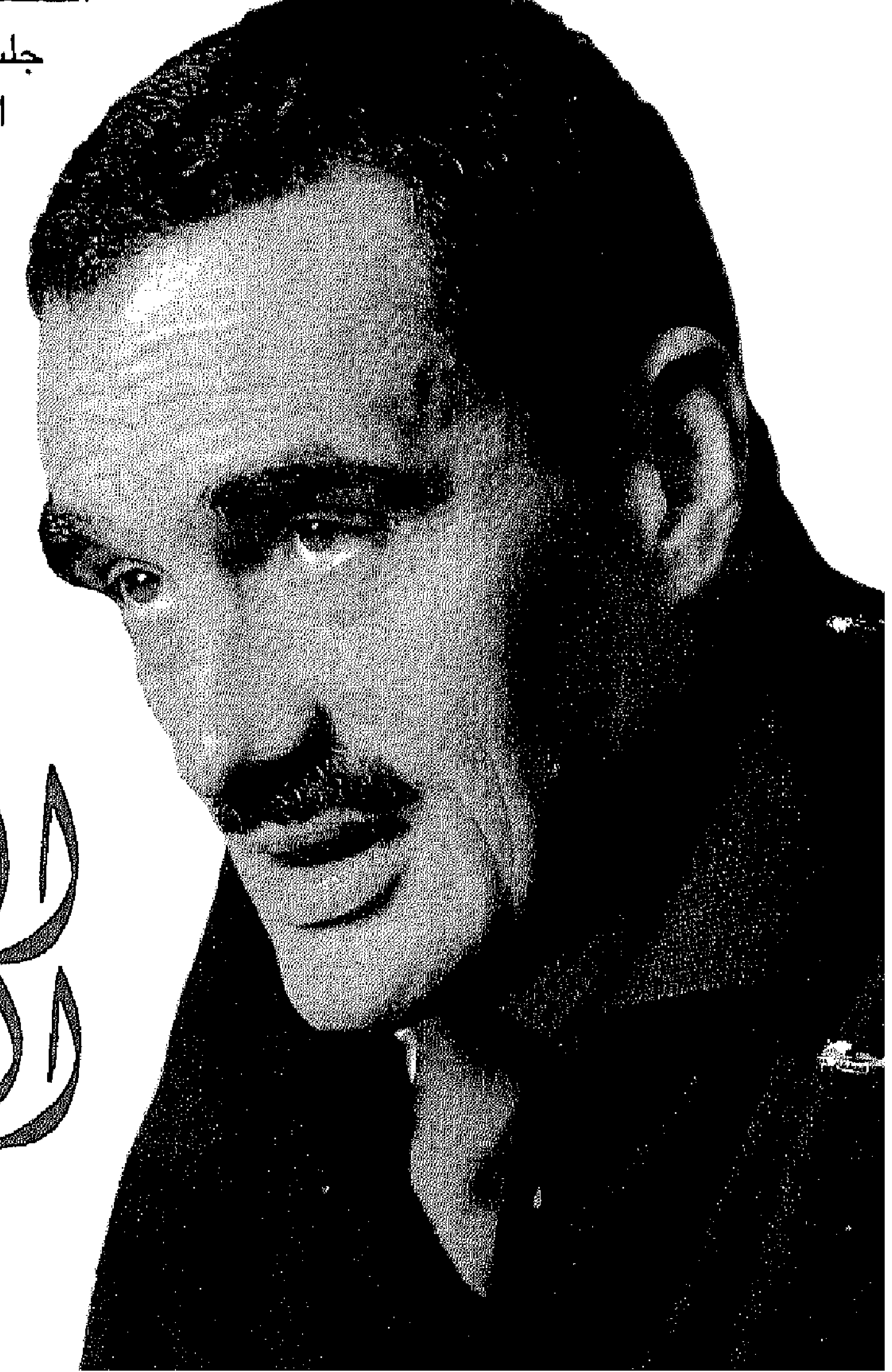


PHOTO: NOBERT NOE — CONTRAST / GAMMA

تـزاحم البـولـونيـون والمجـريـون والتشيكوسلوفاكيون على الأولوية. فما كان من هذا الرجل الأنيق، الامير كارل شفارزنبرغ كبير مساعدي هافيل، الا أن اتصل هاتفياً بصديقه القديم مانفرد فـورنـر الامـين العـام لحلف شمـال الأطلسي، فمنحت تشيكوسلوفاكيا هذا الاستقبـال ونـال هـافيـل شـرف هـذه المناسبة التاريخية.

بعد انقضاء عشرة أسابيع على هذه الزيارة، عُقد اجتماع وزاري للحلف ربط أمن تشيكوسلوفاكيا وغيرها من دول أوروبا الشرقية بأمن الحلف، وتعهد ضمناً حماية هذه البلدان من أي عدوان سوفييتي على أراضيها.

وفي نظر شفارزنبرغ، وضع هذا القرار نهاية مرضية لرحلة مضنية بدأت قبل أربعة عقود، يوم أرغمه الانقلاب الذي سانده السوفييت وهو لمّا يزل صبياً يانعاً في الحادية عشرة من عمره على الرحيل عن أرض أجداده.

في المنفى. شفارزنبرغ اليوم في الرابعة والخمسين من عمره. وهو رجل ذكي صلب، لكنه ليس موظفاً حكومياً عادياً. فقد ولد في كنف إحدى أعرق أسر أوروبا. وعاش أسلافه قروناً في بوهيميا التي كانت جزءاً من الامبراطورية النمسوية - المجرية قبل أن تُضم الى تشيكوسلوفاكيا بعيد الحرب العالمية الاولى. كان والده وطنياً متحمساً لا يتكلم سوى التشيكية مع أولاده. عارض ضم المانيا جزءاً من بلاده عام ١٩٣٨، فاقتصّ منه النازيون بالاستيلاء على قصر العائلة في أورليك وعلى دارتها الفخمة في براغ، وأجبروه وعائلته على قضاء سنوات الحرب العالمية الثانية لدى بعض الأقارب في منزل ريفي صغير.

بعدما وضعت الحرب أوزارها هبّت ريح جديدة هدّدت حرية تشيكوسلوفاكيا. وتوجّست انطوانيت والدة شفارزنبرغ، التي كانت تتمتع بحس عملي، خطر انقلاب شيوعي يحضّر خفية. فأسرّت بمخاوفها الى ابنها البكر كارل قبل سنة من وقوع الانقلاب: "من المحتمل أن يخسر والدك كل ما يملك وأن نضطر الى مغادرة البلاد."

فما كان من كارل، الذي أخذ عن أبيه شغفه بإرثه البوهيمي واقتبس من أمه مرونتها وسهولة تكيفها، الّا أن أمضى الأشهر التالية متنزهاً في أرجاء الريف يتشبّع بمناظره وينحتها في ذاكرته. ولما سيطر الشيوعيون على البلاد عام ١٩٤٨ ركبت عائلة شفارزنبرغ قطاراً الى النمسا ومعها بعض الحوائج.

يسترجع الامير ذكرى تلك الأيام العصيبة: "لقد خسر أبي أملاكه كلها، غير أن أكثر ما حزّ في نفسه هو خسارة موطنه."[١]

استقرت العائلة في فيينا، والتحق كارل بمدرسة رسمية. فلاحظ الاصدقاء لديه تفتح بذور جدية مبكرة. وذات يوم

(١) ستعـاد قلعة أورليـك وممتلكات اخـرى في تشيكوسلوفاكيا الى آل شفارزنبرغ بموجب قانون جديد.

أعطاه خاله الامير جورج فورستنبرغ نصف دولار أمريكي من الفضة، وأعطى أخاه الاصغر فريدريك نصفاً آخر. فتفحص كارل القطعة ثم قال: "انظر يا خالي، هذه صورة بنجامين فرنكلين منقوشة على هذا الوجه، وهذا شعار الحرية في الولايات المتحدة."

أما فريدريك، وهو اليوم صاحب مصرف، فقد أخذ قطعته وسأل خاله: "ماذا يمكنني أن أشتري بها؟"

فضحك فورستنبرغ معلقاً: "الأول سياسي بالفطرة، والثاني ولد ليكون مصرفياً."

تركة وتحديات. يقول الامير: "تمحورت تربيتي حول كلمة أساسية واحدة هي المسؤولية: مسؤوليتي تجاه نفسي وتجاه الآخرين." وتسنّى له أن يطبق هذا المبدأ للمرة الاولى عام ١٩٥٦، يوم سحق "الجيش الأحمر" الانتفاضة المجرية (الهنغارية) وتدفقت فلول اللاجئين الى النمسا. فتخلى كارل عن دراسته، وكان أنذاك في الثامنة عشرة من عمره، وأسرع الى الحدود ليمدّ يد العون. ثم قضى أسابيع باحثاً مع أصحابه، بمعدل ١٨ ساعة يومياً، عن اللاجئين الخائفين الذين اختبأوا في الغابات. وتحمله ذكرياته الى تلك الفترة فيستحضرها: "كنا نؤمّن لهم الطعام والشاي الساخن والثياب والادوية وننقلهم الى مخيمات الاستقبال التي أقيمت حول فيينا."

بعد انتهاء الأزمة تابع كارل تحصيله العلمي. ولدى وفاة عمه هينريك فون شفارزنبرغ عام ١٩٦٥، ورث ممتلكات العائلة التي توزعت بين النمسا وألمانيا. لكن التركة كانت كبيرة جداً، كذلك التحديات. فقد ألحقت القنابل اضراراً فادحة بقصر شفارزنبرغ في فيينا، المبني على الطراز الباروكي، ودمرت حديقته مما اضطر العائلة الى الكفاح طوال عقدين لترميمه. لكن الامير الداهية وجد حلاً لائقاً، فحوّل القصر فندقاً فخماً وجعل ساحته الأمامية أكبر موقف للسيارات في وسط فيينا، "وهكذا استطاعت العائلة الحفاظ على ملكية القصر."

وعلى رغم المسؤوليات الجسام الملقاة على عاتقه لم يتبدل اهتمامه بمصير بلاده. وهو زارها للمرة الاولى بعد النفي عام ١٩٦٨، عندما هبّت ريح الحرية في تشيكوسلوفاكيا. لكنه فوجيء بواقع مرير لم يكن ينتظره. فقد حُوّل قصر شفارزنبرغ في أورليك متحفاً، وشوّه السدّ الذي أقيم على النهر المجاور المناظر الخلابة التي كانت تداعب طفولته. فوقف مصعوقاً يحدق الى حطام ذكرياته مقاوماً دموعه، ثم رحل.

شريك فاليسا. لم يكن شفارزنبرغ يأمل الكثير من "ربيع براغ" معتبراً الزعيم الشيوعي ألكسندر دوبتشيك من السياسيين الهواة. ولما اجتاحت قوات حلف فرصوفيا (وارسو) تشيكوسلوفاكيا،

أقسم على مساعدة أبناء وطنه المضطهدين. فأمن طوال عقدين دعماً مادياً ومعنوياً للمنشقين في أنحاء البلاد، وهرّب امدادات الى الصحافة السرية، وتدبّر تهريب مؤلفات المنشقين لنشرها في الخارج. كما أسس مركزاً لتوثيق الأدب التشيكي في قصر تملكه العائلة في شينفيلد بالمانيا.

عام ١٩٨٤ أصبح شفارزنبرغ رئيس "اتحاد هلسنكي الدولي" لحقوق الانسان الذي تأسس بهدف السهر على تطبيق "قرار هلسنكي الأخير." فعمل بكدّ من دون مقابل، موزعاً عرائض ومدليا بشهادات أمام البرلمان الاوروبي ومسافراً الى أوروبا الشرقية في بعثات لتقصي الحقائق. ويتذكر ايفان فيالا وهو عضو في "مجلس مواطني هلسنكي" في براغ، يوم سافر شفارزنبرغ الى موسكو مطلع العام ١٩٨٨ ليناضل في سبيل اطلاق السجناء السياسيين المحتجزين في مستشفيات الأمراض العقلية: "كانت زيارته نفحة تشجيع لنا في خضم كفاحنا أشعرتنا بأننا سنبقى أحياء في ذاكرة العالم."

في مايو (ايار) ١٩٨٩ توجه شفارزنبرغ الى ستراسبور في فرنسا ليتسلم جائزة المجلس الاوروبي لحقوق الانسان ممثّلا اتحاد هلسنكي الدولي، وكانت الجائزة مناصفة بينه وبين الزعيم النقابي البولوني ليش فاليسا ممثلا حركة "التضامن." غير أن فاليسا استأثر بحصة الأسد من التغطية الاعلامية. ولم ينزعج شفارزنبرغ من ذلك، بل قال في خطاب ألقاه: "ليش فاليسا هو الرجل الذي أخرج نقابة العمال من أحواض بناء السفن وحوّلها حركة جماهيرية. أما أنا فمجرد ممثّل لأعداد لا تحصى من الرجال والنساء المعروفين والمغمورين الذين ضحوا بالغالي والرخيص، وغالباً على حساب حياتهم وحريتهم، في سبيل الدفاع عن حقوق الانسان."

ثورة مخملية. في تلك الفترة كانت أواصر الصداقة توطدت بين شفارزنبرغ والمنشق التشيكوسلوفاكي فاكلاف هافيل، إذ كان الامير دعم هذا الكاتب الذي اعتُقل مراراً، ونشر مؤلفاته، لكنه كان يتجنب لقاءه "خشية أن أتسبب في ايذائه." وفي منتصف الثمانينات، كتب هافيل الى الامير يطلب مقابلته. فتواعدا على اللقاء سراً في أحد ملاهي براغ. وكان شفارزنبرغ يتوقع أن يمثل أمامه كاتب مسرحي حالم، لكنه فوجيء بجليس سياسي ذكي، فكان الانسجام رفيقهما الثالث.

بعدما قاد هافيل تشيكوسلوفاكيا في ثورة "مخملية" مسالمة، عاد شفارزنبرغ الى البلاد في أواخر ١٩٨٩ ليلقى استقبالا حاراً. وفيما كان يحجز غرفة في أحد فنادق براغ، دنا منه عجوز وقور قدّم اليه قطعة قماش بألوان العلم التشيكوسلوفاكي — الأزرق والأحمر والأبيض — لكي يعلّقها في طية سترته، قائلا: "هذه لك أيها الامير."

وعندما تسلم هافيل سدة الرئاسة، عهد الى شفارزنبرغ في ادارة فريق من المستشارين الرئاسيين. لكن الفوضى الادارية سادت الاشهر الاولى من عهده. وقد اعترف مايكل زانتوفسكي الناطق باسم الرئاسة: "كنا نعاني فوضى لا حدود لها. فقد اختلطت المواعيد، وقدم الطعام غير المناسب في حفلات الاستقبال، ولم تصل السيارات في مواعيدها."

وفي خطوة لاحلال النظام، عيّن هافيل شفارزنبرغ رئيساً لأركانه بلقب مستشار. فانتقل الامير في أول يوليو (تموز) ١٩٩٠ الى مكتب في قلعة براغ يطل من نافذة عريضة على سطوح المدينة المذهبة الحافات والمكسوة بالسخام. فنظّم أجهزة الرئاسة على نحو عصري، وأسس لجان عمل منتظمة، وأصبحت جميع المطالب تمر عبر مكتبه قبل أن تصل الى الرئيس. وزُوّدت مكاتب الموظفين آلات فاكس،[٢] وحُددت مسؤوليات كل مستشار، وأصبحت السيارات تصل في مواعيدها، وباتت الوجبات الخفيفة الطيبة تقدم خلال حفلات الاستقبال الرسمية.

ويقول بيري هايك الذي كان وزيراً للخارجية في أثناء "ربيع براغ" الجهيض، وهو يرئس اليوم لجنة حقوق الانسان في هلسنكي: "إن خبرة شفارزنبرغ وفاعليته وبصيرته ساعدت كثيراً على إحلال النظام في مكتب الرئيس. وهو يجسد كل القوى التي تعمل لاعادة بناء الوعي القومي التشيكوسلوفاكي ولدمج البلاد في أوروبا موحدة."

الامير والرئيس. يبقى دور الصديق المؤتمَن والصوت الناقل هو الدور الأهم الذي يضطلع به شفارزنبرغ بالنسبة الى الرئيس. فالرجلان في منتصف العقد السادس، وهما يلتقيان مراراً في اليوم، وكلما أتاحت لهما برامج العمل الحافلة فرصة سانحة، تراهما يتجاذبان أطراف الحديث الى طاولة في أحد المقاهي. وهما متكاملان أيضاً، فحيث يتصرف هافيل بفطرة متسرعة، يتريّث شفارزنبرغ ليمحّص حسنات الأمور وسيئاتها. يقول زانتوفسكي: "هافيل فنان يفجر أفكاراً لامعة، وشفارزنبرغ واقعي يؤمن الثبات والتبصر."

يشعر الرئيس بارتياح أكبر عندما يشرب فنجان قهوة مع أصدقاء مقربين حيث لا يكبله البروتوكول. وعلى رغم أنه كاتب لامع وخطيب بارع فهو لا يتكلم لغة أجنبية، خلافاً للامير الذي لا تزعجه الاجواء الديبلوماسية والذي يتكلم الالمانية والفرنسية والانكليزية بطلاقة فضلا عن لغتة التشيكية الأم، مما يجعله صاحب دور رئيسي خلال رحلات هافيل خارج البلاد.

ويتمتع شفارزنبرغ بحدس قوي في السياسة الواقعية وبحنكة عملية مما يعزز

(٢) الفاكس أو التلفاكس وسيلة اتصال حديثة تعتمد الهاتف الدولي. تُدخل الورقة التي يُنوى ارسال محتواها في جهاز الفاكس المرسِل، فتخرج نسخة طبق الاصل في جهاز الفاكس المرسَل اليه.

تأثيره في الأحداث. ففي يوليو (تموز) ١٩٩٠ كان هافيل يعدّ لالقاء خطاب في حفلة افتتاح مهرجان سالزبور، ولما أعلن الرئيس النمسوي كورت فالدهايم المتهم باخفاء ماضيه النازي عزمه على حضور الافتتاح، لقي احتمال التقاء الشخصيتين انتقادات شديدة. حتى أقرب المقربين الى هافيل طالبوه بالغاء الزيارة. لكن شفارزنبرغ لم يشاطرهم الرأي وحذّر من عواقب العدول عن الزيارة ومن الضرر الذي سيلحقه بعلاقات تشيكوسلوفاكيا مع النمسا والمانيا. بيد أنه اقترح، في المقابل، أن يتطرق خطاب هافيل الى موضوع "تزوير التاريخ" بدل تفاديه كليا.

وفي ٢٦ يوليو (تموز) ألقى هافيل خطاباً حاذقا في قاعة مهرجان سالزبور دان فيه محاولة تزوير الماضي. فاحتشد جمع غفير من المصورين لالتقاط صور لهافيل وفالدهايم وهما يتصافحان. ولما ظهر الرئيسان وقف شفارزنبرغ ومساعدوه أمامهما بلباقة لحجب الرؤية عن الصحافيين، وأبعدوا بعض الذين تمركزوا في مواقع كاشفة. فتصافح الرجلان وافترقا من دون أن تُلتقط لهما صورة واحدة تتصدر الصفحات الاولى.

حتمت المهمات الجديدة على شفارزنبرغ التخلي عن متعة العيش في فيينا في مقابل ١٦ ساعة من العمل المرهق في براغ. لكن عبء العمل يكلفه ضريبة واضحة. فقد احتقنت عيناه وعبث التعب بوجهه وترهل جسمه. ولم يعد يحظى بوقت لمواصلة أعماله التجارية في فيينا. ولكن عندما يُسأل عن الأمر يفترّ ثغره عن ابتسامة ساخرة ويقول: "قررت أن أطرد نفسي من العمل." واستعاض عن قصره في فيينا بشقة من غرفتين تبعد بضع خطوات عن مكتبه، وهو لا يزور عائلته سوى مرة في الشهر.

يقول هافيل في شفارزنبرغ: "إنه اضطر الى البقاء فترة طويلة خارج وطنه، لكنه ظل وطنيا أصيلا. وهو، وإن خصّ بلاده بالعون، فسيظل أبداً أحد عظماء الاوروبيين في عصرنا."

تبقى الأنوار مشعة في مكتب رئيس أركان هافيل الى ساعة متقدمة من الليل. لكن كارل شفارزنبرغ لا يتبرّم، لأنه عاد الى وطنه.

وليم إشيكسن ■

ترجمة مايا باسيل

حبيب القلب

كان زوجي غائباً في رحلة عمل، فأمضيت وابنتي الصغيرة ليلة لوحدنا. أعددنا قالب حلوى وقرأنا قصصاً ثم أدرنا التلفاز وجلسنا في الاريكة. وغمرني حنان مفاجىء فقلت لابنتي: "اقتربي اكثر يا حبيبتي."

فقامت للحال وجلست أمام التلفاز.

ج.ن.

في كل ناحية أمثلة عن الشجاعة
والتعاطف والاحساس بالواجب
هنا أربعة منها

أقوى من الخوف

ذات صباح صيفي، فيما كان راي بلانكنشيب يحضر طعام الفطور، التفت الى النافذة فرأى فتاة صغيرة تنجرف مع سيل مياه المطر الى قناة التصريف المجاورة لمنزله في بلدة أندوفر بولاية اوهايو. كان راي يعرف أن القناة تغور تحت الطريق بعد مسافة قصيرة لتفرغ مياهها في المجرور الرئيسي.

اندفع راي من باب منزله وأخذ يركض في محاذاة القناة محاولا استباق الطفلة الغارقة، ثم ألقى بنفسه في المياه المزبدة العميقة. وما هي الا لحظات حتى طفا ممسكاً ذراع الطفلة وراح يتخبط معها تجرهما المياه المتدافعة. وقبل أن يبلغا هوة المجرور الفاغرة لابتلاعهما، لمست يد راي الطليقة شيئاً – ربما صخراً – ناتئاً من احدى ضفتي القناة، فتشبث به يائساً. إلا أن قوة المياه الهائلة هددت بانتزاعه هو والطفلة وجرهما بعيداً. ففكر: "ليتني أستطيع الصمود حتى وصول النجدة." لكنه حقق ما هو أفضل من الصمود، اذ عندما وصل المنقذون من دائرة الاطفاء كان راي سحب الفتاة الى موقع أمين. فعولج الاثنان من آثار الصدمة.

في ١٢ ابريل (نيسان) ١٩٨٩ مُنح راي بلانكنشيب ميدالية خفر السواحل للانقاذ، وهو تقدير استحقه بجدارة لأنه، بنكرانه ذاته، عرَّض نفسه لخطر فاق ما اختبره معظم الناس.

ذلك لأن راي بلانكنشيب كان لا يجيد السباحة!

بول هارفي

في "لوس انجلس تايمز"

LOS ANGELES TIMES SYNDICATE (APRIL 18, '89), © 1989 BY LOS ANGELES TIMES SYNDICATE;
AP RELEASE (JANUARY 15, '89), © 1989 BY THE ASSOCIATED PRESS; THE CHRISTIAN SCIENCE MONITOR
(SEPTEMBER 22, '87), © 1987 BY THE CHRISTIAN SCIENCE PUBLISHING SOCIETY;
CHICAGO TRIBUNE (JUNE 11, 89), © 1989 BY CHICAGO TRIBUNE CO.

فرصة ثانية

شيء ما في صوت ستيفن بيرمان حرّك روبرت فريدي ذات يوم بارد من العام ١٩٨٨. اقترب بيرمان من سيارة فريدي على أحد تقاطعات الطرق في نيويورك آملا الحصول على بعض المال في مقابل غسل زجاج السيارة. فشغّل فريدي المساحات مشيراً الى عدم رغبته في غسل الزجاج.

فانحنى بيرمان على النافذة وقال: "هيا يا سيدي، امنحني فرصة، انني في حاجة الى عمل."

وقبل لحظات من تحرك السير أعطى فريدي الرجل بطاقته الشخصية طالباً منه أن يتصل به اذا كان جاداً في البحث عن عمل. وكان فريدي أنذاك مديراً عاماً لفندق بيركلي - كارترت في نيوجرزي.

يقول بيرمان، وهو سائق تاكسي وليموزين وشاحنة كان عاطلا عن العمل: "أخبرني اصدقائي انه كان يحاول التملص مني، لكني قلت لهم: لا، انه رجل أعمال، ولن تضيرني المحاولة."

وبعد يومين دخل بيرمان (٢٩ عاماً) بهو الفندق الفخم في المنتجع البحري العريق. فما كان من فريدي الا أن منحه عملا وسكناً وثلاث وقعات يومياً، كما أقرضه بعض المال خلال فترة تدريبه.

واليوم، يعمل بيرمان بدوام كامل في اعداد قاعات الحفلات المخصصة للقاءات رجال الاعمال. وهو استأجر بيتاً وتزوج وسدد ما استدانه من فريدي.

يقول بيرمان: "لقد منحني السيد فريدي فرصة ثانية لم أتردد في الافادة منها. كان في امكاني أن أمكث فترة هنا ثم أغادر. ولكن لا مستقبل في غسل زجاج السيارات."

يلتزم فريدي الحذر في تعامله وأبناء الشارع النيويوركي. ويقول: "لكن بيرمان بدا أميناً وصريحاً، اذ سألني منحه فرصة بدلا من طلب المال. انني لا أعطي بطاقتي الشخصية امرأً لا أعرفه، لكنني سعيد لانني فعلت هذه المرة."

"أسوشييتد برس"

صديق النهر

خفف ريموند بروفيت من سرعة سيارته البرمائية واقترب من المكان المشتبه فيه حيث طالعته كومة مفتتة من الاسفلت والاسمنت على احدى ضفتي جدول نيشاميني، وهو رافد موحل لنهر ديلاوير. وكانت الكسارة تُستخدم لتحويل المستنقعات أراضي جافة.

فقال بروفيت في نفسه: "لم تكن هذه الكومة هنا قبل ستة أشهر، وأنا أكيد من أنها وضعت بطريقة غير مشروعة. سألاحق الفاعلين."

لم يكن كلام بروفيت تهديداً فارغاً. فهذا الرجل المشاكس، الذي عمل في الماضي وسيطاً تجارياً وطياراً اختبارياً، وضع في طليعة اهتماماته مقاضاة مسببي التلوث في هذه المنطقة من جنوب

شرق بنسلفانيا. وكان ربح عدة دعاوى قضائية وظل يتابع بضع عشرة قضية عالقة.

بدأت "دعاوى المواطن" هذه اوائل السبعينات عندما أقر الكونغرس قوانين بيئية تسمح للمواطنين بمقاضاة مسببي التلوث والمسؤولين الحكوميين. وكان بروفيت رفع دعاوى أمام القضاء على شركات مساهمة ومؤسسات لتطوير الاراضي وحتى على مدير الوكالة الاتحادية لحماية البيئة.

وبفضل ألاعيب بروفيت القانونية صرفت السلطات البلدية في مدينة موريسفيل مبلغ ٨،٥ ملايين دولار لتحسين نظام معالجة مياه المجاري وتوسيعه ليشمل مناطق أكبر. كما اضطرت شركة "يو اس ستيل" (المعروفة اليوم باسم USX) التي تملك مصنعاً للفولاذ على النهر، الى دفع غرامة مالية باهظة فضلا عن تحسين طرق معالجة نفايات المصنع ولَحْظ مساعدات مالية لمجموعات حماية البيئة في المنطقة.

يقول بروفيت: "لم أبدأ مقاضاة الناس الا بعدما اكتشفت أنني لم أنجز شيئاً بالتوجه الى الهيئات المختصة. أحس أحياناً بالاحباط، ولكن حذار الوقوف في طريقي. فأنا أعمل من أجل النهر."

تيموثي أبل

في "كريستشان ساينس مونيتور"

لاعب شجاع

يهوى تاكر تشيرش (١٧ عاما) لعبة البايسبول (كرة القاعدة) مع أنه يجد صعوبة في ممارستها. فهذا الفتى التكساسي الذي ولد مصابا بالشلل المخِّي* لا يزن سوى ٢٥ كيلوغراماً ولا يتجاوز طوله ١٤٥ سنتيمتراً. تقول والدته: "قدماه وركبتاه متقوسة على نحو حاد، وكثيراً ما يقع على أرض الملعب."

أصر تاكر على الانضمام الى فريق الفتيان في هيوستون بتكساس، على رغم أن الاولاد في سنه كانوا أضخم وأسرع منه كثيراً. وتقول والدته: "لم يكن له سبيل الى المنافسة."

ويذكر سكوت ديفيس مدرب فريق "شاربستاون بايرتس" الذي صادف أن راقب تاكر في بعض محاولاته: "أخبرته أنني سأكون سعيداً بانضمامه الى فريقي الذي تراوح أعمار لاعبيه بين ٩ أعوام و١٣ عاماً. كنت أدرك أنني أخالف بذلك قانون العمر. لكن الصبي كان شديد التوق الى لعب البايسبول."

بذل تاكر قصارى جهده طوال الموسم. وكان ينجح أحياناً في رد الكرة برفق.

بيد أن المسؤولين عن الفريق تلقوا قبيل المباراة النهائية شكوى تفيد أن المدرب ديفيس يخالف قانون العمر. ويقول ديفيس: "كانوا يعرفون أن تاكر لن يستطيع تسجيل أي اصابة أو المساهمة

(*) Cerebral palsy

في كسب أي مباراة. لكنهم أرادوا ان ننسحب من الدورة. فأُبلغت أن عليَّ طرد تاكر والتنحي عن منصبي."

تقول جودي تشيرش: "بكيت وأنا أشرح الامر لتاكر. فانسحب الى غرفته وأغلق بابها. انه طفل، وما حدث آلمه. لكنه أخبرني لاحقاً أنه حزين بسبب ما لحق مدربه، اذ لا يجوز أن يخسر المدرب وظيفته لمجرد أنه حاول مساعدته."

ذهب تاكر لمشاهدة المباراة النهائية. فطلب زملاؤه في الفريق، وأعضاء الفريق المنافس، السماح له باللعب. فوافق ديفيس. وفي نهاية المباراة حمل اللاعبون تاكر وطافوا به في الملعب. وتقول أمه: "لقد أبكت هذه البادرة الجميع."

أما ديفيس فيقول: "كان عليّ ان أسمح لتاكر بالمشاركة في المباراة النهائية، لانني كنت مدركاً في قرارة نفسي أن ابعاده عن الفريق خطأ."

ويقول تاكر: "انني ممتن جداً للمدرب ديفيس. فأنا أعلم أني لست أفضل اللاعبين."

بوب غرين

في "شيكاغو تريبيون"



سائق نزيه

مددتُ يدي الى جيبي لأدفع ما عليّ في المتجر، لكنني لم أعثر على ورقة العشرين ديناراً التي كنت وضعتها في جيبي قبل قليل. فعدتُ أدراجي الى حيث ترجلتُ من سيارتي في الموقف علّني أجدها هناك. فسألني سائق سيارة أجرة متوقفة بقربي: "عمَّ تبحث؟"

أجبته: "عن عشرين ديناراً."

فقال لي وهو يناولني الورقة المالية: "هاكها."

فشكرته غير مصدق وسألته ماذا يمكنني أن أفعل له عرفاناً بالجميل.

صمت الرجل لحظة ثم قال لي قبل أن ينطلق بسيارته: "يمكنك أن تخبر كل من تشاهده أن من أعاد اليك مالك الضائع هو سائق سيارة أجرة."

ج.ف.

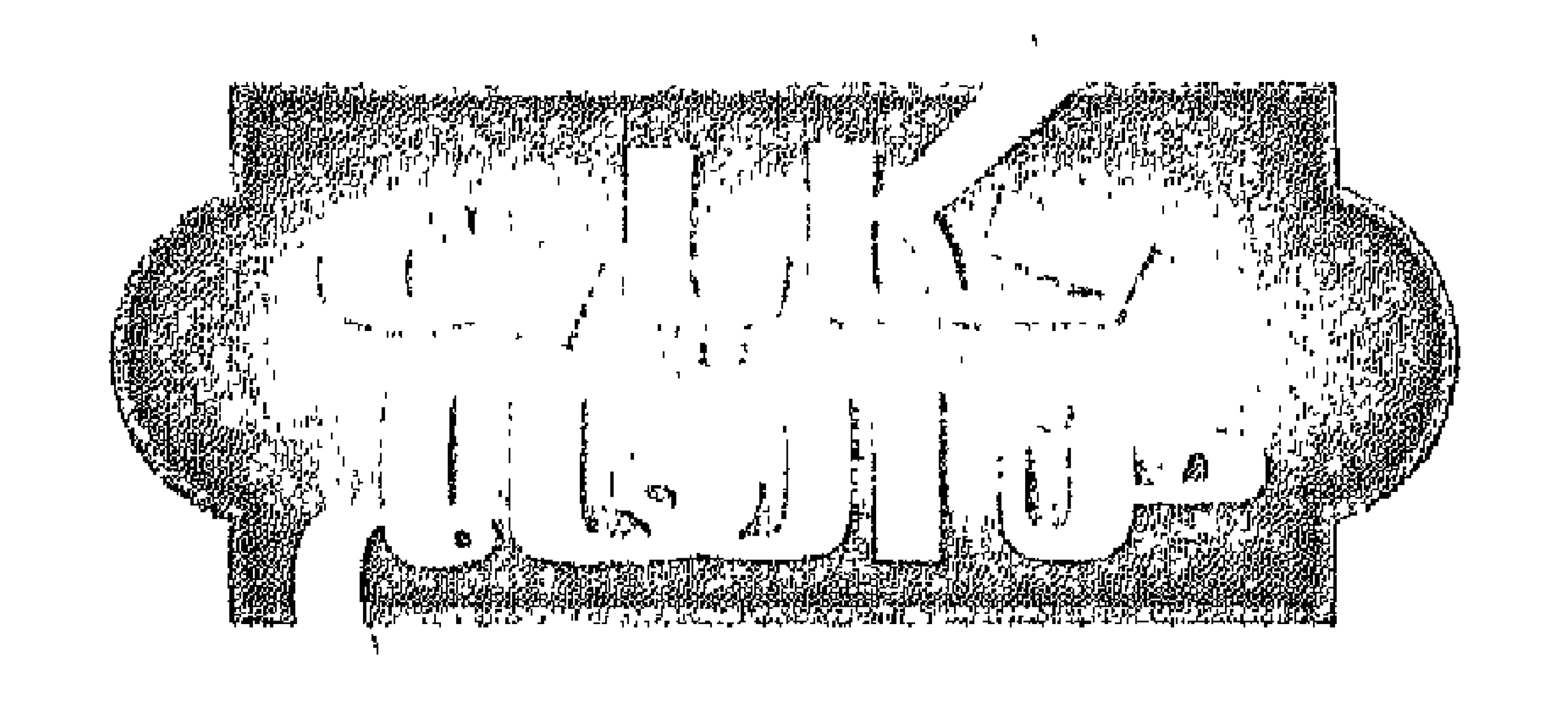
رئيس شاب

انتابني بعض القلق في بداية وظيفتي الجديدة مندوباً لشركة يرئسها شاب. لكن قلقي تبدد حين كنتُ مع الرئيس في سيارته ذات يوم، واذا به ينظر في مرآته ثم يصيح: "لا!" ويوقف السيارة ويقفز خارجاً ليعبر بين السيارات المسرعة فيلتقط سلحفاة تدب على الطريق ويحملها الى حيث الأمان.

وحين عاد الى السيارة قال ببساطة: "كانت لدي سلحفاة في صباي."

فأدركتُ حينذاك أن الشركة في يدين أمينتين.

م.غ.



بصمات الكوالا

□■ تقوم شرطة كوينزلاند وباحثون في جامعة كوينزلاند بأخذ بصمات حيوانات الكوالا للحؤول دون سرقتها من الغابات وحجزها في اقفاص في متنزّهات سياحيّة. ومع أن اكفّ الكوالا لا تحمل بصمات، فان رؤوس أصابعها تظهر نمطاً يعتقده الباحثون فردياً مثل بصمة الانسان. وبهذه الطريقة يستطيع حراس الغابات أن يتأكدوا من "بصمات" أيّ كوالا اذا ما شكوا في أنه مسروق.

صحيفة "وول ستريت"

شرقيون في باريس

□■ تشهد باريس دفقاً من السياح الآتين من بلدان أوروبا الشرقية لمشاهدة المدينة الجميلة. والحقيقة أن "مشاهدة باريس" هي أقصى ما يستطيعه نصف مليون من السياح البولونيين والتشيكيين والمجريين، فحتى تناول فنجان قهوة في مقهى على الرصيف هو ترف مكلف بالنسبة اليهم. وغالبية السياح الأوروبيين الشرقيين يسافرون الى فرنسا جماعات في حافلات (باصات) مدفوعة الأجرة. وينام كثيرون منهم على مقاعد الحافلات أو في مهاجع للطلبة أو ينصبون خيماً في غابة بولونيا على أطراف باريس حين يكون الطقس دافئاً.

وتقول فلاستا فالنتوفا وهي مراسلة اذاعيّة من براغ: "كان حلمي أن أسافر واتعرف الى أماكن جديدة. ومجرّد زيارة باريس ومعرفة أن في امكاني العودة اليها ساعة أشاء امر كافٍ بالنسبة اليّ."

صحيفة "نيويورك تايمز"

كولومبس في الفضاء

□■ هل صحيح أن عوالم في الفضاء الخارجي تحاول الاتصال بنا عبر اشارات تبثها الى الارض؟

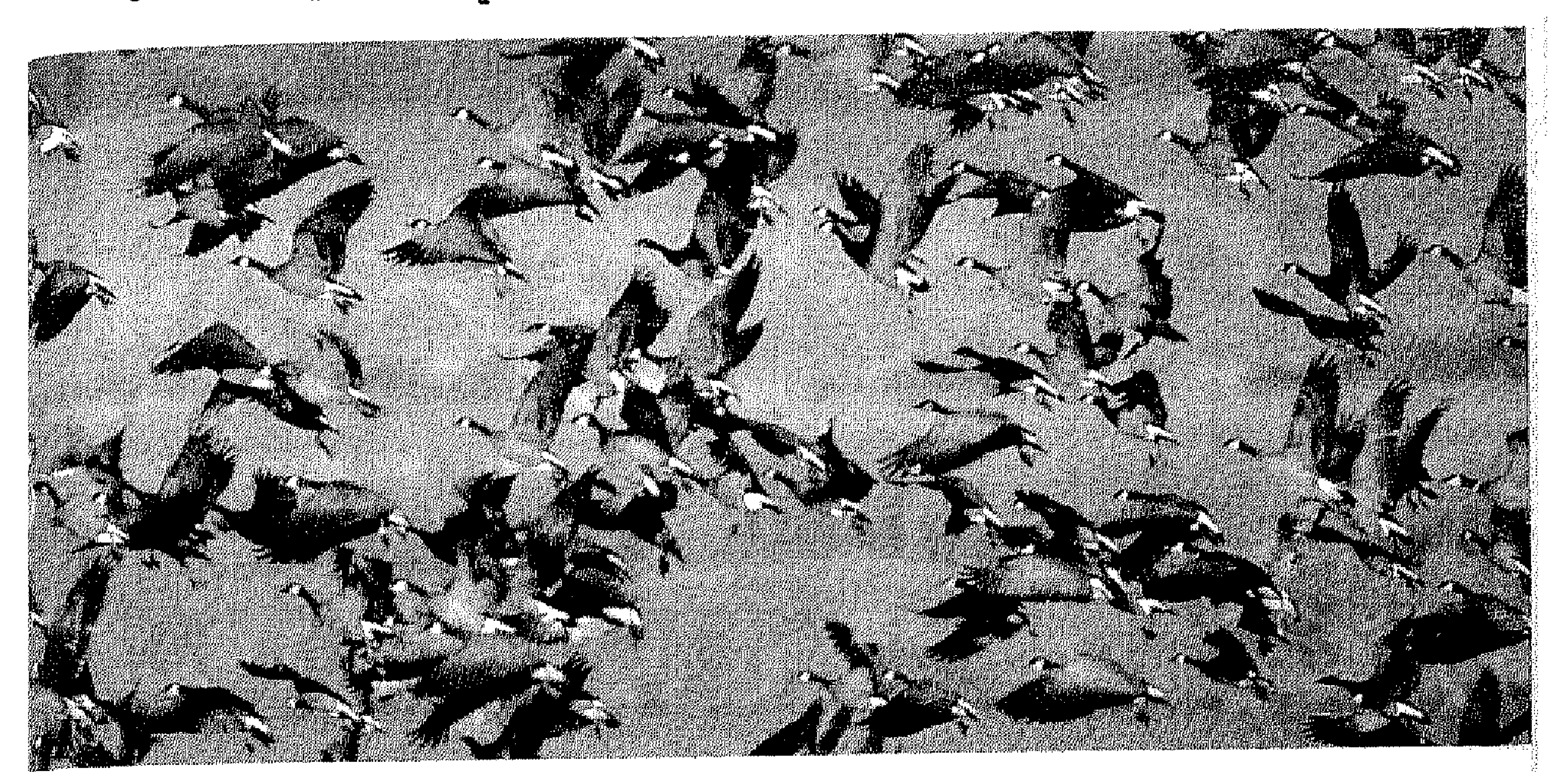
ترغب وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) في معرفة الجواب، وهي تعد مشروعاً لعشر سنين يبدأ في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٢، لمناسبة مرور ٥٠٠ سنة على وصول كريستوفر كولومبس الى العالم الجديد، وغايته البحث عن "كائنات ذكية" في الفضاء الخارجي. وسيكون البرنامج أضخم تحقيق من نوعه أبداً، ويشارك فيه علماء من أنحاء العالم. وسيتركز قسم من البحث على نحو ٨٠٠ نجمة شبيهة بشمسنا، فيما يعنى قسم آخر باجراء مسح شامل للمجرات. وستعمل أجهزة كمبيوتر بتآلف مع نحو ٣٠ مليون قناة راديو في آن.

وسيحاول العلماء تلقّي اشارات فحسب، لا بثها، لان أي كائنات من الفضاء الخارجي تحاول الاتصال بنا حالياً تستخدم، على الارجح، وسائل أكثر تطوراً مما لدينا.

يقول مايكل كلاين العالم الفلكي في "ناسا": "سنكون أطفالا من الناحية التكنولوجية، لذا حري بنا أن نستمع."

مجلة "ناشونال جيوغرافيك وورلد"

نفحات أمل يجيء بها طيران غامض



على جناح طائر

الأصوات الاولى انساقت إليّ في نومي، خافتة كضوء النجوم يخترق الأشجار. ثم دنت. وعندما نهضت وأصبحت خارج الخيمة لم يعد مصدرها موضع شك، حتى في الظلمة. طيور! أجنحتها تنفض الهواء فوق رأسي. أصيخ السمع حتى ترحل وتتلاشى أصواتها، فأحس أن عضلات ذراعيَّ مشدودة وكأني كنت أحلم بالأجنحة.

يؤكد علماء النفس أن الطيران هو أحد المواضيع الاكثر شيوعاً في الأحلام. واذ كنا نُسأل، ونحن تلاميذ صغار، أي الحيوانات نرغب في التشبه بها، كان الجواب غالباً: الطيور. فتحليقها يوقظ في مكنوناتنا حافزاً دفيناً على أن نلمّ شعثنا ونرحل، مستكشفين ذاك القابع خلف الأفق.

والهجرة من أعظم ايقاعات الطبيعة. انها نبض كوكبنا. والطيور، بغالبية أنواعها الـ ٨٦٠٠، تمارس هجرة موسمية ما بين تحليق وجيز للعصافير على سفح جبل وارتحال الخرشنة القطبية[1] مسافة ٣٥ ألف كيلومتر. ومع الربيع تنساق مئات

(١) Arctic tern

© 1990 BY JEFF RENNICKE. CONDENSED FROM BACKPACKER (OCTOBER '90), EMMAUS, PA.
PHOTO: © RENEE LYNN / PHOTO RESEARCHERS

ملايين الطيور الغرّيدة آيبة من الجنوب كأنها نغمات موسيقية متلونة، واخطةً السماء بأجنح كأنها الأنهر الداكنات.

حكاية قديمة. هجرة الطيور معروفة منذ الأزمان السحيقة. وقد اتخذ قدامى الفرس غدوّ الطيور ورواحها أساساً للتقاويم الاولى المكتوبة. وكثيرون منا يبرمجون أعمالهم استناداً إلى وصول أول طائر حناء[٢] أو تغريد أول دُخلة.[٣]

ان تواري الطيور وظهورها مجدداً كل عام أوحى الى الناس نظريات طريفة. فحتى القرن السادس عشر اعتقدوا أن السنونو تمضي الشتاء في قيعان البحيرات بلا حراك، محتشدة متراصّة كحصى مريّش. وبعد مئتي سنة أدى ارتسام ظلال الطيور في سماء الليل إلى اعتقاد مفاده أن طيور البط والاوز تمضي الشتاء مخوِّضة جذلة في بحار القمر.

أما اليوم فيقتفي البحاثة تحركات الطيور بوضع أطواق على أكثر من مليون طائر سنوياً. وبعضها مزوَّد أجهزة إرسال لتعقب الأسراب المهاجرة.

ما الحافز القاهر الذي يدفع الطيور إلى الرحيل؟

معظمها يهاجر سعياً الى الغذاء وليس فراراً من البرد. وعندما كثر مطعمو الطيور في المدن الشمالية اتسعت "المراعي" الشتوية للدوري والحسون وطيور الكاردينال[٤] مما يوحي أن الشتاء بقسوته لا يستطيع طرد بعض الطيور اذا كان لديها ما تقتات به.

وسبب آخر للهجرة هو الضوء. فالطيور قد تحتاج إلى مزيد من نور النهار لتربية صغارها أو حماية أنفسها من الكواسر التي تطوف ليلا بحثاً عن طرائد. ولكن كيف تقدر طيور صغيرة على قطع نصف المسافة حول العالم مرتين سنوياً؟ ان طريقة خط الطيور مساراتها فوق ألوف الكيلومترات من البلاد الغريبة تبقى لغزاً محيراً. لعل الغريزة ترفدها، ولكن معلوم أن الطيور تستعين بمعالم طبيعية تشابه اشارات السير في الشوارع: يساراً عند تلك الجبال... ثم انحداراً إلى النهر. وقد تهتدي في تحليقها بموضع الشمس.

وترتحل بعض أنواع الطيور ليلا، حين تكون الشمس والطبيعة محجوبة، فتهاجر مهتدية بالنجوم. وفي الليالي الغائمات تعرف بعض الطيور سبيلها باستشعار الحقل المغنطيسي للأرض بما يماثل بوصلة داخلها. ويعتقد بعض الباحثين أن حل اللغز كامن في مركّب يدعى "مغنتيت"[٥] اكتُشف داخل جماجم الحمام الزاجل.[٦] ويرى آخرون أن الطيور ترتحل مهتدية بآذانها، وتستبين الأصوات ذات الذبذبة الفائقة الانخفاض – مثل تقلّب موج المحيطات – من بُعد مئات الكيلومترات.

الرحلة الخطرة. ارتحال الطير ليس

---

(٢) Robin
(٣) Warbler
(٤) House finches and cardinals
(٥) Magnetite. وهو اوكسيد الحديد الاسود.
(٦) Homing pigeons

مأموناً على الدوام. ففي ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٧ عثر على نسر أصلع[٧] في ايرلندا، وموطنه الأصلي امريكا الشمالية. واتضح أن رياح الشتاء عصفت به فحرفته عن مساره وعبَرَ المحيط الاطلسي خطأ. وقد عاد النسر الاصلع إلى الولايات المتحدة مشعثاً، منهوكاً، مرتبكاً... في طائرة.

وحتى إن سلكت الطيور المسار الصحيح، فطيرانها عبر القارات محفوف بالمخاطر. فالطيور الغرّيدة قد تفقد قرابة نصف وزنها خلال عبور واحد فوق بحيرة كبيرة. وينفق نحو ٩٠ في المئة من فراخ الطيور الغريدة المهاجرة، في الطريق أو في البقاع الشتوية. وتقضي الضواري والعواصف الفجائية والامتدادات المائية على كثير منها. كذلك يفعل سوء التوقيت، فالرحيل المتأخر يحمل خطر هبوب العواصف، فيما الابكار قد يعني حرماناً من الغذاء الذي ما زال محتجزاً تحت الثلوج.

زد على ذلك العوائق التي اصطنعها الانسان، من مبانٍ شاهقة وهوائيات ومنائر وطائرات. في احدى ليالي مارس (آذار) ١٩٠٤ خُيّل إلى حارس محطة كهرباء في بلدة صغيرة جنوب غرب ولاية مينيسوتا أنه سمع كرات ثلج ترتطم بالسقف. وانجلى الفجر عن منظر مريع: جيَف ٧٥٠ ألف طائر من نوع أبو مهماز[٨] منتشرة في أرجاء البلدة.

أما الطيور المهاجرة التي تبقى قيد الحياة فتعود الى مواطنها مطلع الصيف. ويقدَّر عدد الطيور في ذروة الموسم بعشرين مليارا في أمريكا الشمالية وحدها. ودورها لا يقتصر على الزقزقة ومَوْسقة الأيام، بل انها رسل الصحة البيئية في العالم، تصل ما بين بلدانه بضفائر من طيران.

ومصير هذه الطيور مرتبط، على نحو لا فكاك منه، بمصائر البيئة في أماكن شبه مجهولة على الخريطة، هي محطات تستقطب ملايين الكائنات المجنحة كل عام. وهذا التركيز الكثيف على بقاع قليلة يشجع منظمات مثل "جمعية أودوبون" على بذل جهود لضمان عدم تفكك هذه "الحلقة" في عالم تصل أطرافه خفقات أجنحة.

رحيل الطيور جزء من أحلامنا، وأوبتها توكيد على الأمل البازغ بين ظهرانينا.

جيف رينيك ■

(٧) Bald eagle

(٨) Lapland longspur

مستشار إعلامي

تقدّم رجل لوظيفة مستشار إعلامي لاحد السياسيين. وبعد أيام جاءه الجواب: "ان وثائقك الشخصية التي قدمتها الينا ملأى بالمبالغات والتحريفات وأنصاف الحقائق والاضاليل. لذلك يمكنك أن تبدأ العمل صباح الاثنين."

ج.د.

حقائق علمية تكشف تأثير اختيار الطعام في حياتنا



تبدأ الصحة الجيدة على مائدة الطعام. فالغذاء اليومي مليء بمقومات ذات فاعلية شافية تعزز النشاط وتساعد في الوقاية من المرض وتجعلنا نشعر بحال أفضل ونبدو بحال أفضل. لقد قرأتم جميعاً عن أهمية الألياف ولحم السمك. الا أن هناك طرقاً جديدة تمكنكم من بلوغ فوائد أعم اذا ما اتبعتموها في وجباتكم اليومية:

● ● حاربوا الدهنيات ● ●

• **اختاروا الالوان الفاتحة.** يحوي لحم الطيور المسلوخة الجلد القاتمة اللون ٢٠ في المئة أكثر من الوحدات الحرارية، و١٠ في المئة أقل من البروتيينات، من اللحوم المسلوخة الجلد الفاتحة اللون، فضلا عن ضعفي كمية الدهن.

CONDENSED FROM FAMILY CIRCLE (SEPTEMBER 3, '91), © 1991 BY THE FAMILY CIRCLE, INC., NEW YORK, N.Y. PHOTO: © FPG

• **افحصوا البسكويت الذي تتناولونه**. يتأتى نصف عدد الوحدات الحرارية (كالوري) في معظم أنواع البسكويت من مكوّنات دهنية. ولكي تختبروا النوع الذي تتناولونه افركوا قطعة بفوطة ورقية. فاذا وجدتم آثر شحم على الفوطة جربوا نوعاً جديداً.

• **حاذروا الكثرة**. بينت دراسة أجراها خبراء في جامعة ولاية جورجيا أن ما يتناوله المرء من طعام يزداد تبعاً لعدد الاشخاص المشاركين في المائدة. وفي هذه الدراسة أن حجم الوجبات التي تناولها ٦٣ شخصاً من البالغين المعافين الذين راوحت أعمارهم بين ١٩ و٥٤ عاماً زاد بنسبة ٤٤ في المئة عندما شاركهم آخرون في الطعام مما دفعهم الى استهلاك مقادير أكبر من الدهنيات والوحدات الحرارية.

تحصّنوا من الأمراض

• **أعيدوا القنّبيط الى لائحة طعامكم**. أثبتت عشرات الدراسات أن الذين يكثرون من أكل الخضر هم أقل عرضة للاصابة ببعض أنواع السرطان من المقلّين. فالقنبيط مصدر غني بعاملين مضادين للسرطان هما الفيتامين "ج" والكاروتين البائي،[1] كذلك البطاطا (البطاطس) الحلوة والفلفل الاحمر الحلو واللفت. أما السبانخ فغنية بالحمض الورقي[2] الذي قد يقي من المتغيرات الخلوية المحتمل تحولها سرطانية في الرئتين والرحم.

• **استخدموا الميكروويف**. من الافضل طهو الخضر بسرعة، والميكروويف[3] يحفظ المواد المغذية مثل الفيتامين "ج" على نحو أفضل كثيراً من غليها على مهل في كميات كبيرة من الماء. أما الامثل فهو عدم طهو الفاكهة الطازجة والخضر النيئة لأنها، اذا ما احتفظت بكامل محتواها من الفيتامينات الضرورية، تشكل وقاية فاعلة للصحة.

• **انتقوا الالوان القوية**. اختاروا الفاكهة والخضر ذات الالوان القوية. فالجزرة ذات اللون البرتقالي الساطع، مثلاً، تحتوي على كمية من الكاروتين البائي أكبر مما تحويه جزرة بهت لونها. وأوراق الخس الداكنة الخضرة فيها من الفيتامينات أكثر من الاوراق الفاتحة.

• **حافظوا على بصركم**. يشير بعض الدراسات الى أن الفاكهة والخضر الغنية بالفيتامين "ج" والاصباغ الجزرانية[4] – الحمراء والصفراء والبرتقالية – قد تساعد في الوقاية من السُدّ[5] (اعتمام عدسة العين) إضافة الى دورها الواقي

---

(١) Vitamin C and beta carotene
(٢) Folic acid . ويدعى ايضا الحمض الفولي. وسمي الحمض الورقي لانه قد يستخرج من اوراق النباتات. وهو من مجموعة الفيتامين "ب" المركّب.
(٣) الميكروويف هو فرن الموجة الصغرى.
(٤) Carotenoids

من بعض أنواع السرطان. وأظهرت دراسة في الشيخوخة أجراها مركز أبحاث التغذية التابع لوزارة الزراعة الامريكية ان نسبة الاصابة بالسُدّ بين المتطوعين الذين أفادوا أنهم تناولوا أقل من ثلاث حصص ونصف حصة من الخضر والفاكهة يوميا هي خمسة أضعاف تلك السائدة بين الذين يكثرون من تناول هذه الاطعمة.

• **خففوا من تناول اللحم الاحمر.** تشير دراسة أُجريت في أحد المستشفيات النسائية الى أن النسوة اللواتي أفدن أنهن يتناولن لحم البقر أو الغنم يوميا كطبق رئيسي هن عرضة للاصابة بسرطان القولون أكثر مرتين ونصف مرة من اللواتي يتناولن هذا النوع من الطعام أقل من مرة في الشهر. أما النسوة اللواتي يتناولن السمك والدجاج بدلا من اللحم الاحمر فهن أقل تعرضاً للاصابة بسرطان القولون.

ابنوا عظامكم

• **اختاروا الحليب.** يؤمِّن كوب من الحليب المقشود أو القليل الدسم (سعة ٢٣٥ مليليتراً) أكثر من ثلث الحصة اليومية المقترحة من الكلسيوم للرجال وللنساء ممن تجاوزا الخامسة والعشرين من العمر والتي تقدر. بـ٨٠٠ مليغرام.

• **كثِّفوا عظامكم.** لا تكتفوا بالحليب ومشتقاته لاستكمال حاجتكم اليومية من الكلسيوم. تقول خبيرة التغذية هيلين سونترتون إن الدجاج، عندما يُطهى في حساء حمضي من الخل أو البندورة (الطماطم)، تُطلق عظامه بعضاً من الكلسيوم. أما العظام المتناهية في الصغر التي تنسحن تحت أسنانكم وأنتم تتناولون سمك السردين، فهي غنية أيضاً بالكلسيوم. وهناك بديل آخر هو عصير البرتقال المقوّى بالكلسيوم. كما أن السبانخ وأوراق اللفت الخضراء والقنبيط هي مصادر أخرى غنية بالكلسيوم.

• **قسِّموا المعدل اليومي.** أشارت دراسة أجريت في كلية الطب التابعة لجامعة كرايتون في أوماها الى أن امتصاص الجسم للكلسيوم يزداد بنسبة ٥٠ في المئة لدى تناول ٥٠٠ مليغرام تكميلية على ثلاث دفعات (مع الطعام) بدلا من دفعة واحدة. وسواء اشربتم عدة أكواب من الحليب يوميا أم تناولتم مكملات الكلسيوم مع الطعام، فوزعوها على امتداد النهار لتحظوا بفائدة قصوى.



عززوا نشاطكم

• **اشحنوا جسدكم بالكربوهيدرات.** تناولوا الرز والخبز والبطاطا قبل الشروع في التمارين الرياضية كيما تزودوا عضلاتكم وقوداً وتزيدوا من قدرتكم على الاحتمال.

(٥) Cataracts

• **تذكروا الحمض الورقي**. يؤدي النقص في هذا الفيتامين الى الاجهاد وفقر الدم. أرضوا حاجة جسمكم اليه بالتهام السبانخ والكبد (السوداء) واللوبياء المكحلة والفاصولياء والعدس ورقائق الحبوب المقوّاة بالفيتامينات والقمح غير المقشور.

• **لا تنسوا المعادن**. يؤدي نقص الحديد في الطعام الى تدني النشاط وازدياد خطر الاصابة بفقر الدم. ففي دراسة أجراها مركز أبحاث التغذية التابع لوزارة الزراعة الامريكية تبين أن النساء اللواتي يتناولن ثلث الحصص المقترحة من الحديد يحتجن الى ساعات نوم أطول ويستيقظن خلال الليل أكثر من النسوة اللواتي تتوافر في نظمهن الغذائية كميات كافية من المعادن. ولرفع مستوى الحديد في جسمكم، عليك بالفاصولياء والسبانخ والمشمش المجفف والحبوب والمحار ولحم البقر الخالي من الدهن.

• **لا تهملوا الثيامين**. يساعد هذا العنصر الغذائي (ويدعى أيضاً الفيتامين ب ١) على اطلاق الطاقة الكامنة في الكربوهيدرات أثناء الهضم. أما لائحة الاغذية الغنية بالفيتامين فتضم بزر دوار الشمس والمعجنات ومشتقات الحبوب المقوّاة بالفيتامينات والخبز والرز. ولا تغسلوا الرز والمعكرونة قبل الطهو أو بعده، لانكم إن فعلتم تزيلون مادة الثيامين منهما.

• **عززوا نشاطكم الفكري**. قد تساعد الاطعمة الغنية بمعدن البورون، ومنها التفاح والخوخ والعنب والجزر والقنبيط، في الحفاظ على مستوى النشاط الفكري الطبيعي. وتشير دراسة أعدها مركز أبحاث التغذية التابع لوزارة الزراعة الامريكية الى أن الانسان يشعر بنشاط اقل اذا كانت وجباته فقيرة بمعدن البورون.

أنقذوا قلوبكم

• **حاذروا الكولسترول**. الغلوكانات البائية[٦] ألياف صمغية قابلة للذوبان في الماء، ثبتت فاعليتها في خفض نسبة الكولسترول في الدم. ومن مصادرها الغنية الشعير والشوفان الذي يحتوي كذلك على مركب زيتي[٧] يبطىء معدل انتاج الجسم للكولسترول. كما دلت احدى الدراسات على أن الشعير والشوفان فاعلان أيضاً في خفض مستويات الكولسترول في الدم.

• **راقبوا المغنيسيوم**. هناك ترابط واضح بين انخفاض مستوى المغنيسيوم في الجسم وارتفاع ضغط الدم. ولكي تعززوا مخزون المغنيسيوم في أجسامكم عليكم بالحبوب الكاملة والخضر الخَضرة والفاصولياء المجففة والجوز والبقول واللبن والحليب المقشود مع الشوكولاته.

(٦) Beta - glucans
(٧) Tocotrienol

● **تناولوا المحار.** ثبت أن التحذيرات السابقة من توافر كميات عالية من الكولسترول في بعض الحيوانات الصدفية هي انذار كاذب. وفي الواقع، قد يساعد تناول البطلينوس وبلح البحر والمحار والسلطعون وغيرها من الحيوانات الصدفية المائية في خفض مستويات كولسترول الدم لانها تحتوي على كميات قليلة من المواد الدهنية المشبعة. ففي دراسة أجريت حديثاً في جامعة واشنطن في سياتل وشملت ١٨ رجلا ذوي مستويات طبيعية للكولسترول، أبدل المشتركون اللحم والجبن والبيض بالمحار مراعين استبقاء مستويات الدهن المحتواة في المحار في نصف المعدل الذي تضمنته وقعاتهم السابقة. وبعد ثلاثة أسابيع عمدوا خلالها الى أكل الطعام المطهو بالزيوت النباتية غير المشبعة، تبين أن مستوى أضرِّ أنواع الكولسترول انخفض لديهم بنسبة بلغت ١٤ في المئة.

ديان هايلز ■



امتحان قيادة

كان التوتر بادياً على وجه ابنتي حين اصطحبتها الى مركز امتحان قيادة السيارات. وخشيتُ أن يؤدي اضطرابها الى رسوبها، فتلوتُ في سرّي صلاة صغيرة. وحين عادت الى البيت مبتسمة تحمل اجازة السَوْق أخبرتُها بما فعلتُ، ثم سألتُها عما اذا كانت تعتقد أن نجاحها يعود الى صلاتي، فأجابت: "لا شك يا أبي في أن لصلاتك دوراً مهماً. ثم إن الفاحص أدرك أنني متوترة الاعصاب، فسألني عما يستطيعه لمساعدتي، فطلبت منه أن يصرخ كل بضع دقائق لكي أتخيَّل أنه أمي."

ب.ك.

الحذاء الابيض

طلبت الزبونة من صاحب المتجر قبول إعادتها الحذاء الأبيض الذي اشترته قبل أيام. وبعدما تأكد الرجل من عدم انتعال الحذاء، سألها: "لماذا ترغبين في اعادته؟ ألم يناسبك قياسه، أم تريدين حذاء آخر؟"

فأجابته: "لا، لا. لقد أُلغي الزواج."

إ.د.

مرايا الحظ

قال مروِّض في السيرك لقارئة الحظ: "أترين هذه الفتاة هناك؟ لقد أعجبتني. سأكلمها وأدعوها الى العشاء. فما رأيكِ؟"

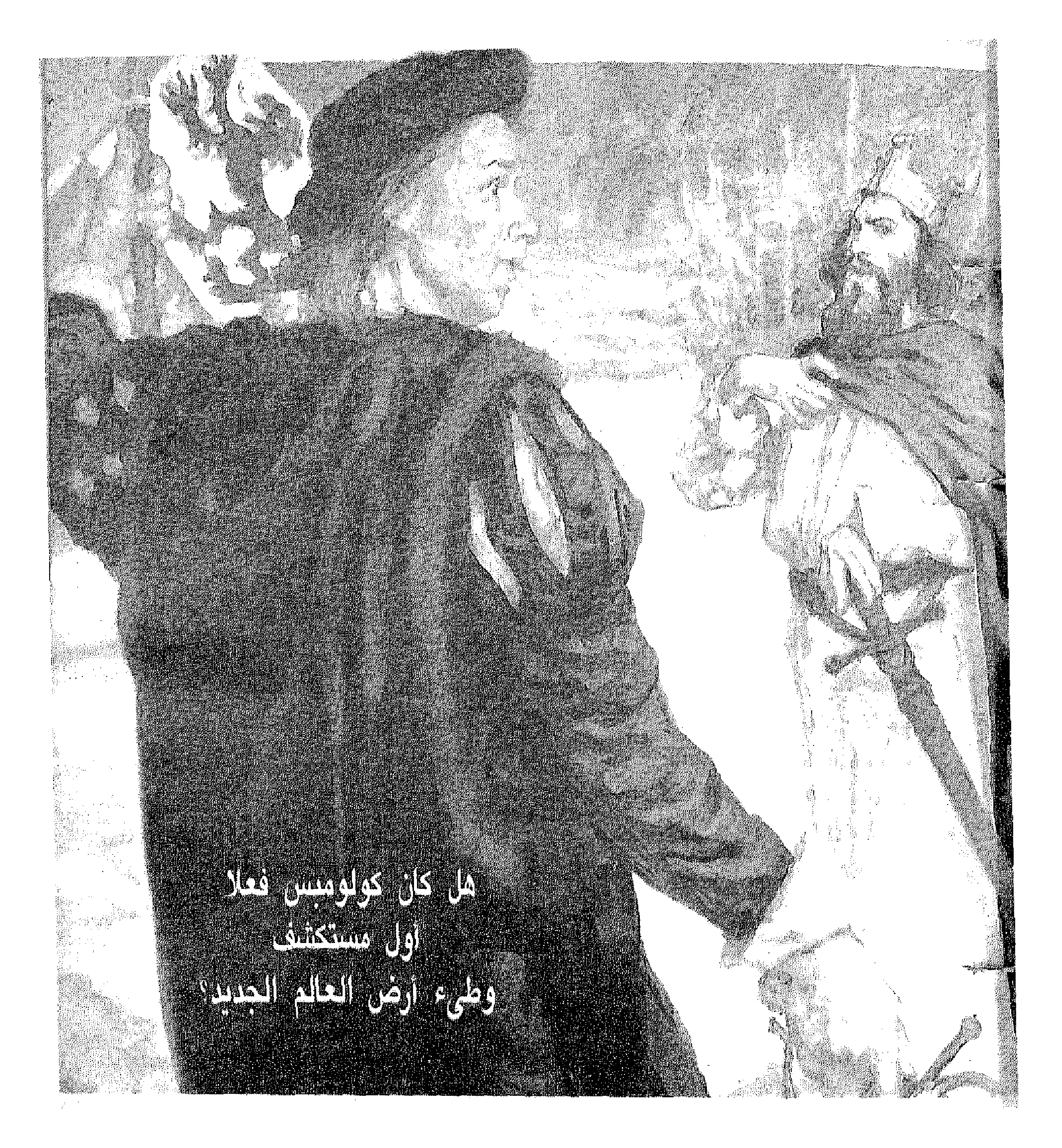
فأجابته بسرعة: "اياك أن تفعل. لقد قلتُ لها قبل قليل إنها ستلتقي رجلا غير جدير بها، والأفضل لها أن تتجنبه."

غ.إ.



من اكتشف أمريكا؟

© 1991 BY DONALD DALE JACKSON. CONDENSED FROM SMITHSONIAN (SEPTEMBER '91), WASHINGTON, D.C.
ILLUSTRATION: RICHARD WILLIAMS



هل كان كولومبس فعلا أول مستكشف وطىء أرض العالم الجديد؟

تحتفل أمريكا هذه السنة بالذكرى المئوية الخامسة لرحلة كولومبس الاولى التي اكتشف فيها العالم الجديد. فمن يتجرأ على تشويه صورة ذلك المستكشف الشهير؟

الواقع أن بعض العلماء والمشككين يحاولون منذ عقود انزال كولومبس عن عرش مجده بطرح نظريات مختلفة مفادها أنه لم يكن أول مكتشف للعالم الجديد.

يقول عالم الآثار دين سنو: "هذه قضية لا حلّ لها. فلا سبيل الى معرفة بعض الامور." وتراوح النظريات

© 1991 BY DONALD DALE JACKSON. CONDENSED FROM SMITHSONIAN (SEPTEMBER '91), WASHINGTON, D.C.
ILLUSTRATION: RICHARD WILLIAMS

المتضاربة بين المقنعة المعقولة والمُحال المنافية للمنطق. وهنا خمس من النظريات المتطرفة حتى لكأنها من نسج الخيال:

يابانيون في الاكوادور. عام ١٩٥٦ عثر أحد المنقّبين الهواة في ساحل الاكوادور على كِسَر فخارية تعود الى خمسة آلاف سنة خلت. وحين فحصتها عالمة الآثار الامريكية بيتي ميغرز دهشت للتشابه الدقيق بين الكِسَر الاكوادورية والقدور المصنوعة في العصر ذاته في جزيرة كيوشو اليابانية. وهي تتذكر: "كانت متشابهة الى حد بدت الكسر كأنها من قدر يابانية."

خمّنت ميغرز أن عاصفة ضربت مركب صيد ياباني فانجرف في "تيار اليابان" شمالا شرقاً الى قبالة سلسلة جبال ألوشان في ألاسكا، فجنوباً في محاذاة ساحل أمريكا الشمالية حيث علق في تيارات مائية حملته الى شواطىء أمريكا الجنوبية.

ولماذا رسا المركب في الاكوادور؟ تجيب ميغرز: "ذلك بسبب نتوء الشاطىء هناك."

لكن المشككين يلمحون الى غياب أي دليل آخر على وجود ياباني في الاكوادور. ويذكرون باكتشافات حديثة تشير الى أن الصناعة الفخارية وجدت في العالم الجديد قبل وصول بعثة كيوشو المزعومة.

يهود في تنيسي. اكتشفت في العام ١٨٨٩ تسعة هياكل عظمية في مدفن في بات كريك بولاية تنيسي الامريكية. واعتقد العلماء أنها هياكل هنود حمر، وأن الكتابة المحفورة في حجر تحت إحدى الجماجم هي رسالة في لغة قبيلة "شيروكي." انما في العام ١٩٧٠ أعلن المؤرخ سيروس غوردن الخبير باللغات الشرق الاوسطية القديمة، أن الباحثين كانوا في الحقيقة يقرأون الحجر مقلوباً. واستنتج أن الكتابة تقرأ: "الى اليهوذيين" أو "الى يهوذا"، وتشبه تلك المنقوشة على قطع نقد عبرية تعود الى قرابة العام ١٣٠ الميلادي.

وعلى رغم التساؤلات المطروحة في أوساط علماء الآثار حول أصالة الحجر فذلك لم يزعج غوردن. وهو يقترح أن هياكل تنيسي التسعة قد تكون لأحفاد لاجئين يهود هربوا من اضطهاد روما ما بين العام ١٣٢ والعام ١٣٥. ويضيف: "تصوَّر نفسك هناك. أنت أحد الاقلية المضطهدة، وشعبك بحارة، فماذا تفعل لكي تنجو من الاضطهاد؟ تبتعد الى أقصى ما في امكانك، وتعمد حتى الى عبور المحيط الاطلسي." ومن ثم ربما دخلت خليج المكسيك وأبحرت في النهر بعكس اتجاه التيار ووصلت بطريقة ما الى بات كريك.

صينيون في المكسيك. افتتنت أجيال من العلماء بوجوه الشبه المدهشة بين الحضارة الصينية القديمة والحضارة المكسيكية ما قبل كولومبس، ومنها شعار التنين، واحتفالات استنزال المطر،

والفخاريات الثلاثية القوائم، واستخدام حجر اليشب[١] في تزيين المدافن، وتقنيات صنع الورق. فالمشهّرون بكولومبس يدّعون أن صينياً زار المكسيك. ويرجح كثيرون أن يكون ذلك الصيني هوي – شن الناسك من القرن الخامس.

وفي الرواية أن هوي – شن وأربعة نساك آخرين أبحروا عبر "البحر الشرقي العظيم" الى بلاد دعوها فو – سانغ حيث شاهد هوي – شن، وفق روايته هو، شجرة عجيبة تُنبت فروعاً تؤكل وثمراً أحمر ولحاء يستخدم في صنع الورق والقماش. وشجرة الباهرة (الاغاف)[٢] المعروفة في المكسيك تنبت فروعاً طرية تؤكل، ويُستخدم لحاؤها في صنع الورق والقماش.

لكن رواية هوي – شن تحفل بالمغالطات. فشجرة الباهرة خالية من الثمر الاحمر. ثم ان ذلك الرحالة يصف ماشية وعربات مجهزة بعجلات لم تكن معروفة في المكسيك القديمة. واخيراً، ليس في "خزانة الآثار" شيء من مصنوعات هوي – شن.

انكليز في فلوريدا. جاء في كتاب بريطاني من القرن السادس عشر أن الامير مادوك كان محباً للسلام. وبعد وفاة والده ملك شمال ويلز دبّ الخلاف بين أشقائه، فارتحل مادوك في القرن الثاني عشر "الى ناحية من نوفا هسبانيا أو فلوريدا." وعاد الى ويلز فجمع حمولة عشرة مراكب من المستوطنين وتوارى ثانية في عباب البحر الغربي.

واستمر ترداد هذه القصة حتى القرن التاسع عشر تغذيها روايات عن هنود في أمريكا شقر البشرة زرق العيون. وتزعم النظرية الاكثر شيوعاً أن مواطني مادوك تزاوجوا والهنود وهاجروا الى داكوتا حيث عرفوا بـ"هنود ماندان."

ولكن، كما يلاحظ جيفري آش المؤرخ وعالم الميثولوجيا،[٣] تذكر الروايات أن "الهنود الويلزيين كانوا غالباً متوغلين داخل البلاد الى أبعد من المكان الذي بلغه الرحالة." وربط مشككون آخرون توقيت إطلاق رواية مادوك بحاجة بريطانيا في تلك الحقبة الى دعم حقها في أمريكا الشمالية.

اسكندينافيون في بوسطن. في الستينات، أثبتت اكتشافات أثرية في نيوفاوندلاند أن اسكندينافيين قدماء سبقوا كولومبس الى نصف الكرة الغربي بنحو ٥٠٠ سنة.

فقد اكتشف عالم الآثار النروجي هيلغ إنغستاد مستوطنة اسكندينافية ومصنوعات يدوية تثبت صحة الاساطير الايسلندية القديمة الزاخرة بالمآثر البطولية.

ويُنسب الاكتشاف الاسكندينافي عادة الى ليف اريكسن. لكن الاساطير البطولية

---

(١) Jade
(٢) Century plant
(٣) الميثولوجيا علم الاساطير.

تذكر أن الاسكندينافي بيارني هيريولفسن كان أول من رأى أمريكا في العام ٩٨٦. ولو نزل الى الشاطىء لاستأثر بقسط أكبر من الاهمية في التاريخ. لكنه، كما يبدو، أبحر قبالة شواطىء كندا وعاد مسرعاً الى المستوطنة الاسكندينافية في غرينلاند. أما ليف، البطل المقدام، فتبعه بعد ١٤ سنة سالكاً الطريق من غرينلاند الى كندا، ونزل في مكان يدعى "فنلاند ذي غود." ويعتقد أينار هوغن الخبير بالكتابة الاسكندينافية القديمة أن ليف وصل الى ما يسمى حالياً بوسطن في ولاية مساتشوستس.

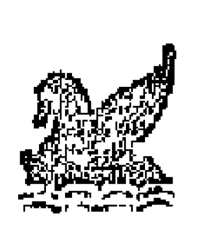
يأتي كريستوفر كولومبس على رأس قائمة طويلة من المدّعين، لكنه يسمو فوقهم جميعاً، وصورته بقيت سليمة وإن اهتزت قليلاً.

يقول المؤرخ سيروس غوردن: "كان كولومبس رجلاً فريداً اذ ربط بين نصفي الكرة الارضية، شرقاً وغرباً، باخباره العالم كله عن رحلاته. فكان، اذا جاز القول، المكتشف الاول الذي عقد مؤتمراً صحافياً." وحتى إن سبقه آخرون الى العالم الجديد، فان إعلامه الواسع عن رحلاته هو الذي حمل الاوروبيين على استيطان العالم الجديد.

فماذا يفيدنا كل ذلك عن حقيقة اكتشاف العالم الجديد؟

لعل في قول طريف منسوب الى الكاتب الامريكي مارك توين ما ينطبق على الواقع: "إن أبحاث المعلّقين ألقت كثيراً من الظلال والغموض والشكوك على هذا الموضوع. وأخشى، إن هم استمروا في أبحاثهم، ألا نعود نعرف شيئاً على الاطلاق."

دونالد ديل جاكسون ■



حصانان

ذهب الوكيل العقاري في جولة يعلّم خلالها الموظف الجديد اصول المهنة. ولاحظا على الطريق امام منزل ريفي لافتة قرأا فيها عبارة "للبيع." فدخلا المنزل ومضيا يجوبان غرفه ويستفسران عن السعر والشروط.

أخيراً قال لهما صاحب المنزل ملتقطاً انفاسه: "عذراً، يبدو انكما لم تقرأا اللافتة جيداً. لقد كتب عليها "حصان للبيع."

ب.و.

شهرة مخيفة

بعدما انجز الرسام لوحة تمثل ثلاثة اولاد لعائلة ثرية، قال له صغيرهم: "هذه اللوحة تشبهنا حقاً. اراهن على انك ستصبح شهيراً جداً بعد موتك."

إ.ج.

قوة الإرادة تصنع معجزات

مقاومة الاغراءات في نصف المعركة...

عملت باميلا جونسون خلال دراستها الجامعية مع عالم أنثروبولوجي* شهير. واذ سرتها التجربة، قررت التخصص بهذه المادة ومتابعة الدراسة بعد التخرج. لكنها سرعان ما تزوجت وأنجبت وتفرغت لعائلتها. وعلى رغم ذلك لم تفقد رغبتها في الدراسة ومساعدة الشعوب القبلية. وما ان بلغ ابنها عامه الثالث حتى عادت الى الجامعة لتنخرط في دراسة مضنية استغرقت أربع سنوات. وفي نهاية المطاف نالت شهادة دكتوراه وتسلمت مركزاً حكومياً مهما يعنى بمساعدة شعوب العالم الثالث.

نحن نحتاج أمام كل عقبة الى قوة ارادة فاعلة، كما نحتاج أمام كل قرار صعب الى قوة داخلية تدفعنا الى مواجهة التحدي وتتيح لنا الاستمرار. لكننا غالباً ما نقصر عن بلوغ غاياتنا، فنستكين قائلين: "إني لا أمتلك قوة ارادة كافية."

والحقيقة أن قوة الارادة ليست صفة مولودة ثابتة، انما هي مهارة تمكن تنميتها وتقويتها وتوجيهها.

كتب العالم النفساني الايطالي روبرتو اساغيولي قبل ٢٥ عاماً أن "من أهم ما يعتمل في ذات الانسان من قوى دفينة هو ما يكمن في ارادته الذاتية من طاقة هائلة غير محققة." ويضيف العالم النفساني ألن مارلات الذي يدرس فعل الارادة في تغيير عادات الناس وحياتهم، أن "الارادة المدربة سلاح ماض. وقوة الارادة، كما تعرِّفها القواميس، هيَ سيطرة المرء على انفعالاته وأفعاله. والمفتاح هنا كلمتان: قوة وسيطرة. فالقوة موجودة، ولكن علينا السيطرة عليها."

أما السبيل الى تحقيق ذلك فهو، بحسب مارلات وغيره من الخبراء، الآتي:

كونوا ايجابيين. اياكم أن تخلطوا بين الارادة ونكران الذات. فقوة الارادة تكون أكثر ديناميكية عندما ترتبط بأهداف نبيلة وايجابية.

(*) الانثروبولوجيا او علم الانسان يبحث في اصل الجنس البشري وتطوره واعراقه وعاداته ومعتقداته.

أدرك رجل أعمال أنه يكثر من الشراب. لكن بضع كؤوس قبل العشاء كانت، كما بدا له، تخفف من وطأة توتره الناجم عن عمله المرهق. وسرعان ما كان النعاس يستبد به، فيستسلم لسنة الكرى. يقول: "أدركت ذات يوم أن الحياة تمر بي جزافاً." وبدلاً من المضي في عادته السيئة قرر أن يقضي مزيداً من الوقت في التحدث الى ابنه. وصعب عليه الامر في البداية، واشتاق الى ما يهدىء به أعصابه المشدودة. لكنه أيقن أخيراً أن ما حققه بانصرافه الى الحياة العائلية لم يكن خسارة، بل كسب أدى الى تعبئة طاقته للعمل على نحو لم يتصوره من قبل.

ان فعل الارادة الايجابي لأمر يساعدنا في التغلب على الخمول ويتيح لنا التركيز على المستقبل.

صمموا على أمر. حدّد جايمس بروشاسكا أستاذ علم النفس في جامعة رود أيلند أربع مراحل تدخل في صنع التغيير: مرحلة ما قبل التفكّر (مقاومة التغيير) ومرحلة التفكّر (مقارنة الايجابيات والسلبيات) ومرحلة الفعل (تطبيق الفعل الارادي لتحقيق التغيير) ومرحلة الدفاع (استخدام قوة الارادة لاستبقاء التغيير). ويصف بروشاسكا بعض الناس بالمتفكرين المزمنين الذين يدركون أن عليهم الاقلاع عن عاداتهم السيئة لكنهم ينزعون الى التروي فلا يقرنون القول بالفعل.

ولكي تتمكنوا من تركيز جهودكم وتعبئتها، اعتمدوا موعداً نهائياً لتحقيق أهدافكم.

بدأ القلق يساور معلمة المدرسة مارج كولينز بسبب ازدياد وزنها. ثم انتُخبت رئيسة لاحدى الجمعيات. فاشترت ثوبا أصغر من حجمها بقياسين، وعقدت العزم على انقاص وزنها سبعة كيلوغرامات لكي يتسنى لها ارتداؤه في الحفلة السنوية بعد ثلاثة أشهر. وفي الموعد المحدد كانت مارج بلغت هدفها المنشود.

ركزوا على أهداف محددة. أجرى العالم النفساني آلن مارلات دراسة على مجموعة من الناس الذين أخذوا قرارات بتغيير نمط عيشهم. فتبين له أن الأنجح بينهم كانوا أولئك الذين اعتمدوا أهدافا أكثر تحديداً. فلقد قرر أحدهم، مثلاً، أن يثني على زوجته كل يوم، فبقي محافظاً على قراره. أما الرجل الذي قطع على نفسه عهداً مبهماً أن يكون أكثر تعاطفاً مع عائلته، فعاد الى أسلوبه التشاجري السابق بعد أيام.

يقول مارلات في ذلك: "لا تقل سأُكثر من التمرينات أو سأزيد ساعات المطالعة، بل قل سأمشي حوالى ٤٥ دقيقة كل صباح أو سأُخصص ثلاث ساعات في الاسبوع للمطالعة."

آمنوا بقضاياكم. اذا كان ايمانكم بجدوى التمارين الرياضية ضعيفاً لأنكم لا ترون منافعها، فالرغبة وحدها لن تكفي.

ينصح مارلات زبائنه باعتماد شبكة

رباعية لادراج المنافع والاعباء في الآجال القصيرة والآجال الطويلة. فاذا قرر أحدهم، مثلا، الاقلاع عن عادة التدخين، فعليه مَلء أحد المربعين العلويين في الشبكة بالاعباء القصيرة الامد (مثل: سأعاني بادىء الامر) ومَلء المربع العلوي الآخر بالمنافع القصيرة الأمد (مثل: سأدخر مزيداً من المال). أما المربعان السفليان فمعدًّان لادراج المنافع الطويلة الامد (مثل: ستتحسن صحتي) في مقابل الاعباء الطويلة الامد (مثل: لن يبقى لدي مسكِّن آنيّ لتوتري). فالافصاح عن السلبيات والايجابيات وسيلة ناجعة تسهل على متَّبعيها تقوية اراداتهم وتفعيلها.

عزّزوا نظرتكم الى ذواتكم. يقول بروشاسكا إن معرفة المنافع وحدها لا تكفي. فالدافع الاقوى يتمثل في رغبة المرء في تحسين نظرته الى ذاته والتحكم في حياته. يقول: "الجدل العقلاني مقنع، لكن المرء لا يستجيب حقاً إلا متى أقحم عاطفته."

أصيب أحد المدخنين في كاليفورنيا بالتهاب في الشُعَب الهوائية، لكنه بقي يدخن ثلاث علب في اليوم على رغم تحذيرات الطبيب وما لحقه من سعال مؤلم. يقول: "أدركت فجأة كم أنا غبي، فأنا آذيت نفسي عمداً. ومراعاة لذاتي، أقلعت عن التدخين نهائياً." لقد منحته التفاتته الى ذاته الارادة الكافية للتغلب على عادته السيئة.

"تصرفوا كأنكم..." اشتهر الجنرال الفرنسي الفيكونت دو تورين في القرن السابع عشر بأنه كان يتقدم الجند في المعارك. ولما سئل عن السبب أجاب: "أتصرّف كأنني شجاع، على رغم أن الخوف لا يفارقني أبداً. لكنني لا أستسلم للخوف، بل أقول لجسدي: ارتجف أيها الجسد العجوز، ولكن سِرْ! فيسير جسدي طائعا."

وإذا تصرفتم كأنكم أصحاب ارادة صلبة، فان ذلك يساعدكم في أن تصبحوا كذلك فعلاً. ولا تكفوا عن التحدث الى أنفسكم قائلين: "اني لمصمم على ترك عادتي السيئة." ولسوف تنجحون.

اشحذوا ارادتكم. اقترح العالم النفساني بويد باريت عام ١٩١٥ لائحة نشاطات تكرارية من أجل تمرين الارادة، كأن يجلس المرء في كرسي ويقوم منه ثلاثين مرة متتالية، أو أن يفرغ علبة كبريت ويعيد ترتيب العيدان واحداً واحداً. وقد أكد باريت أن التمرينات هذه تقوي الارادة لمواجهة التحديات الصعبة.

وفي وسعكم اتباع هذا النمط وإنْ بدت مقترحات باريت قديمة العهد. ضعوا لائحة بالمهمات التي ينبغي عليكم تأديتها صباح العطلة، ولا تتناولوا الغداء قبل انجازها. حددوا يوماً في الشهر لدفع الفواتير المستحقة، والتزموا ذلك التاريخ.

استعدوا للمشاكل. ان مقولة "حيث توجد الارادة توجد طريق" هي

جزء من الحقيقة ليس إلا. فعليكم، اضافة الى قوة الارادة، أن تستبقوا العقبات وتخططوا لمواجهتها.

سول شيفمان أستاذ في علم النفس في جامعة بيتسبرغ عمل مع مجموعة أشخاص عادوا الى التدخين بعد فترة انقطاع. فتبين له أن معظمهم لم يحتطْ لمواجهة الدافع الملحّ الى التدخين. لقد تمكنوا بفعل ارادتهم من ترك هذه العادة، لكنهم لم يستطيعوا الصمود طويلاً. ولما عُرضت عليهم أول سيجارة وقعوا في حبائلها من جديد.

لذلك، اذا أقلعتم عن عادة سيئة، فتمرنوا على اجابة مناسبة تواجهون بها مَنْ قد يغريكم بالعودة اليها يوماً. وإذا قررتم ممارسة رياضة الهرولة صباحاً وأفقتم على عاصفة قوية، فكونوا مستعدين لممارسة بعض التمارين داخل المنزل.

كونوا واقعيين. قد تتداعى ارادة الانسان مهما عظمت عندما يسعى، مثلاً، الى انقاص وزنه ٢٠ كيلوغراماً خلال ثلاثة أشهر أو يرغب في ممارسة الرياضة ثلاث ساعات كل يوم. والاخفاق يطيح الرغبة في تكرار المحاولة.

قد يكون أفضل للمرء في بعض الاحيان أن يضع نصب عينيه مجموعة من الاهداف الصغيرة بدلاً من هدف واحد كبير.

قسموا هدفكم أجزاء يومية صغيرة كي يتجدد تصميمكم في اليوم التالي وتتجمع لديكم في نهاية الاسبوع انتصارات يمكنكم التطلع اليها برضى.

كونوا صبورين. الارادة القوية لا تُكتسب بين ليلة وضحاها. فهي تُبنى قليلا قليلا، وقد تتعرض لنكسات. حاولوا معرفة أسباب ارتدادكم، وضاعفوا جهودكم ثانية.

حاولت صديقة لي الاقلاع عن التدخين للمرة الاولى. لكنها فشلت. وبعد تفكير طويل أدركت أن جل ما كانت تبتغيه هو تشغيل يديها. فالتقطت صنارتين وراحت تحوك الصوف كلما أحست حاجة الى سيجارة. فتمكنت خلال شهر من انجاز كنزة لزوجها، وتخلصت من عادة التدخين نهائياً.

حافظوا على مواقفكم. إنْ الارادة القوية تزداد قوة كلما حققتْ نجاحاً. فنجاحكم، مثلاً، في شحن ارادتكم للتخلص من عادة سيئة أو لترك وظيفة لا مستقبل فيها، يمنحكم ثقة لمواجهة تحديات أخرى.

كما يعزز سجل النجاحات الثقة بالنفس ويمنحكم كما يقول أساغيولي، "قدما راسخة على حافة الفعل الارادي." ومع أنكم قد تواجهون مزيداً من المهمات الصعبة، فأنتم قادرون على قهرها تبعا لما أنجزتموه من انتصارات سابقة.

أديون كيستر الابن
وسالي فالانتي كيستر ■



الحب أعمى

■ اذا كنتَ لا تحب شخصاً، فان طريقة التقاطه شوكة طعام قد تثيرك. أما اذا كنت تحبه، ففي امكانه أن يقذف صحنه على ثيابك من دون أن يرفّ لك جفن.

إ.ب.

الفكاهة عند الرؤساء

■ مهم جدّاً أن يتمتع الانسان بروح الفكاهة، وخصوصاً اذا كان هو نفسه موضوع فكاهاته. فالرئيس (الامريكي الأسبق) هوارد تافت كان يسخر من بدانته، وذلك لم يسىء أبداً الى كرامته الشخصية، فالشعب أحبه كثيراً. واعتاد الرئيس ابرهام لنكولن اطلاق النكات في اللحظات المتوترة الحرجة، وغالباً ما استهدف نفسه بدعاباته، والتاريخ يحفظ له هذه الميزة الانسانية بكثير من التقدير. فروح الفكاهة جزء من فن القيادة والتماشي مع البشر وانجاز الامور الكبيرة.

دوايت ايزنهاور، رئيس امريكي أسبق

الجريمة والثواب

■ المجرم المحترف متطوع. وكل ما يبتغيه المجتمع منه هو أن يكفَّ عما يفعل، وهذا لا يبدو أمراً صعب التحقيق. وليس من قبيل المبالغة القول إن كل الناس قادرون على الا يسرقوا سيارة أو الا يروّجوا مخدّرات أو ألا يستبيحوا الممتلكات الخاصة أو الا ينهبوا محلا تجاريا. لا احد يطلب من المخلّ بالقانون أن يركض كيلومترين في أربع دقائق أو يترجم مخطوطة قديمة أو يعزف مقطوعة على الارغن. فاطاعة القانون لا تتطلّب موهبة ولا تدريباً، وهي في مقدور الجميع.

د.س.

الارض بناسها

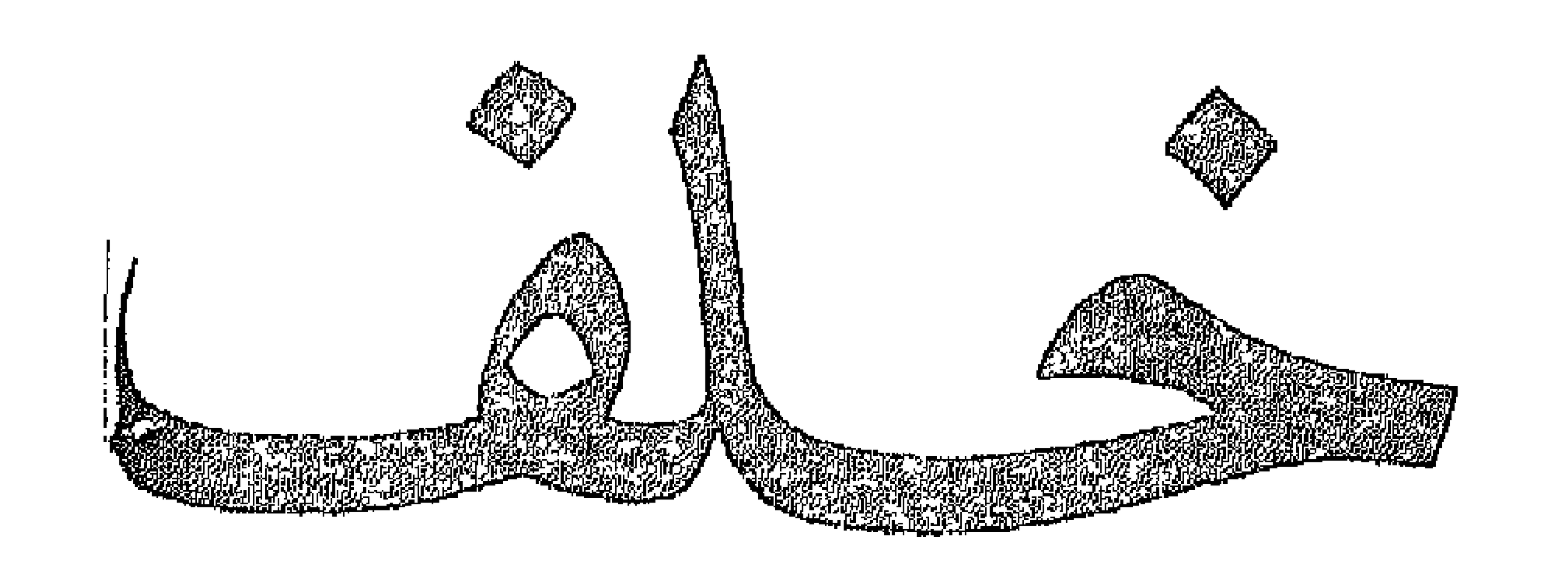
■ سيبدو لنا العالم فارغاً إن لم نفكر الا في الجبال والأنهار والمدائن. ولكن أن نعرف امرأً يفكّر ويشعر معنا ويكون قريباً منّا على رغم بعد المسافة بيننا، فذلك يجعل الأرض في عيوننا جنة مأهولة.

غوته، شاعر وفيلسوف الماني (١٧٤٩ - ١٨٣٢)

سرّ الجمال

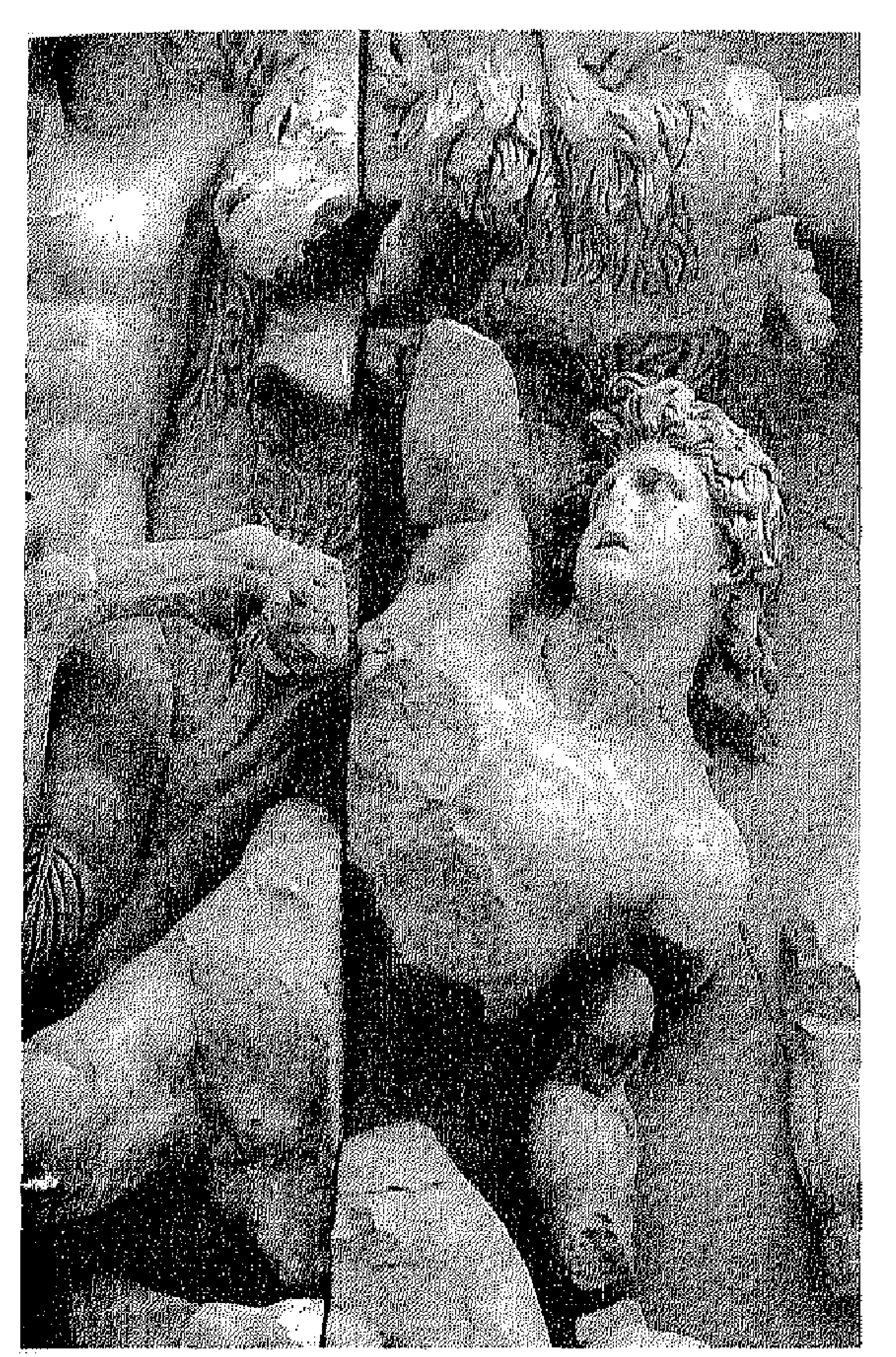
■ يعود سبب تألّق العرائس والنساء الحوامل الى السعادة لا الى مستحضرات التجميل. فالمراة المفترّة الثغر الضاحكة القسمات هي امرأة جميلة مهما ارتدت من ثياب. ونحن النساء، حين ندع آخرين يختارون اثوابنا ويبرجوننا، او حين نلجأ الى جراحات تجميل لمحو تجاعيد الألم والسنين، لا نغدو اكثر جمالا، بل نتقلص وتُنْتقص لكي نلبي مطلباً خارجياً.

ا.ر.



مجموعة نادرة من الآثار الاغريقية انكشفت للعالم بانهيار جدار برلين





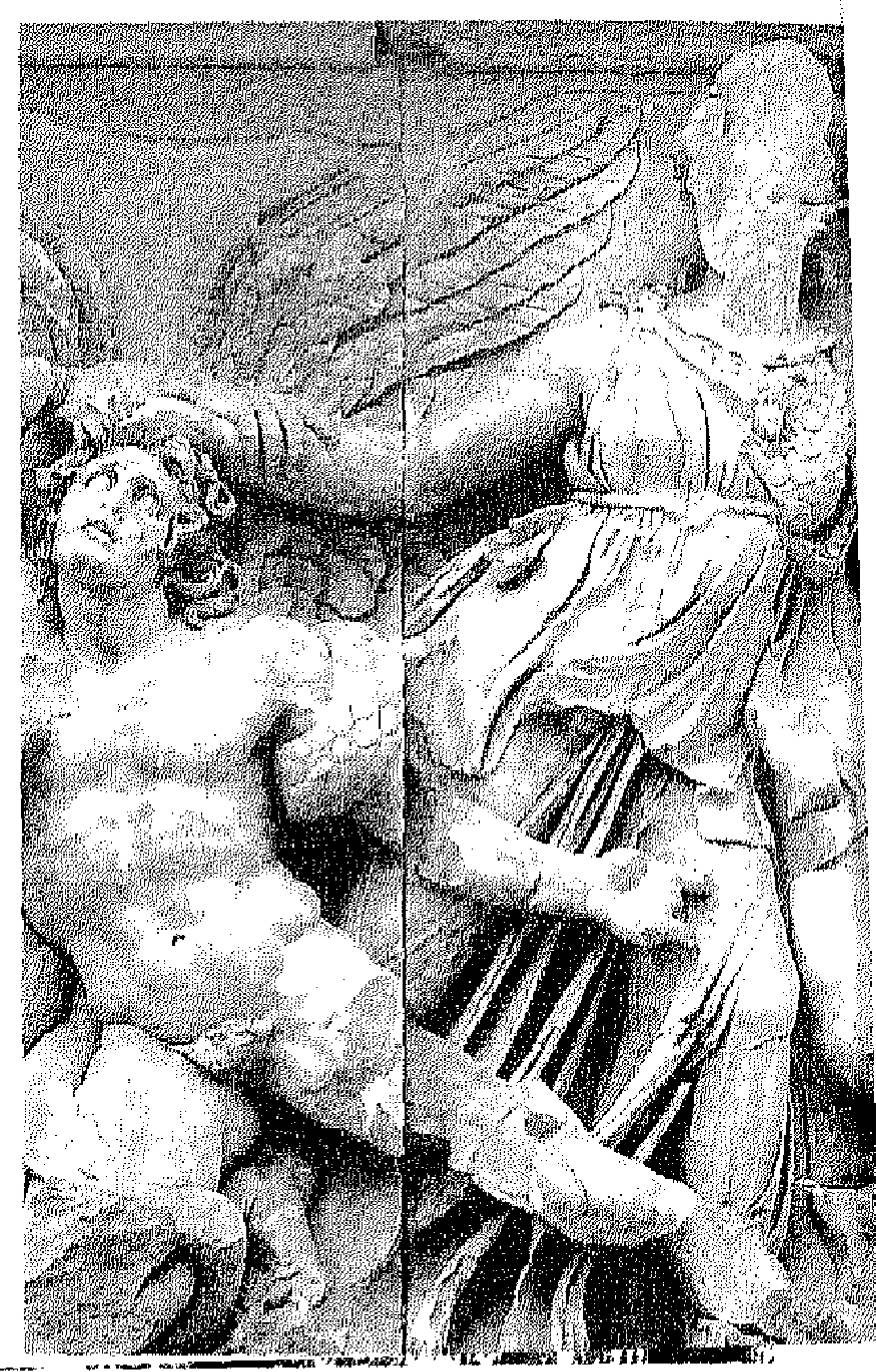
يواجه داخلُ القاعة الكبرى في متحف برغامون في برلين سلّماً فسيحة بيضاء تفضي درجاتها المتعالية الى مذبح تحوطه أعمدة اغريقية مهيبة. وتطغى الحيرة على المشاهد فيخال نفسه واقفاً أمام صرح تاريخي عظيم يرقى الى حضارة غابرة مجلل بالمجد والجمال.

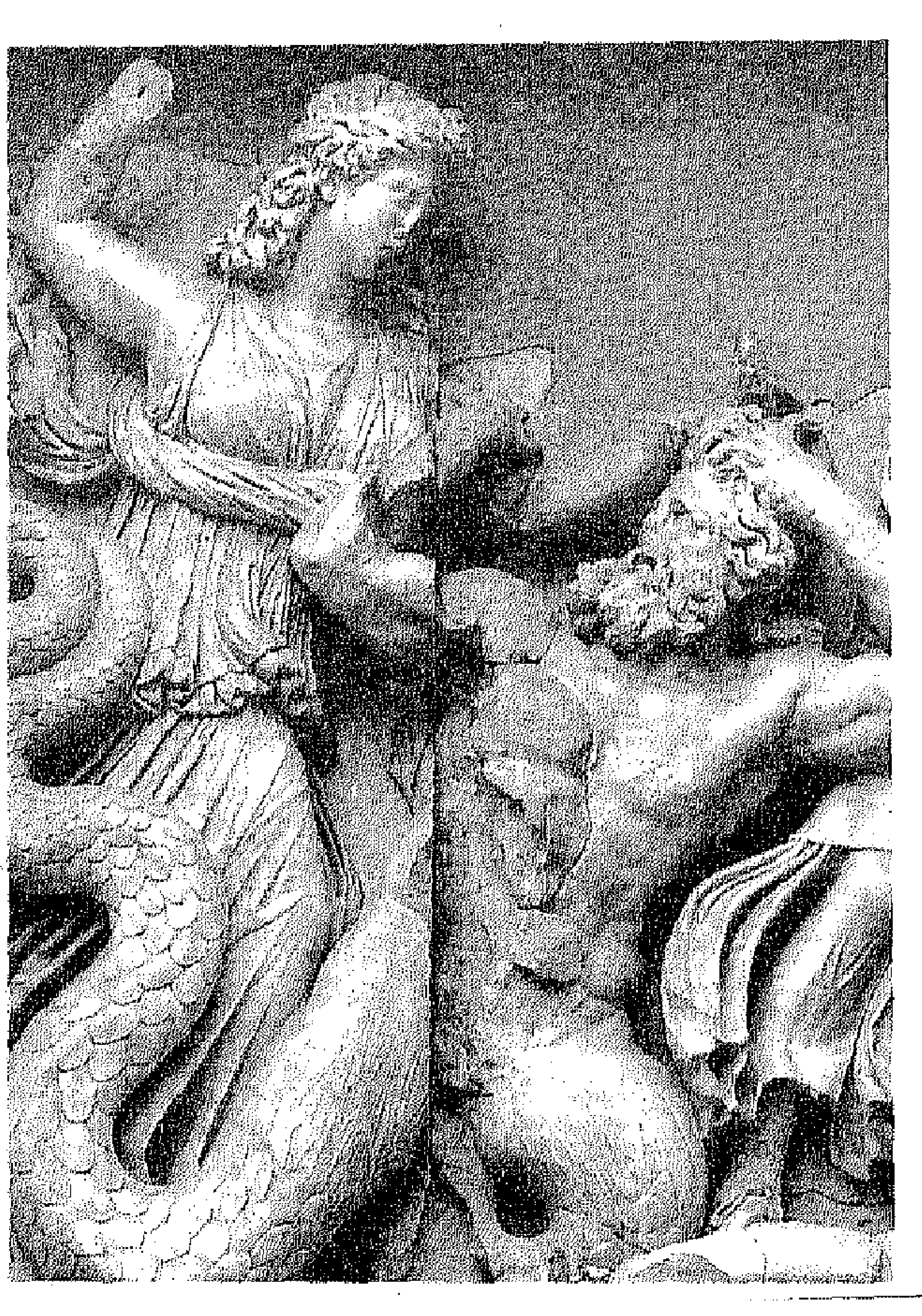
سمي المتحف باسم مذبح برغامون الذي اكتشف في غرب تركيا. وكانت نشأت هناك مستوطنة هلّينية[1] قوية حكمت قطاعاً كبيراً من آسيا الصغرى في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد. وفي عملية تنقيب جريئة، عثر المهندس الألماني كارل هومن في النصف الثاني

(١) الثقافة الهلّينية هي الثقافة الاغريقية بعد الاسكندر الكبير.

© 1991 BY STANLY MEISLER. CONDENSED FROM SMITHSONIAN (OCTOBER ,91), WASHINGTON, D.C. PHOTOS: EVELYN HOFER

جدار برلين





من القرن التاسع عشر على بلاطات رخامية من إفريز المذبح، وشحنها الى برلين. وهناك جمع علماء آثار وحرفيون ماهرون قطع الافريز وأعادوا بناء جزء كبير من المذبح الشهير لكي يوحي المشهد الى الزائرين أنهم واقفون في موقع برغامون الأثري الاصيل.

وعلى رغم غنى متحف برغامون وحجراته الكثيرة الزاخرة بنماذج الهياكل والبوابات الكلاسيكية، فقد ظل كنزاً منسياً بالنسبة الى معظم الناس خارج الكتلة الشرقية. فجدار برلين الشائن قسم المجموعات الاثرية الشهيرة التي ضمّتها المدينة مثلما قسم سكان برلين شرقا وغرباً من العام ١٩٦١ الى نهاية ١٩٨٩. ولكي يتسنى للسياح الغربيين

زيارة متحف برغامون، الذي كان في الماضي أشهر متاحف برلين، كان يتعيّن عليهم الوقوف في طوابير طويلة لدفع رسم الدخول. ولما كان ذلك يسبب ازعاجاً كبيراً لهم، فقد أحجم معظمهم عن الزيارة. وتدنت مكانة متحف برغامون كمنافس للمتحف البريطاني ومتحف اللوفر في احتواء الآثار المعمارية القديمة.

جزيرة المتاحف. إن ما يُروى عن عزلة متحف برغامون يقارب اللامعقول. ففي العام ١٩٨٢ تسلّم ماكس كونسي، عالم الآثار الذي بنى شهرته بالتنقيب عن الخرائب الكلاسيكية في المجر (هنغاريا) وبلغاريا، وظيفة مدير للآثار القديمة الكلاسيكية. ويشرف متحف برغامون على ما يُعرف بـ"جزيرة المتاحف" التي تضم أيضاً المتحف القديم والمتحف الجديد ومتحف بود وصالة العرض الوطنية، وتقع قبالة جادة أونتر دن ليندن في برلين الشرقية. وعلى بعد بضعة كيلومترات، في قصر شارلوتنبرغ، يتسنى للزائر مشاهدة المتحف الكلاسيكي في برلين الغربية، وهو مؤسسة صغيرة تنم عن حسن ذوق، متخصصة بفن النحت الاغريقي والروماني. ولكن، حتى تاريخ هدم الجدار، كان كونسي زار المتحف الكلاسيكي مرة واحدة فقط. يقول: "حصلت عام ١٩٨٧ على اذن بالذهاب الى برلين الغربية لاجراء بعض الأبحاث خلال خمسة أيام في إحدى المكتبات هناك. فاغتنمت تلك السانحة للقيام بزيارة خاطفة الى المتحف الكلاسيكي."

إلّا أن هذه العزلة انتهت بتصدّع جدار برلين في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٩. وبعودة حرية التنقل بين الشرق والغرب، بات في الامكان عرض كل مجموعات برلين الأثرية والفنية على حشود الزوار الجدد المتشوقين الى رؤيتها. لهذا الغرض، تتدفق الى المدينة حافلات مكتظة بالسياح القادمين من جميع الأنحاء، لتصطف كل صباح أمام المبنى الكلاسيكي المحدَث الذي تغشاه طبقة سوداء من السخام والذي ما زال يوحي الجلال والمهابة. فالعالم مهيّأ لاستكشاف روائع فن العمارة القديم التي يحفل بها المتحف، بما فيها مذبح برغامون الذي يُعدّ أحد أهم الاكتشافات الأثرية في القرن التاسع عشر.

رجل ميت. بدأت القصة في العام ١٨٦٨ يوم عُيّن كارل هومن رئيساً لمهندسي الطرق في غرب الامبراطورية العثمانية. وكانت برغامون مقره الرئيسي. كان هومن من هواة جمع الآثار القديمة، واكتشف إحدى بلاطات إفريز المذبح مدفونة في جدار بيزنطي بني في القرن الثامن بعد الميلاد. فكتب آنذاك: "حين اقتربت من الجدار منقّباً، شرعت في استخراج الحجار بعناية، حجراً بعد حجر، فاكتشفت العنق ثم الذقن ثم الخدّ الأيسر. وحين شاهدت العين هتفت: "إنه رجل ميت!" لأنه وإن كان التمثال أصيلاً

رائعا، إلّا أن ملامح الموت بانت جلية في قسمات وجهه وجسمه الهزيل." وبعد استخراج كتلتين أخريين من الرخام المنحوت ذي اللون الابيض الضارب الى الزرقة، قرر هومن أن تلك القطع لا بدّ أن تكون "جزءاً من إفريز كامل يمثّل مشاهد معركة بين عدد من الرجال،" وأن هذا الافريز "لا بدّ أن يكون جزءاً من بناء مهم جداً."

أرسل هومن البلاطات القليلة الى متاحف برلين حيث لم تلقَ اهتماماً من القيمين على تلك المتاحف. الى أن عُيّن ألكسندر كونسي عام ١٨٧٧ مديراً لقسم المنحوتات، فأقنعه الباحثون بأن بلاطات هومن هي حتماً جزء من المذبح المفقود منذ زمن بعيد والذي وصفه المؤرخ الروماني لوسيوس أمبيليوس. فوعد كونسي هومن بالمال والدعم وحضه على معاودة التنقيب. وما عتم هومن أن كشف بمساعدة أربعة عشر عاملا مجموعة شرائح أخر من الافريز مدفونة في الجدار البيزنطي، كما اكتشفوا الأساس تحت الجدار الذي بُني عليه المذبح. وقال هومن معلّقاً: "لقد عثرنا على عصر كامل من الفن. فأعظم الآثار القديمة التي بقيت سليمة هي الآن بين أيدينا."

انضم كونسي بعد سنة الى أعمال التنقيب. وبعد ١٨ شهراً اكتشف هو وهومن ٩٧ بلاطة من الرخام و٢٠٠٠ كسرة من الافريز الرئيسي الأكبر و٣٦ بلاطة و١٠٠ كسرة من الافريز الأصغر وطائفة من التماثيل والقطع المعمارية. وتعيّن عليهما استخراج القطع ونقلها مسافة ٣٠ كيلومتراً من الاكروبوليس[٢] الى شاطىء البحر في عجلات تجرّها الثيران نزولا على طريق وعرة أفعوانية متعرّجة، ومن ثم تعبئة الكنز في ٤٦٢ صندوقا تحمَّل في مراكب ألمانية. ولم يلاق هومن صعوبة في شحن الصناديق عبر الجمارك التركية لأن الحكومة العثمانية سمحت آنذاك بشحنها كلها في مقابل ٢٠ ألف مارك دفعها الألمان.

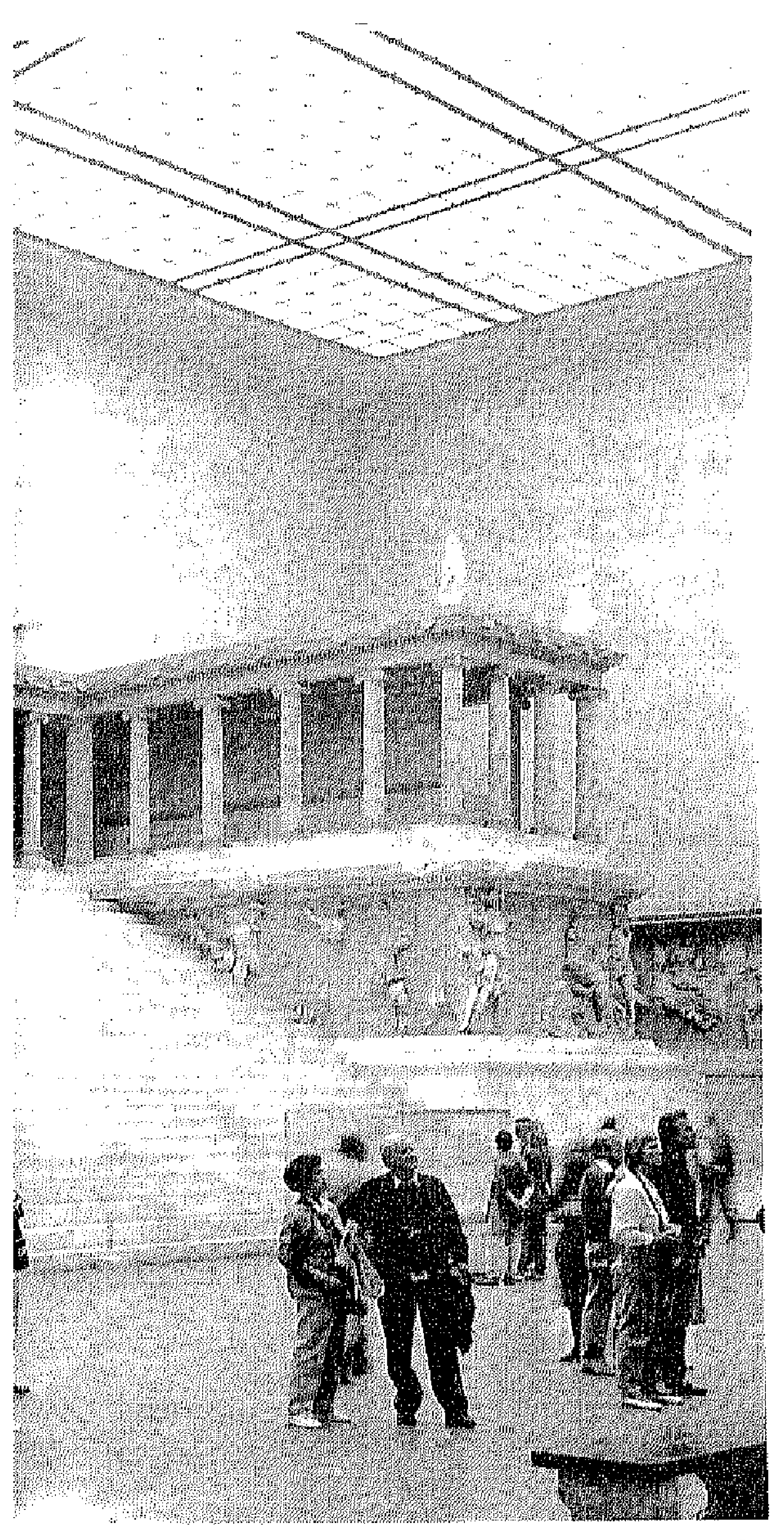
هرقل الجبار. لم تتوقف أعمال التنقيب باكتشاف الافريز، بل أرسل كونسي بعثة مهندسين معماريين وعلماء آثار لمساعدة هومن في كشف قسم من معالم المدينة كان لا يزال مطموراً. وكانت برغامون مستوطنة حديثة قياسا على تاريخ عالم الاغريق القديم، قَطَنها في القرن الثالث قبل الميلاد قوم من الاغريق معروفون باسم الأتالدة.[٣]

اعتبر الاتالدة أنفسهم الوارثين الشرعيين لأثينا الكلاسيكية التي خبا مجدها قبل أكثر من مئة سنة. واقتداء بالتقاليد الاثينية، بنوا فوق أكروبوليس برغامون قصراً ملكيا ومكتبة ضمت ٢٠٠ ألف مخطوطة من ورق البردي (الرَقّ) وهيكلا لديونيسوس وآخر لأثينا وحصناً وساحة عامة ومدرجا... وأخيراً، المذبح العظيم. وكان المذبح بُني في العام ١٨٤

(٢) الاكروبوليس هو الجزء الاعلى المحصّن من مدينة إغريقية. وهو أيضا اسم قلعة اثينا.
(٣) Attalids

قبل الميلاد تخليداً لانتصار الأتالدة على الغلاطيين (الذين يعرفون أيضاً بالغاليين) في القرن الذي سبق.

يزدان المذبح بنقوش يرمز فيها الاتالدة الى انتصارهم في المعركة بمشاهد من الملحمة الاسطورية بين عمالقة الأرض وأرباب جبل أولمبوس. وبحسب الاسطورة، فقد عجز الارباب عن الانتصار من دون أن يجندوا في صفوفهم إنساناً له جلد أسد. فانبرى هرقل لانقاذهم، وهو البطل الجبار وأقوى رجل على وجه الارض، ووقف الى جانب زفس، فظهرا معاً في الافريز وهما يقتلان العمالقة الذين بدوا بأشكال مخيفة. وهذا

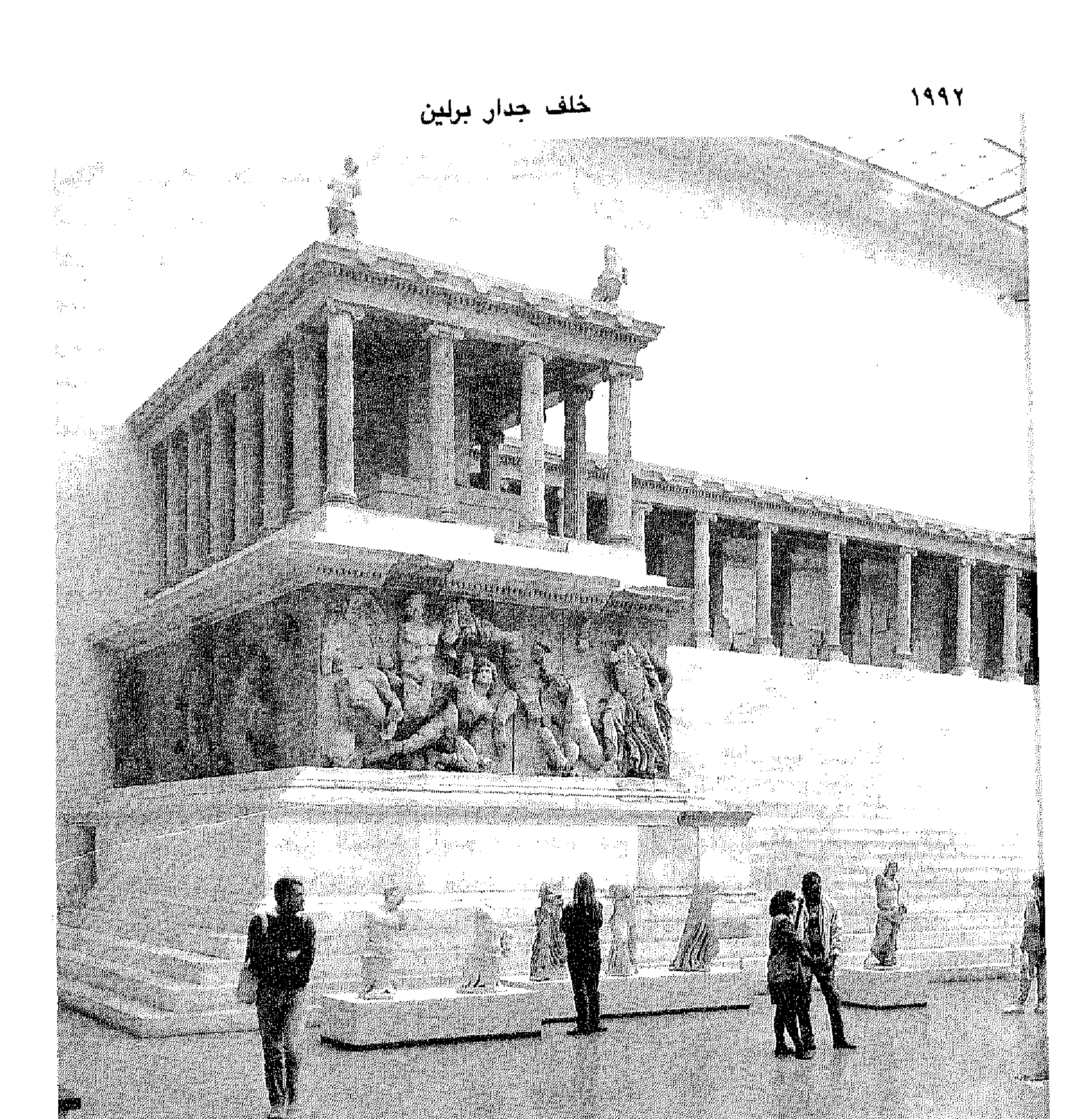


الجانب الغربي من المذبح الذي يعادل ربما نحو ثلث المذبح الاصلي الكامل، اعيد بناؤه في القاعة الكبرى في متحف برغامون.

السيل من المعارك الطاحنة المنحوتة بتفاصيل دقيقةٍ يغطي حوالى ١٢٠ متراً من الافريز الرخامي الذي يلفّ المذبح. وقد كتب البريطاني روجر لينغ المتضلع من فن الاغريق والرومان: "يمثل الافريز قمة النحت الاغريقي."

لم يستخرج هومن كل قطع الافريز، ذلك لان بعضها كان متناثراً يصعب تجميعه. وعلى سبيل المثال، كان مخلب جلد الأسد الذي لفّ هرقل الأثر الوحيد المتبقي من ذلك الجبار البشري. لكن الشرائح كانت سليمة الى حد كافٍ لرؤية المشاهد الرائعة التي تصور زفس وهو يصرع العملاق بورفيريون بصاعقة، وأثينا تشد شعر العملاق ألسيونيوس فيما هو يتخبط يائساً لأن الميثولوجيا تروي أنه يموت اذا رُفع عن الارض، وهيكات تقتل أحد العمالقة الملتحين بمشعل ورمح وسيف، وأرتيميس تصرع عملاقاً بكلب صيد.

بعد عرض الشرائح في المتحف القديم ومن ثم في المتحف الجديد، قرر



المسؤولون الالمان بناء متحف ضخم يجمع آثار العمارة القديمة على أن يكون في صدارته مذبح برغامون.

جرت أعمال البناء ببطء، وتعثرت أيام الحرب العالمية الاولى، وعاقتها الانتقادات المتواصلة والافتقار المستمر الى المال. ولم يُفتح متحف برغامون للعموم الا في العام ١٩٣٠.

ولكن على أثر نشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ أغلق الالمان المتحف. وبعد سنتين انتزعوا البلاطات ودفنوها في غرفة محصنة تحت مبنى الرايشبنك، ومن ثم في ملجأ محصَّن ضد الطائرات في حديقة تيرغارتن بالقرب من بوابة براندنبرغ. وقد أصيب مبنى المتحف، والمذبح، بأضرار فادحة نتيجة قصف

الحلفاء. وفي ما بعد، حين احتل الجيش السوفييتي برلين عام ١٩٤٥، اكتشف الشرائح في مخابئها فشحنها الى الاتحاد السوفييتي، ثم أعيدت الى متحف برغامون عام ١٩٥٨. وبحلول العام ١٩٥٩ كان الالمان الشرقيون أعادوا بناء المذبح وفتح المتحف للعموم.

بوابة عشتار. سرعان ما يلاحظ الزائر في الردهة الكبرى أنه تم تشييد الجانب الغربي من المذبح فحسب، أي ما يعادل ربما ثلثه، وأن قلة من الاعمدة والافاريز والدرجات هي من الرخام الأصيل. لم تكتمل إعادة تشييد المذبح كله، ومعظم الشرائح الرخامية معروض على جدران المتحف قرب المذبح.

ولكن، وإن أُطلق على المتحف اسم برغامون، إلّا أنه يضم آثاراً كثيرة غير المذبح والافريز. فبعد التملّي بمشاهدة روعة آثار برغامون، في إمكان الزائر أن يلج غرفاً فسيحة اخرى ليشاهد مزيداً من الآثار التي أعيد تشييدها. وأشهرها الطريق الموكبي وبوابة عشتار من بابل أيام حكم الملك نبوخذنصر الثاني في القرن السادس قبل الميلاد. وقد نُبش الآجر الأزرق والذهبي الذي بني به هذان الاثران المدهشان من موقع بالقرب من بغداد في فترات متقطعة بين العام ١٨٩٩ والحرب العالمية الاولى.

أما الذين يدخلون الغرفة الرومانية، فتُتاح لهم فرصة فريدة للتمتع بمشاهدة بوابة سوق رومانية. والبوابة من طبقتين، قائمة على أعمدة ومزخرفة بدقة. بنيت في القرن الثاني بعد الميلاد في مدينة ميليتوس القديمة، لكنها هدمت بزلزال في العام ١١٠٠. وقد جمعت أجزاؤها وأعيد بناؤها بارتفاع ١٤ متراً كما كانت أصلا، وهي في نظر خبراء المتاحف، أمثال ديتريتش فيلدونغ من المتحف المصري، أحد الكنوز الأثرية المعمارية العظيمة في المانيا.

وعندما اتّحدت الألمانيتان، ومدينتا برلين، عرف القيّمون على المتاحف أن متاحفهم ستتحد أيضاً. ومنذ سنوات، كان القيمون في غرب برلين يعبرون الجدار الفاصل لالتقاء زملائهم في منازلهم في برلين الشرقية بسرّية تامة. يقول فيلدونغ وكونسي بلسان واحد: "إن إعادة دمج المتاحف شغلت مخيلتنا وقتاً طويلا. ولكن حين تحققت لم نكن جاهزين."

فسارع القيمون الى الاتفاق على مبدأ عام واحد يقضي بتجميع كنوز برلين المعمارية الاثرية كلها في "جزيرة المتاحف" وتركيزها على متحف برغامون. غير أن توقيت العمل بهذا المبدأ يبقى رهناً بالمدة التي تستغرقها إعادة بناء المتحف الجديد في الجزيرة، ذلك المتحف الذي بني قبل ١٣٦ سنة وهدم بالقنابل خلال الحرب العالمية الثانية. والى ذلك الحين، في إمكان كل امرىء أن يتمتع بمشاهدة روائع بقيت لثلاثة عقود مخبأة وراء جدار برلين.

ستانلي ميسلر ■



ماذا تعرفون عن الأيدز؟



منظمة الصحة العالمية

في يونيو (حزيران) ١٩٨٧، كانت "المختار" رائدة في نشر تقرير خطير عن وباء الايدز[١] في العالم بعنوان "الطاعون الاسود." ومنذ ذلك التاريخ انتشر المرض بسرعة عبر مناطق جغرافية وفئات اجتماعية مختلفة. ويراوح عدد الذين التقطوا فيروس الايدز بين ٩ ملايين و١١ مليوناً في انحاء العالم. ويتوقع أن يتضاعف عددهم ثلاث مرات على الاقل في السنوات الثماني المقبلة.

يصاب نحو ٥٠٠٠ شخص بفيروس نقص المناعة يومياً، وتضعف احتمالات بقائهم أحياء لمدة طويلة. وقد ظهرت أعراض الايدز على أكثر من مليون شخص من المصابين بالعدوى، وتوفي معظمهم (نحو ١٣٠ الفاً في الولايات المتحدة وحدها).

وجاءت الاخبار المذهلة في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩١ معلنة اصابة نجم كرة السلة الامريكي إرفين "ماجيك" جونسون بفيروس الايدز ومثبتة، بما لا يرقى اليه الشك، أن المرض مستمر في الانتشار بمعدل مرعب. وتشير التقديرات في أنحاء العالم الى أن ثلاثة أرباع البالغين المصابين التقطوا الفيروس من طريق ممارسة الجنس مع شركاء من الجنس الآخر. وتصح هذه التقديرات خصوصاً في الدول النامية في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

وفي غياب لقاح أو دواء ناجع، تبقى توعية الناس الطريقة الوحيدة الممكنة لاحتواء وباء الايدز.

---

(١) Acquired Immunodeficiency syndrome «AIDS» اي داء نقص المناعة المكتسب.

وفي ما يأتي دليل من أسئلة وأجوبة وضع بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية ونشر للمرة الاولى في عدد يونيو (حزيران) ١٩٨٧ من "المختار." ومن شأنه أن ينقذ حياتك أو حياة شخص تحبه.

ما هو الايدز؟

الايدز هو المرحلة المتقدمة من اصابة يسببها فيروس نقص المناعة البشرية «HIV».[٢] يعمل الفيروس على تدمير نظام المناعة في الجسم ببطء مما يترك الانسان، على نحو تصاعدي، من دون حماية من اصابات أخرى وبعض أنواع السرطان.

ما هو الوقت الذي يستغرقه نشوء مرض الايدز؟

ينشأ الايدز في غضون عشر سنين كمعدل وسط، منذ لحظة التقاط الانسان فيروس نقص المناعة. وتشير المعلومات الحالية الى أن معظم الذين يلتقطون الفيروس، إن لم يكونوا كلهم، سوف يصابون بالايدز في النهاية.

هل في امكان الاشخاص الذين يحملون الفيروس أن ينشروا العدوى وإن لم يكونوا مصابين بالايدز؟

نعم. فحاملو فيروس نقص المناعة يعيشون عادة لسنوات قبل ظهور أي أعراض للمرض، ولذا فانهم غالباً يجهلون أنهم مصابون به وقد يمررونه الى آخرين من غير قصد.

كيف ينتقل فيروس نقص المناعة؟

□ بالمعاشرة الجنسية. الايدز هو أساساً مرض ينتقل بالجنس. وفيروس نقص المناعة موجود في المني والسوائل المهبلية، لذا قد ينتقل جنسياً من رجل الى امرأة، ومن رجل الى رجل، ومن امرأة الى رجل. والاشخاص الاكثر تعرضاً للخطر هم الذين يمارسون الجنس مع أكثر من شريك. كما أن المصابين بأمراض جنسية أخرى كالزهري (السفلس) هم أكثر عرضة لتلقي فيروس نقص المناعة أو تمريره.

□ بالدم ومشتقاته. قد يؤدي نقل دم ملوث بفيروس نقص المناعة الى اصابة المتلقي بالعدوى. لكن عدداً متنامياً من الدول يفرض فحص الدم الموهوب ونبذ ذلك الذي يحتوي على مضادات[٣] لفيروس نقص المناعة. كما تعالَج مخثّرات الدم،[٤] التي تستخدم في علل دموية مثل النزف الوراثي المزمن[٥] للقضاء على فيروس نقص المناعة.

□ المشاركة في الحقن. ان متعاطي المخدرات المحقونة معرضون أكثر من غيرهم للاصابة، لان كثيرين منهم يتشاركون في استخدام الابر والحقن

(٢) Human Immunodeficiency virus
(٣) Antibodies
(٤) Blood-Clotting Products
(٥) Hemophilia

الملوثة. وغني عن الذكر أن أي أداة لثقب الجلد، بما في ذلك ابر الوشم وثقب الاذن، قد تنقل فيروس نقص المناعة من شخص الى آخر إن لم تعقَّم.

□ من الام الى طفلها: قد تمرر أم مصابة فيروس نقص المناعة الى طفلها خلال فترة الحمل وساعة الولادة ولفترة وجيزة بعدها. واحتمال أن تلد أم مصابة طفلاً مصاباً يقارب ٢٥ في المئة. ويموت معظم المواليد المصابين قبل بلوغ عامهم الخامس. واذا أصيبت الام لاحقاً، فقد تنقل العدوى الى طفلها أثناء الرضاعة.

ما هي الوسائل التي لا ينتقل فيروس نقص المناعة عبرها؟

لا ينتقل فيروس نقص المناعة عبر اتصال عَرَضي ولا على مقاعد المراحيض ولا في برك السباحة ولا في المتاجر. ولا اثبات لانتقاله بالقبلة. وهو لا ينتقل بالمصافحة والعناق والاكل من طبق واحد والشرب من كأس واحدة، ولا عبر الذين يعدون الطعام في المطاعم. كما لا ينتقل بواسطة البعوض والحشرات الاخرى، لان هذا الفيروس لا يبقى حياً داخل أحشائها.

كيف يمكن المرء أن يحمي نفسه؟

هناك طريقتان مضمونتان للحماية من انتقال الفيروس جنسيا: الامتناع عن ممارسة الجنس، والتزام علاقة مع شريك واحد غير مصاب. ومن الحكمة تحاشي ممارسة الجنس مع أشخاص ارتبطوا بعلاقات وممارسات ذات نسبة خطورة عالية، مثل العلاقات الجنسية العابرة وتعاطي المخدرات بواسطة الحقن.

واذا لم تكن متأكداً من أنك وشريكك نظيفان من الفيروس، فعليك أن تبادر الى اجراءات وقائية. فاما أن تتفادى كل أنواع المعاشرة، واما أن تستخدم الغلاف الواقي (الكبوت) أو الكوندوم الذي يمنع اختلاط المني وافرازات المهبل. واذا استخدم الغلاف بطريقة صحيحة وخلال كل معاشرة جنسية، فهو يخفف كثيراً أخطار الاصابة بالفيروس.

لا تشارك أحداً في شفرات الحلاقة أو الابر أو أدوات وخز الجلد الاخرى التي يمكن أن تتلوث بالدم.

ماذا تفعل اذا كنت تحمل فيروس نقص المناعة أو تظن أنك تحمله؟

اذا كانت لديك شكوك في أنك مصاب، أو اذا شاركت في أي من الممارسات العالية الخطورة التي ورد ذكرها، اطلب مشورة طبيب. وقد يشير عليك الطبيب باجراء فحص دم لمعرفة ما اذا كان دمك يحتوي على مضادات لفيروس نقص المناعة.

أخبر شريكك بالامر. ولا تهب دماً أو سائلاً منوياً أو عضوياً من أعضاء جسمك.

أما النساء اللواتي يعرفن أنهن يحملن فيروس نقص المناعة، أو يعتقدن أنهن يحملنه، فعليهن أن يفكرن ملياً قبل انجاب طفل.

نال شهادة جامعية وجنى ثروة كبيرة
لكن سرأ كان يقض مضجعه



لم يستطع المليونير النوم، فنهض من سريره على مهل لئلا يحدث صريراً، ومشى الى مكتبته قائلا في سرّه: "فليكن الامر الليلة يا رب."

أضاء المصباح وتطلّع الى الاطارين المعلقين على الحائط اللذين يحملان شهادته الجامعية واجازته التعليمية. ثم وقع نظره على كتاب، فتناوله وعبث بصفحاته محدثا نفسه: "لا ترغم نفسك على شيء، احتفظ بهدوئك ودع الكلمات تتناهى اليك."

فالى متى يلعب هذه اللعبة؟ أطوال حياته؟

استلقى المليونير في فراشه من جديد ونظر الى زوجته كاتي التي لا يعرف أحد غيرها سره. فلا ولداه ولا أصدقاؤه ولا أساتذته في الجامعة ولا تلاميذه الثانويون الذين علّمهم طوال ثمانية عشر

CONDENSED FROM ESQUIRE (AUGUST '90), © 1990 BY ESQUIRE ASSOCIATES, NEW YORK, N.Y.
PHOTO: © DARRYL ESTRINE / ONYX

عاماً ولا شركاؤه في المؤسسة العقارية التي تقدر موجوداتها بالملايين يعرفون السر. وحدها كاتي تعرف.

وهو، اذا ما افتضح أمره، سيخسر كل شيء: الشهادة واجازة التعليم والمباني السكنية والمراكز التجارية والعقارات المأجورة وسيارته الفخمة والمنزل الكبير المشرف على المحيط. كان في وسع المليونير أن يمثل دوره على اكمل وجه ويخدع الجميع. لكن لحظة الحقيقة في منتصف الليل كانت ترهقه على الدوام، فيقف وحيداً في ثياب النوم حاملا كتاباً بيديه والعرق البارد يتصبب منه.

فهو، الى اليوم، لم يفهم لماذا مكث في قاعات الصفوف طوال خمسة وثلاثين عاماً، ولماذا عاد الى الجامعة واستحصل على ثمانين وحدة اضافية بعد تخرّجه. فذلك جنون مطبق بالنسبة الى رجل لا يجيد القراءة ولا الكتابة.

بيني علم إنْ ينسَ جون كوركوران لا ينسَ أن الكلمات سخرت منه منذ نعومة أظفاره. فلطالما التبست عليه الحروف وفقدت الألفاظ معانيها وهي تندفع متخبطة في مسمعه. كان يجلس في صفه صامتاً كحجر لا يفقه شيئاً مما يدور حوله مدركاً أنه سيكون على الدوام مختلفاً عن الآخرين. ولكم تمنى لو أن أحداً جلس وقتئذ بجانب ذلك الصبي وطوقه بذراعه وقال له: "لا تخف، سأساعدك."

الا أن أحداً في ذلك الزمن لم يكن سمع بالـ"ديسليكسيا"[١]، أو عسر القراءة، كما لم يكن في مقدور جون أن يخبر أحداً أن الجانب الايسر من دماغه، أي ذاك الذي يستخدمه الانسان لترتيب الرموز في سياق منطقي، لا يعمل على نحو صحيح.

بدلا من ذلك، وُضع جون على مقاعد الأغبياء في الصف الابتدائي الثاني. وعندما رُفِّع الى الصف الابتدائي الثالث كانت معلمته تناول التلاميذ مسطرة طولها متر لكي ينهالوا بها ضرباً على ساقيه كلما رفض الكتابة أو القراءة. أما في الصف الابتدائي الرابع فكان معلمه يطلب منه القراءة، ثم يصمت تاركاً الدقائق تمر ثقيلة حتى يحسّ الصبي أنه يكاد يختنق.

وسط هذا الجو الضاغط كان جون كوركوران يُرفَّع من صف الى آخر من دون أن يرسب مرة واحدة.

كان والد جون أستاذاً يستهلك الكلمات كما لو كانت طعاماً، فيقرأ جريدتين في اليوم ويأتي على كتاب مثل "ذهب مع الريح" في جلسة واحدة. فكيف يستطيع جون إخباره الحقيقة؟ كان الوالد يأتي الى البيت في السادسة مساء، فيخفق البيض لبناته الخمس وابنه، ثم يهرع الى عمله الثاني أستاذاً في مدرسة ليلة أو بائع سيارات. وكانت والدته تعمل مساء في الصيدلية القريبة.

اعتاد الوالدان استئجار بيوت تفوق قدرتهما على الدفع، حارمين أنفسهما الاثاث والثياب القشيبة كيما يتسنى

(١) Dyslexia . اضطراب في القدرة على القراءة.

لاولادهما العيش في جيرة لائقة وارتياد فضلى المدارس. فهما لم يقبلا ابدا حياة من الدرجة الثانية، بل سعيا دوما الى القمة. تلك كانت النعمة - واللعنة - التي أورثاها ابنهما الامي. وكان الزوجان، كلما خسرا وظيفتهما، يحزمان حقائبهما وينتقلان بأولادهما الستة في شاحنة مستأجرة الى منزل جديد وحلم جديد. وعندما تخرّج جون في مدرسته الثانوية كان قد عاش في ٣٥ منزلا وتعلم في ١٨ مدرسة.

وغالبا ما كانت شقيقاته يبكين كلما غادرت العائلة منزلا أو ودّعت بلدة. أما جون فكان يجد في كل بلدة مكانا جديدا للانطلاق، مكانا قد تختلف فيه الأمور وتجد الحروف طريقها اليه.

حين بلغ جون الصف المتوسط الاول صار لزاماً عليه أن يخفي سرّه عن ستة أساتذة بدلا من واحد. كان عليه أن يدرك كيف يتصرّف منذ اللحظة الأولى، وأي استراتيجية يتبع، وأين يجلس، وهل يتقرّب من أستاذه أم يتصرّف بخبل لكي لا يعود أحد يطيق التوجّه اليه بكلمة. كان يؤلمه أن يكون مهرّج الصف. لكن أي صفة كانت بالنسبة اليه أفضل من الصفة الأكثر اذلالا: أمّي.

رتب جون كل أموره. فتقرّب من الفتيات لكي يكتبن له فروض الانشاء، ومن الفتيان لكي يشرحوا له مسائل الرياضيات. كان يسألهم مثلا: "ماذا تعني هذه؟" و"ماذا يريدون هنا؟" وقبل أن يكتشف أحدهم بريق الخوف في عينيه، كان يجد نفسه في بلدة أخرى ومدرسة أخرى.

هذا ليس غشاً. وفي السنة الثانوية الثانية أخذ جون قراره: سيستمر في لعبة التخفي حتى النهاية. فيراقب رفقاءه في الصف ليقلّب معهم صفحات كتابه. ويخربش شيئاً على دفتره، أي شيء، ثم يخفي الورقة لكي لا يراها أحد. المهم أن يبقى متيقظاً فلا يشتبه فيه أحد.

في السنة الثانوية الأخيرة وطد جون صداقته مع طليعة الصف، ولمع في فريق كرة السلة. وحين تخرج بكت أمه التي ما انفكت تحدثه عن الجامعة.

الجامعة! كان مجرّد التفكير فيها ضربا من الجنون. لكنه في النهاية قرر الانتساب الى جامعة تكساس في الباسو حيث يمكنه اللعب مع فريق كرة السلة. فأخذ نفسا عميقا، وأغمض عينيه وانطلق من جديد.

طرح جون في حرم الجامعة وابلا من الاسئلة على أصدقائه الجدد لمعرفة الاساتذة الذين يعتمدون المسابقات الخطية وأولئك الذين يلجأون الى مسابقات الخيارات المتعددة[٢]. وكان حين يخرج من قاعة المحاضرات يعمد الى تمزيق الصفحات التي خربش عليها لكي لا يقرأها أحد. وفي المساء كان يجلس محدّقاً الى كتبه السميكة لئلا يرتاب فيه رفيقه في الغرفة، ثم يستلقي في فراشه منهكا عاجزاً عن النوم.

(٢) Multiple choice

أما الصعوبة القصوى فكانت مقرراً دراسيا عن النظام الامريكي استغرق سنة كاملة وتطلب اجتياز أربعة امتحانات خطية. وفي الامتحان اختار جون مقعداً خلفيا بالقرب من نافذة مفتوحة، وراح يسترق النظر حوله، ثم حرك يده على مهل ورمى لائحة الاسئلة من النافذة. فتلقفها الشاب الذكي الناحل الذي كان جون رتب له موعداً مع فتاة، وأخذ يجيب عن الاسئلة. وقبع جون في مقعده يحدق إلى الساعة والعرق يتصبب منه. وأخيرا، انزلقت اليه الاجابات عبر النافذة.

وهو أعاد الكرَّة أربع مرات من دون أن يضبطه أحد. وحدَّث نفسه: "اذا كان لا خيار لي، فليس ما أفعله غشا."

أستاذ! بعدما تخرج جون في الجامعة راح يفكر: "ما العمل الآن؟" وفي العام ١٩٦١ قرر أن يصبح أستاذاً.

كانت تلك تغطية مثالية. اتصل بوالده من إلباسو قائلا: "أبي، سيُرسل طلب التوظيف اليك. لن أكون في المنزل حين يصل، فهلا ملأته عني؟ شكراً."

بدأ جون التعليم في مدرسة كوركوران الثانوية في ولاية كاليفورنيا متبعاً أسلوباً خاصاً: كان يطلب من أحد التلاميذ قراءة الدرس كل صباح. وتضمنت امتحاناته أسئلة يُرفَق كل منها بعدة أجوبة يختار التلميذ واحداً منها، ويستطيع هو مقارنة الاجوبة بنموذج مصحح. لكنه، في صباحات عطلة نهاية الاسبوع، كان يستلقي في فراشه لساعات مكتئبا.

التقى جون ممرضة اسمها كاتي تخرجت في صفها بتفوق. كانت فتاة صلبة كالصخر. فقال لها ذات مساء من العام ١٩٦٥ قبل يوم واحد من زواجهما: "هناك أمر يجدر بي اطلاعك عليه. أنا... أنا لا أستطيع القراءة..."

ففكرت كاتي: "انه أستاذ. لا بد أن ما عناه هو أنه لا يقرأ جيداً." وهي لم تدرك حقيقة الامر الا بعد سنوات حين رأت جون عاجزاً عن قراءة كتاب أطفال لابنتهما البالغة من العمر ١٨ شهراً.

درّس جون مادة علم الاجتماع في مدرسة أوشنسايد الثانوية في كاليفورنيا مستخدماً أساليب تعليمية مبتكرة اعتمد فيها الاكثار من الامتحانات الشفهية والافلام وأشرطة الفيديو ودعوة أساتذة محاضرين. وتطوع لمساعدة تلاميذ يعانون صعوبة في التعلّم، فهو قادر على بلوغ مكامن المهم وغضبهم لأن تلك كانت مشكلته بالذات.

حافظ جون على احتراسه، فكان يطلب من تلاميذه قراءة بلاغات الادارة. أما مسائل الانضباط فكان يعالجها بنفسه لكي لا يضطر الى كتابة تقرير اذا ما وصل الأمر الى الادارة. ولم يكن يدع مرضاً يعوقه عن الذهاب الى المدرسة لئلا يضطر الى الكتابة شارحا للاستاذ البديل ماذا عليه أن يُدرِّس.

وكانت كاتي تملأ له النماذج وتقرأ الرسائل وتكتبها. أما لماذا لم يطلب منها أن تعلّمه القراءة والكتابة، فلأنه لم يصدق أن أحداً قادر على تعليمه.

حين بلغ جون كوركوران الثامنة والعشرين من العمر اقترض ٢٥٠٠ دولار واشترى منزلا ثانيا رممه وعرضه للايجار. وما لبث أن اشترى منزلا آخر وأجّره، ثم آخر. وتوسع عمله وصار في حاجة الى سكرتيرة ومحام وشريك.

وذات يوم أخبره محاسبه أنه صار مليونيراً. عظيم! من سيلاحظ بعد اليوم أن المليونير "يسحب" دائماً الابواب التي كُتبت عليها عبارة "ادفع" أو يتريث قبل دخول المراحيض العامة ليرى من أين يخرج الرجال؟

الاعتراف. ترك جون مهنة التعليم عام ١٩٧٩. ولم يلبث أن زاد عدد موظفيه. وسرعان ما حظي بدعم المستثمرين، فلم يمضِ وقت طويل حتى ضم الى مجموعته ٢٥ شريكاً. لقد انطلت خدعته.

بيد أن نجمه كرجل أعمال بدأ يأفل عام ١٩٨٢. ففرغ كثير من عقاراته المأجورة ورفع المستثمرون دعمهم عن أعماله. فتكاثرت عليه الدعاوى والانذارات بحجز الرهون وبات يقضي معظم وقته مسترحماً المصارف لمد آجال ديونه ومتملقاً المقاولين لمواصلة أعمالهم ومحاولا أن يفقه مضمون ما تراكم لديه من أوراق.

في خريف ١٩٨٦ أقدم جون، وقد بلغ الثامنة والاربعين، على عملين كان أقسم ألا يفعلهما أبداً. فهو رهن منزله للحصول على قرض أخير. وبعد ذلك دخل مكتبة كارلسباد وقال للمسؤولة عن برنامج الارشاد: "أنا لا أعرف القراءة..."

ثم بكى.

وُضع جون في عهدة امرأة في الخامسة والستين اسمها إليانور كوندين راحت تشجعه وتعلمه الحروف. ولم يمض ١٤ شهراً حتى استعادت شركته العقارية مكانتها وظل هو منصرفاً الى تعلم القراءة.

أما الخطوة التالية فكانت الاعتراف.

ألقى جون كلمة أمام مئتين من رجال الاعمال المذهولين في سان دييغو اعترف لهم خلالها بماضيه. فالاعتراف، بالنسبة اليه، كان السبيل الى التعافي من أزمته. وعُيِّن بعد ذلك في مجلس سان دييغو لمحو الامية، وبدأ يجوب البلاد ملقياً محاضرات.

كان يقول: "الامّية نوع من العبودية! لا يمكننا إهدار الوقت في لوم الآخرين، بل يجب أن يكون هاجسنا تعليم الناس القراءة."

بدأ جون قراءة كل ما يقع عليه نظره من كتب ومجلات ولافتات وبصوت عال ما دامت كاتي تتحمله. فهو اعتبر الامر رائعاً، كالغناء!

ووجد أخيراً سبيلا الى النوم.

وذات يوم حقق أمراً طالما تمناه. اذ تناول من درج مكتبه علبة تراكم عليها الغبار، ففتحها وأخذ رزمة أوراق ملفوفة بشريط وشرع يقرأها.

كانت تلك رسائل زوجته اليه منذ خمس وعشرين سنة.

غاري سميث ■



يسر "المختار" ان تعرض
على المشتركين الجدد فيها
بين ١/١/١٩٩٢ و٣١/١٢/١٩٩٢
اربعة اعداد اضافية مجانا
مع كل ١٢ عددا.
فالمشترك لمدة سنة
(١٢ شهرا) يتلقى
١٦ عددا خلال ١٦ شهرا
اي انه يربح ٣٣٪
فكونوا من الرابحين.

اذا اردتم ان تصلكم "المختار"
الى عنوانكم،
بادروا الى ملء
هذه القسيمة وارسلوها
مرفقة بشيك مسحوب
على مصرف في نيويورك
باسم "المختار من ريدرز دايجست"
بقيمة ٣٠ دولارا امريكيا،
وارسلوا القسيمة والشيك
بالبريد المضمون (المسجل)
الى احد العناوين المذكورة
خلف هذه القسيمة.

الاسم ______________________

____

العنوان ______________________

____

التاريخ ______________________

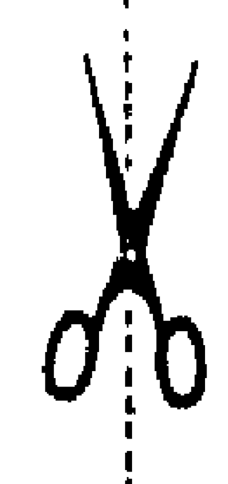
التوقيع ______________________

الرجاء ارسال القسيمة والشيك بالبريد المسجل (المضمون)
الى احد العناوين الآتية:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
Allied Business Bank S.A.L.
P.O.Box 113-7165
Beirut-Lebanon
(Telex 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR Magazine
C/O Aramex International Courier
P.O.Box 3841, Deira-United Arab Emirates.

Aramex International Courier
pour Al Mukhtar, B.P. 819
94549 Orly Aerogare-France



الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة: "اشتراك في مجلة المختار".

ملحق خاص

عَقدُ الازدهار



الحياة والعمل في السعودية والخليج

"المختار" من ريدرز دايجست - ايار (مايو) ١٩٩٤ - العدد ١٦٤

عقد الازدهار

انقشعت الغمامات السود من سماء الخليج مع تحرير الكويت، ودخلت المنطقة عهداً من السلام والاستقرار يؤمل ان يعم المنطقة كلها. وقد استؤنف العمل في المشاريع التي كانت اجواء الحرب اخرتها، وعجّلت وتيرة النمو. ومع تزايد فرص العمل والانتاج فان عقداً من الازدهار يبدو واعداً لكل المنطقة.

القاعدة الذهبيّة: إحترام القانون

لم تضعف الحياة العصرية تمسّك السعوديين وابناء الخليج بدينهم وتراثهم. فالمسلمون يمارسون طقوس دينهم كجزء لا يتجزأ من حياتهم اليومية، وقد مكنتهم نظرتهم الواقعية هذه من استيعاب فوائد التكنولوجيا الغربية مع الاحتفاظ بهويتهم ومبادئهم الاسلامية.

هذه المبادىء دمجت ببراعة في جميع مظاهر الحياة العصرية وهيمحددة بوضوح بحيث يستطيع كل من يريد التمتع برفاه الحياة العصرية ان يفعل ذلك شرط ان يراعي القوانين والقواعد المعتمدة.

إن الرفاه الذي توفره الحياة العصرية مؤمن عبر بنية تحتية متطورة تسهّل التجول والتنقل واجراء الاتصالات السلكية واللاسلكية، فضلا عن خدمات بريدية متطورة وخدمات طبية من الدرجة الاولى وتسهيلات للسكن ومناطق تسوّق هي في غاية التطوّر، مؤلفة من متاجر كبرى ومجمعات ومراكز تسوّق تعرض بضائع استهلاكية و"لوكس" باسعار تنافسية مستفيدة بذلك من رسوم جمركية مخفوضة. وتعرض هذه المراكز مجموعة متنوّعة من المنتجات وأحدث الطرز. وهي أوسع من تلك المتوافرة حتى في المتاجر المعفاة من الضرائب في البلدان الاخرى، وهذه كلها جعلت من الخليج فردوسا للتسوّق.

وتقابل هذه الميزات حاجة ماسة الى معرفة عملية للتقاليد والقوانين التي تشمل كل نواحي الحياة.

وفي ما يأتي بعض النصائح العملية التي تعينك على العيش في سلام وطمأنينة.

□ يجب مراعاة التقاليد في الحياة الاجتماعية:

- الحنث بالوعد يعتبر عملاً شائنا للغاية.
- من غير اللائق ان تصل متأخراً.
- لا تسأل الرجل عن زوجته وبناته بل عن عائلته.
- تناول الطعام يتم بصمت وباليد اليمنى.
- يجب ان تحتشم المرأة في لباسها وان تكون حذرة في تجوالها، لا تجلس المرأة قرب السائق في سيارة الاجرة كما انها لا تتجوّل برفقة رجل ليس من اقاربها الأدنين.

□ استيراد الكحول والمخدرات وحيازتها وتعاطيها هي ممارسات ممنوعة عقوباتها صارمة. وهذا ينطبق كذلك على المنشورات الخلاعية.

اماكن التسوق الرئيسية

المملكة العربية السعودية

■ الرياض

بندة: طريق حريص، لجهة "بترومين" من مصنع البيبسي كولا.

ستاد: قبالة الملعب في الملز.

سيتي: العليا، الطابق الاول يبيع ساعات ومستحضرات تجميل وادوات رياضية واجهزة تلفزيون وفيديو.

سيتي: السليمانية.

مركز العقارية: العليا.

مركز السدحان للتسويق: طريق العليا – قرب فندق عطاالله "شيراتون".

البيت الاخضر: طريق المطار.

جوهر: شارع جرير في العليا، وهو من المخازن التنويعية الضخمة.

مركز نجد: شارع جرير في العليا.

اسواق الدائرة: شارع الاربعين في السليمانية.

اسواق حسام: طريق خريص.

مركز العزيزية: منطقة ام الحمام.

■ الخبر والدمام والظهران

مركز الخليج: آخر طريق المطار، الخبر.

مركز الامير مشعل التجاري: طريق المطار، قرب النافورة، الخبر.

مجمّع الخبر التجاري: الجهة الجنوبية لطريق المطار.

مركز السويكت للتسوّق: على بعد ثلاثة مقاطع غرب شارع الملك خالد. و١٠٥ كلم. شمال طريق المطار، الخبر.

■ جدة

ردك بلازا: غرب طريق المدينة (جنوبا) وبالقرب من مركز القافلة التجاري.

مركز جدّة التجاري: طريق المدينة، شمال جسور شارع فلسطين مباشرة.

مركز القافلة التجار: يقع على طريق الكورنيش (شارع حائل)، غرب طريق المدينة وجنوب الرويس.

سوق جدة الدولي: طريق المدينة لجهة الغرب، قبالة معمل البيبسي كولا.

عمارة الملكة: شارع الملك عبد العزيز في مركز المدينة. خلف البناء طبقتان من المتاجر المتخصصة بالثياب والعطور والساعات والمجوهرات والالكترونيات وآلات التصوير.

السواني: قرب المطار القديم، وبجنب عمارة "عرب نيوز" عند اطراف الشرقية وفي مركز المساعدية – طريق المدينة.
مركز شاكر: مستديرة الدراجة.
مركز المحمل: شارع الملك عبد العزيز.
مركز الكورنيش للتسويق: شارع الملك عبد العزيز.
مركز المساعدية: طريق المدينة.
مركز جمجوم التجاري: الحمرا.
مركز الحمرا للتسويق: الحمرا.
مركز الغاليريه: شارع التحلية.
مركز باروم: الرويس.
المختار: منطقة الحمراء بقرب شارع حائل.
مركز ساند: ما بين شارع خالد بن الوليد وطريق المدينة في الشرقية.
مركز الشرق الاوسط للتسوّق: طريق فلسطين.
حسين القزاز وأولاده: طريق المدينة.
"برنتان" العمودي: طريق فلسطين.

الامارات العربية المتحدة

■ ابو ظبي

جاشنمال: شارع النصر.
مؤسسة عباس اسماعيل: شارع نجدة.
سبينس: تحوي شبكة المخازن المعروفة بهذا الاسم تشكيلة واسعة من البياضات والصيني والادوات المنزلية.

■ دبي

الايدز: شارع بن ياس.
محلات النصر: طريق دبي – الشارقة. له فروع في: طريق زبيل ومركز دبي التجاري ومركز الغرير.
السوق المركزي: مركز الغرير، ديرة.
جاشنمال واولاده: مخازن في مركز الغرير، وقبالة عمارة دناتا، ديرة.
محمد ناصر الساير واولاده: عمارة اللؤلؤة، شارع بن ياس.

مراكز تسوق

مركز الغرير
مركز الوافي
مركز مغرودي

■ الشارقة

تقتصر مناطق التسوّق بشكل خاص على شارع الوحدة وسوق الشارقة وشارع العروبة والسوق القديمة بمحاذاة الخليج، وطريق الميناء/منطقة جادة البرج وساحة الزهراء. وسوق الشارقة وحدها تحتوي على أكثر من ٢٠٠ متجر فيها كل شيء من الالعاب حتى الادوات المنزلية الالكترونية، والمجوهرات.

■ مدينة الكويت

مجمع الصالحية التجاري: شارع الهلالي، مباشرة بعد ملتقى الطرق مع شارع فهد السالم. وعلى بعد دقيقة واحدة فقط من موقف السيارات في السوق المتحدة.

■ حولي

مجمّع النقرة الشمالي: الى جانب مركز الشرطة في حولي. انطلاقا من الطريق الدائري الرابع، انعطف نزولا في شارع المغرب ثم الى اليمين عند أول اشارة مرور. يحتوي المجمع على مجموعة متنوعة من المتاجر.

■ السالمية

السالمية مركز تسوّق شعبي فيه اماكن متعدد لايقاف السيارات.
متاجر متخصصة بآلات التصوير
شركة اشرف: ولديها فروع عدة:
– شارع سالم المبارك.
– السالمية – الفحيحيل.
شركة بوشهري للافلام الملونة: ولديها روع في: – الدعية – السالمية – الفحيحيل.
شركة آلات التصوير والسينما المحدودة: ولديها فروع في شارع فهد السالم والسالمية والفحيحيل.

البحرين

مركز فاتيم، طريق الخليفة
مركز الهادي، طريق القصر القديم
الزينة بلازا، طريق الخليفة
مجمع شيراتون، طريق الحكومة (قرب فندق "شيراتون")
مركز دلموت، طريق الشيخ عبدالله
بناية الكويتي، طريق الشيخ عيسى.

قطر

سنتر، طريق سلوى (قرب فندق "رامادا")
غاليري، طريق سلوى (قرب فندق "رامادا")
مرتش، طريق سلوى (قرب فندق "رامادا")
ستوديوهات السلام، شارع سعد.
Blue Saloon شارع سعد.
المفتاح، شارع سعد.
السلام بلازا، الخليج الغربي (قرب فندق "شيراتون")

عمان

مركز الوادي التجاري، دوار الكوروم (قرب مركز "سابكو")
مجمع الحارثي، بعد دواري الكوروم والواطية.
مركز "سابكو" التجاري، بعد دوار الكوروم.
مركز عمان التجاري، دوار روي.
سوبر تورز الغبر، بعد دوار الكوروم.
مركز العاصمة التجاري، بعد دوار الكوروم.
محلات الجديد، روي (قرب مسجد قابوس).

تكنولوجيا متألقة تقدم افضل ما في الالكترونيات

من الاجهزة السمعية - البصرية الى الادوات المنزلية، توفر لكم "سانيو" مجموعة واسعة ومتنوعة من الاجهزة تلبي حاجات كل منكم وحاجات اصدقائكم كذلك. "سانيو" اسم وتكنولوجيا من اليابان تعني دائما النوعية.



تعرض هذه الادوات في المحال الاتية:

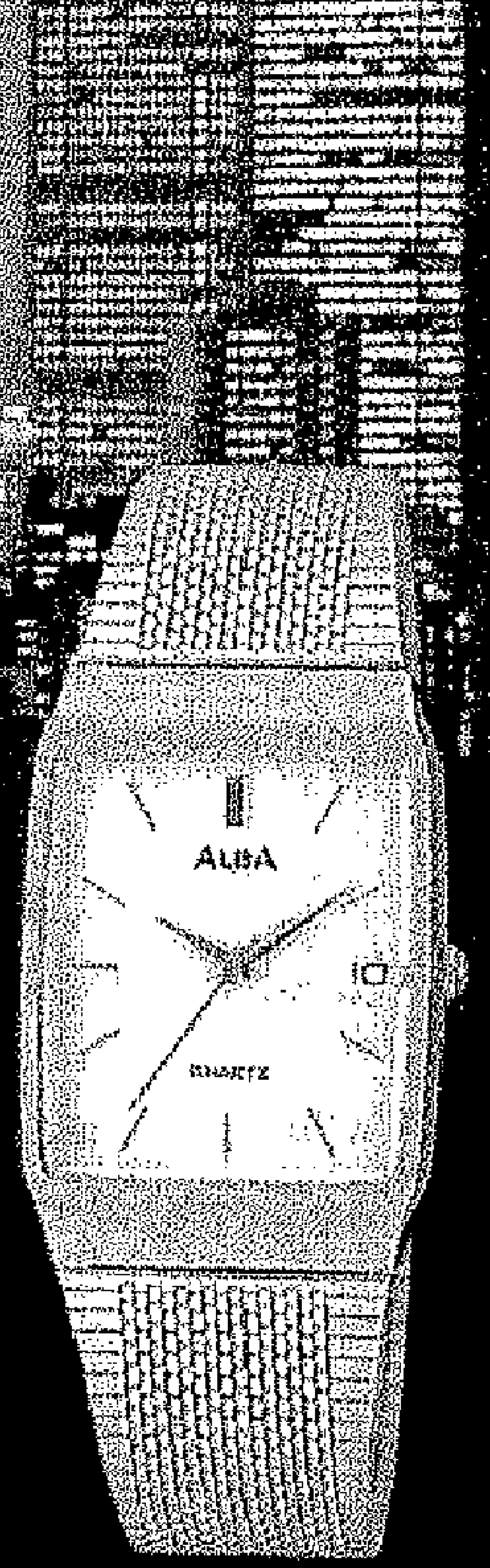
■ **BAHRAIN** A.A. Zayani & Sons Manama 261060 ■ **KUWAIT** Supplying Store Co., W.L.L. Kuwait 2425367-8 ■ **OMAN** General Electric & Trading Co. LLC Muttrah-Muscat 704457, 704645 ■ **QATAR** Qatar Electronics Co., W.L.L. Doha 431511, 434004 ■ **SAUDI ARABIA** Basic Electronics Co., Ltd. Al-Khobar 8648325 / Dammam 8275000 / Riyadh 4111195 Abdullah Bin Sulaiman Basahel & Sons Co. Jeddah 6369581, 6431807, 64282710 / Makkah 5456215 ■ **UNITED ARAB EMIRATES** Al-Futtaim Electronics Dubai 225180, 225189 Jumeirah 493204 / Abu Dhabi 213577 / Al Ain 641473 / Sharjah 354880 / Ras Al Kaimah 331138 / Fujairah 223764

Sanyo service centers in your home country:

■ **INDIA** B.P.L. - India Bangalore 233515, 233518 / Bombay 6301337, 6360339 / New Delhi 6846573, 636000 / Madras 76022 / Cochin 5794 ■ **PAKISTAN** Nasir Siddiq Trading Co., Ltd. Karachi 4553602-5, 442147 / Lahore 220967 / Peshawar 72927 PP / Rwalpindi 556711 / Islamabad 817033 / Sukkur 85109 PP / Faisalabad 42991 / Multan 41832 ■ **SRI LANKA** St. Anthony's Consolidated Ltd. Colombo 24261 ■ **Egypt** Masr Trading Co., El-Rotob Naser City 605163 ■ **TURKEY** Emes Ege Makina Electronik San. ve Tic A.S. Izmir 214404, 214405 / Ankara 1409241, 1409242 / Adana 130775, 140797 / Samsun 111436 / Antalya 183379 Buro ve Muzik Sistemleri Ticaret A.S. Istanbul 1312752, 1465407 TESPA Elektrik Cihazlari Imalat Bakim Ve Ticaret A.S. Izmir 225516, 217807 ■ **THAILAND** Sanyo (Thailand) Co., Ltd. Bangkok 2483491 ■ **PHILIPPINES** Sanyo Service Center Corporation Manila 5211969 / Dagupan 4368 / Southern Luzon 3666 / San Fernando 61349 / Naga 212611 / Iloilo 71313 / Bacolod 21257 / Cebu 83696 / Zamboanga 5857 / Cagayan de Oro 2270 / Davao 72580

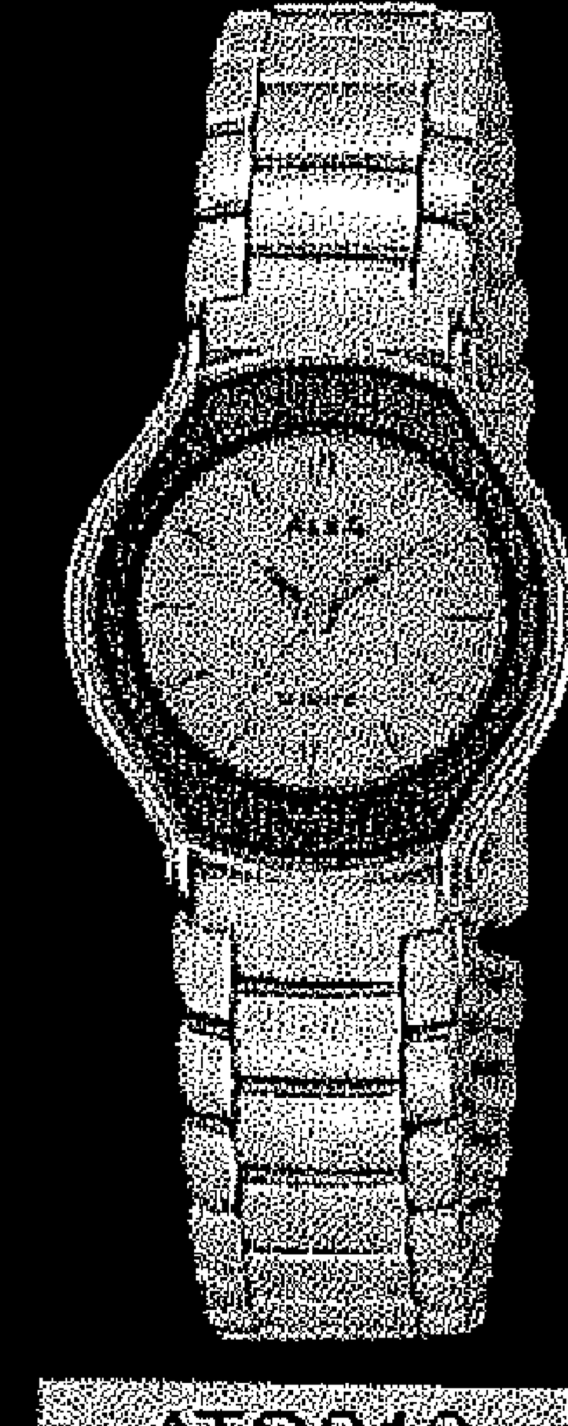
FROM JAPAN

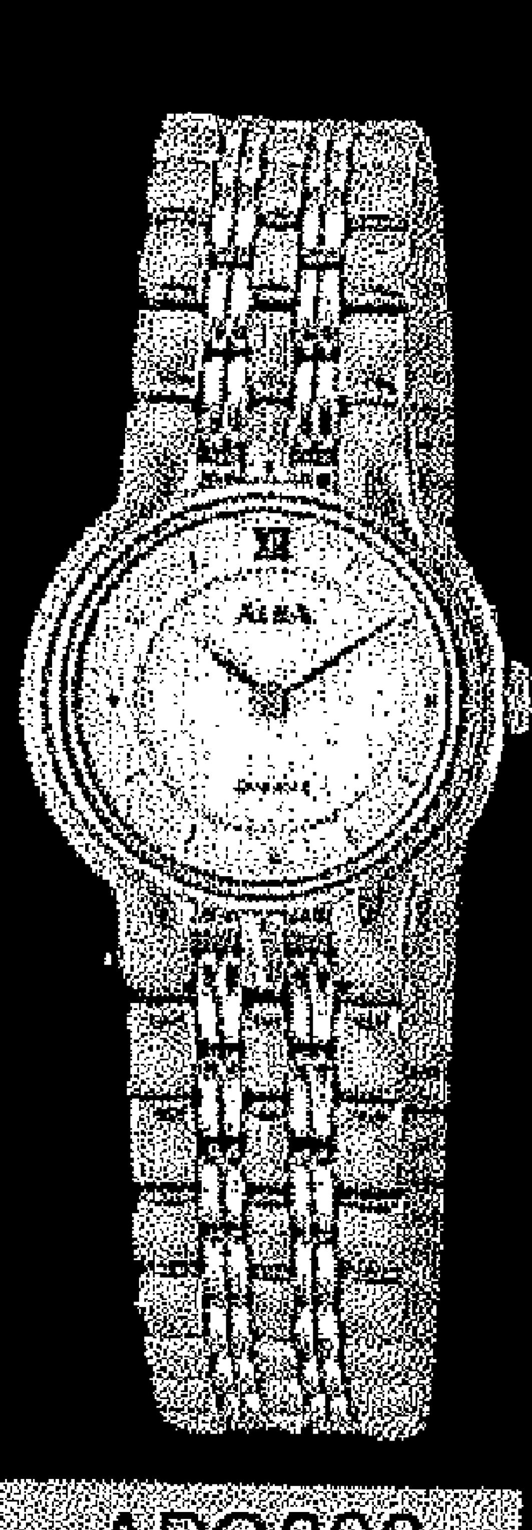


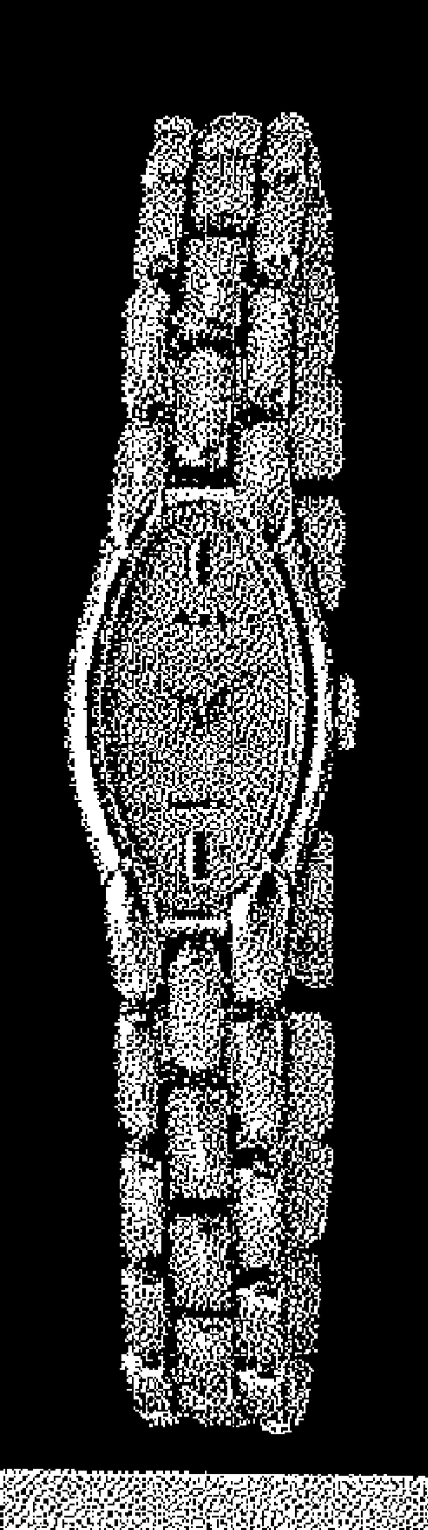


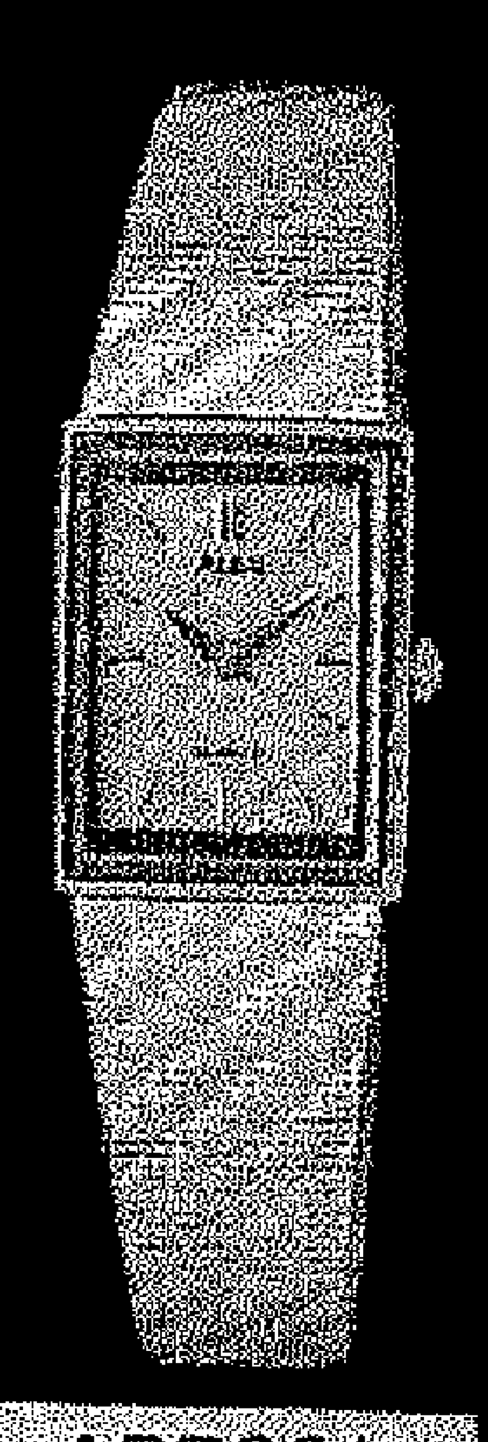








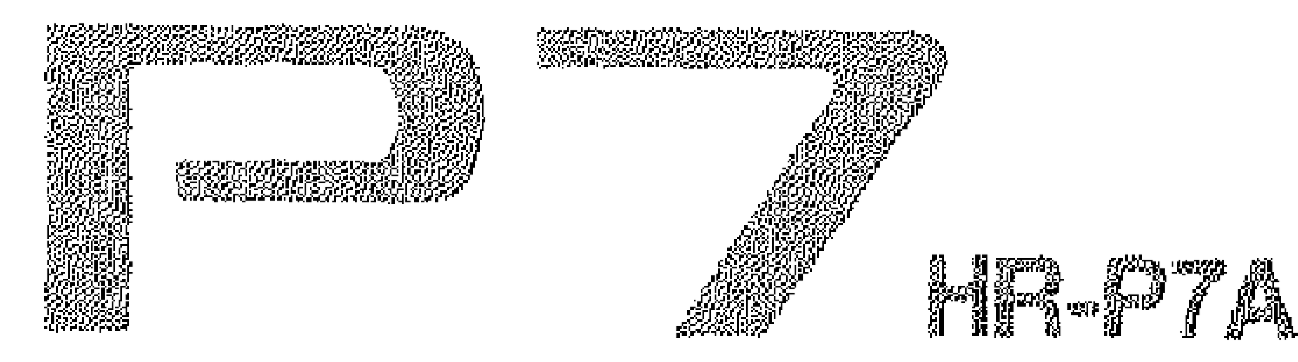




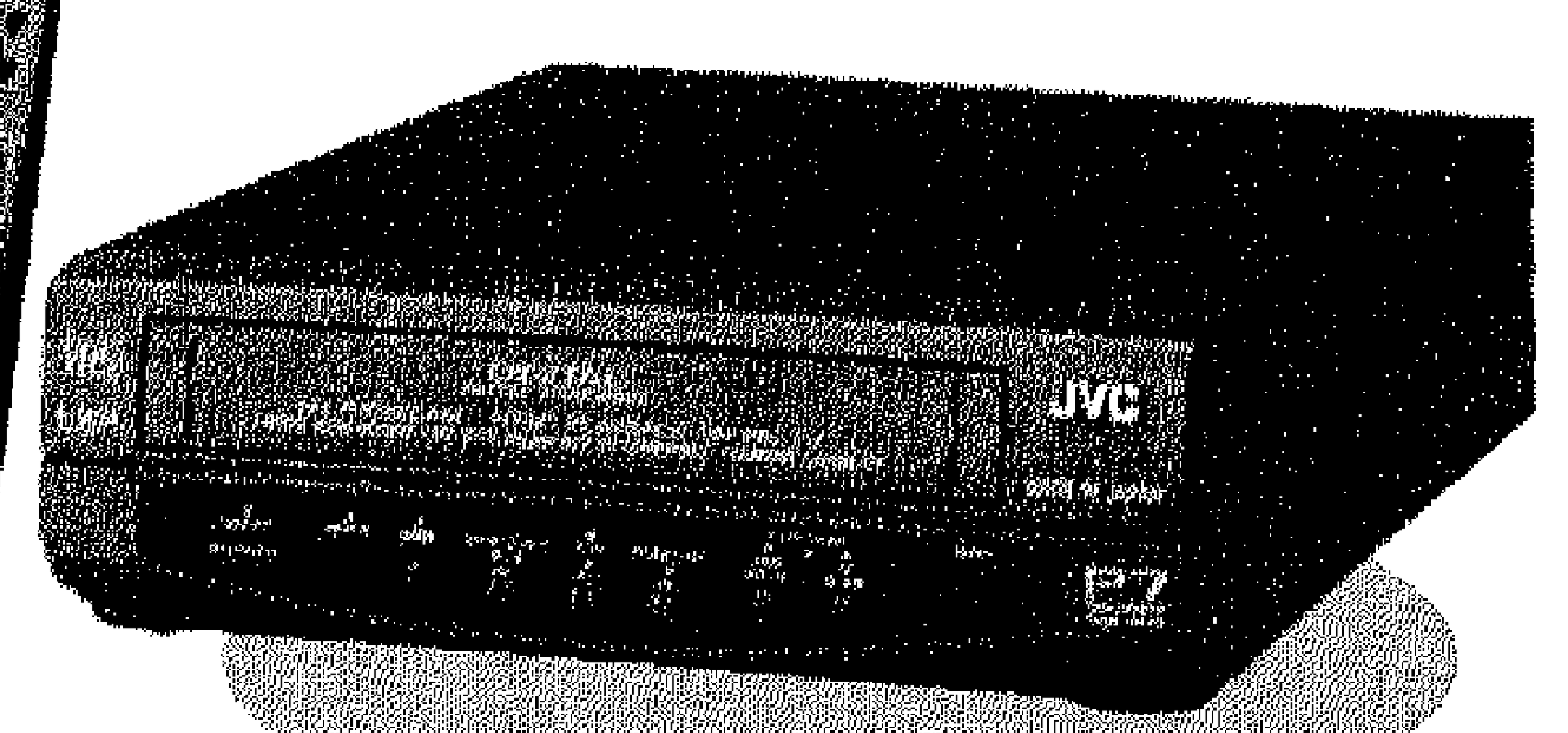


الساعات الظاهرة في الإعلان هي بنسبة ٧٢٪ من حجمها العادي.

متعة كبرى مع فيديو صغير

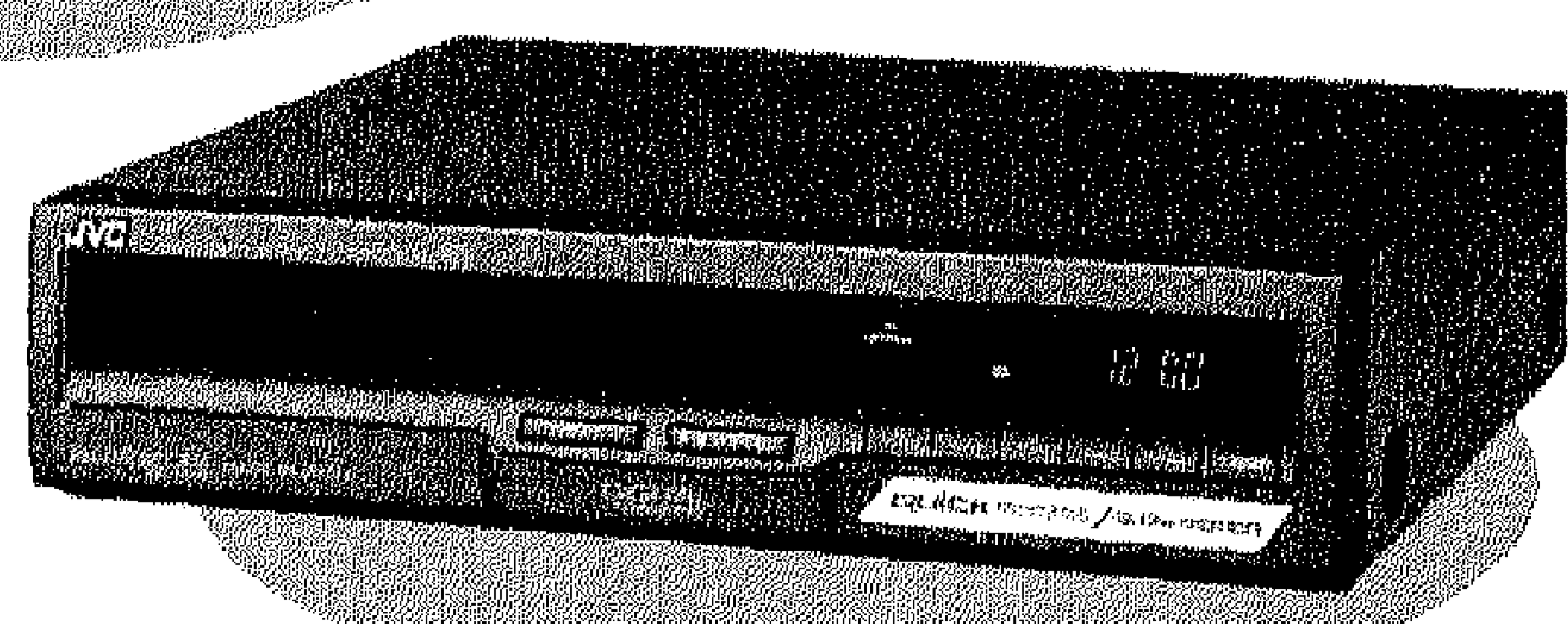


3SYSTEM
PAL/MESECAM/NTSC 4.43



- عرض NTS بنظام PAL التلفزيوني
- امكان التسجيل
- عرض بطيء بسرعتين
- متناغم مع نظام SECAM D/K التلفزيوني
- منظف اوتوماتيكي للرأس

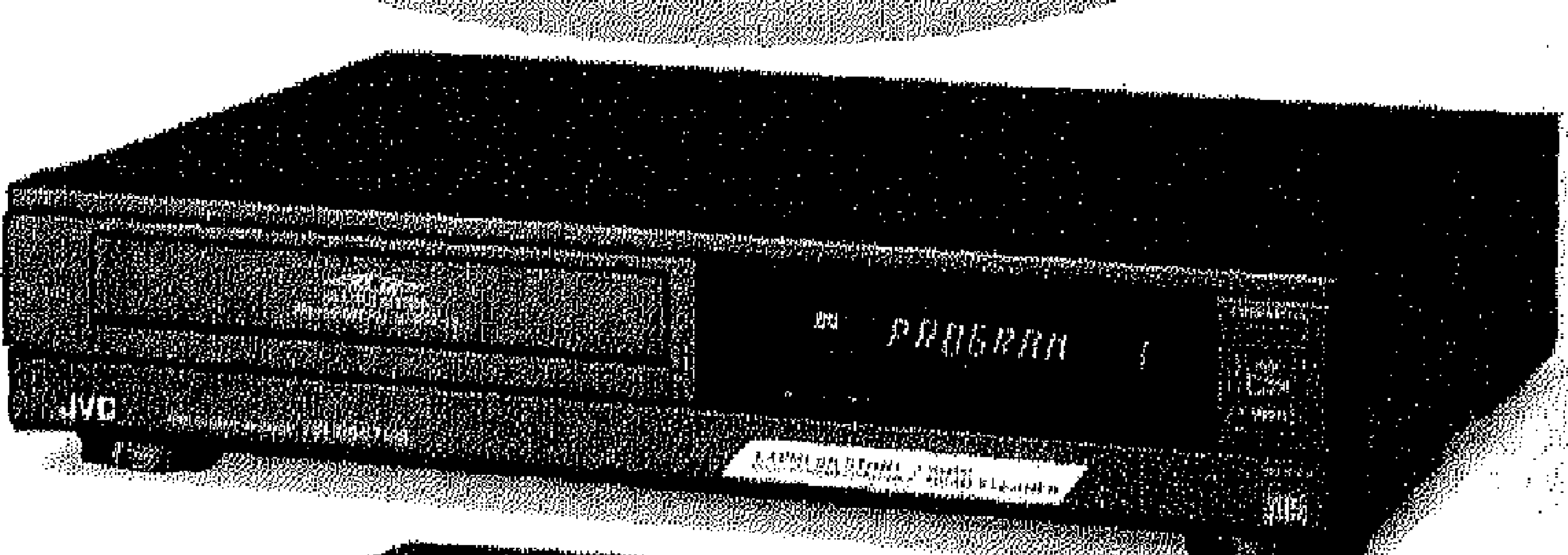




HR-DX20EM

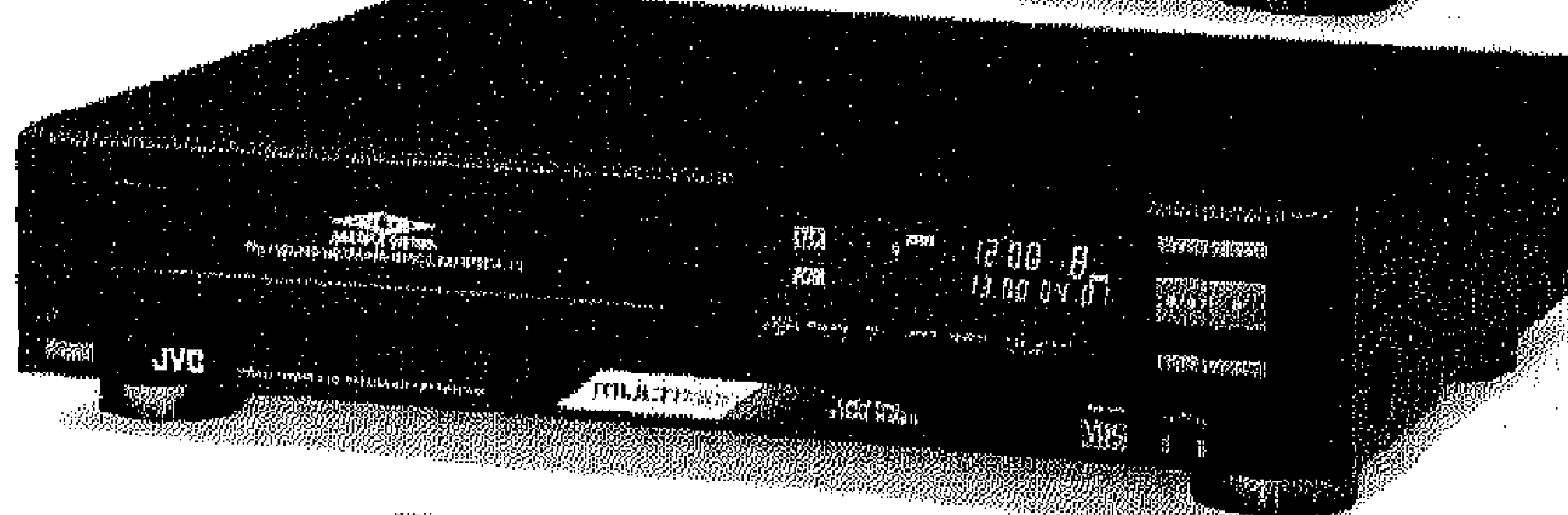
HQ مسجل فيديو كاسيت
استجابة سريعة وتحميل كامل
مسار رقمي لضبط الصورة تلقائيا





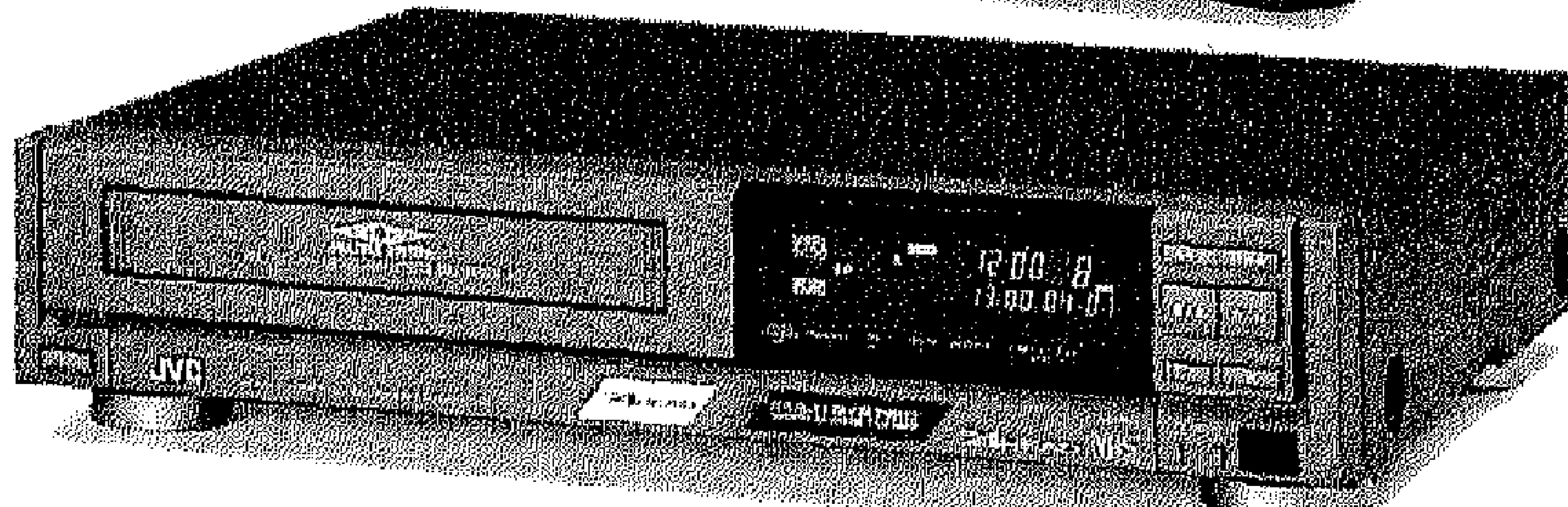
HR-D567MS
عرض ممتاز للتعليمات

5SYSTEM PAL/SECAM/MESECAM
NTSC 3.58/NTSC 4.43



HR-D527MS
مسار رقمي لضبط الصورة تلقائيا

5SYSTEM PAL/SECAM/MESECAM
NTSC 3.58/NTSC 4.43
موالف داخلي لنظام SECAM فرنسي



HR-D637MS
رأس DA-4 LP/EP/SP

JVC VIDEO VHS

مخترع VHS

OLYMPUS

قرارات
قرارات
قرارات

ان شراءكم كاميرا يبدو مهمة سهلة عندما تقررون شراء "اولمبوس"، لاننا نضع كل الجهد والتعب في صنع الكاميرات قبل ان تصل الى ايديكم. انظروا فقط الى "اولمبوس" الجديدة OLYMPUS IS-1000 الاكثر اتقانا بين فئة SLR. انها ثورة في التصميم ومزودة عدسة مقربة ٣٥ ملم – ١٣٥ ملم غاية في الدقة والصفاء.

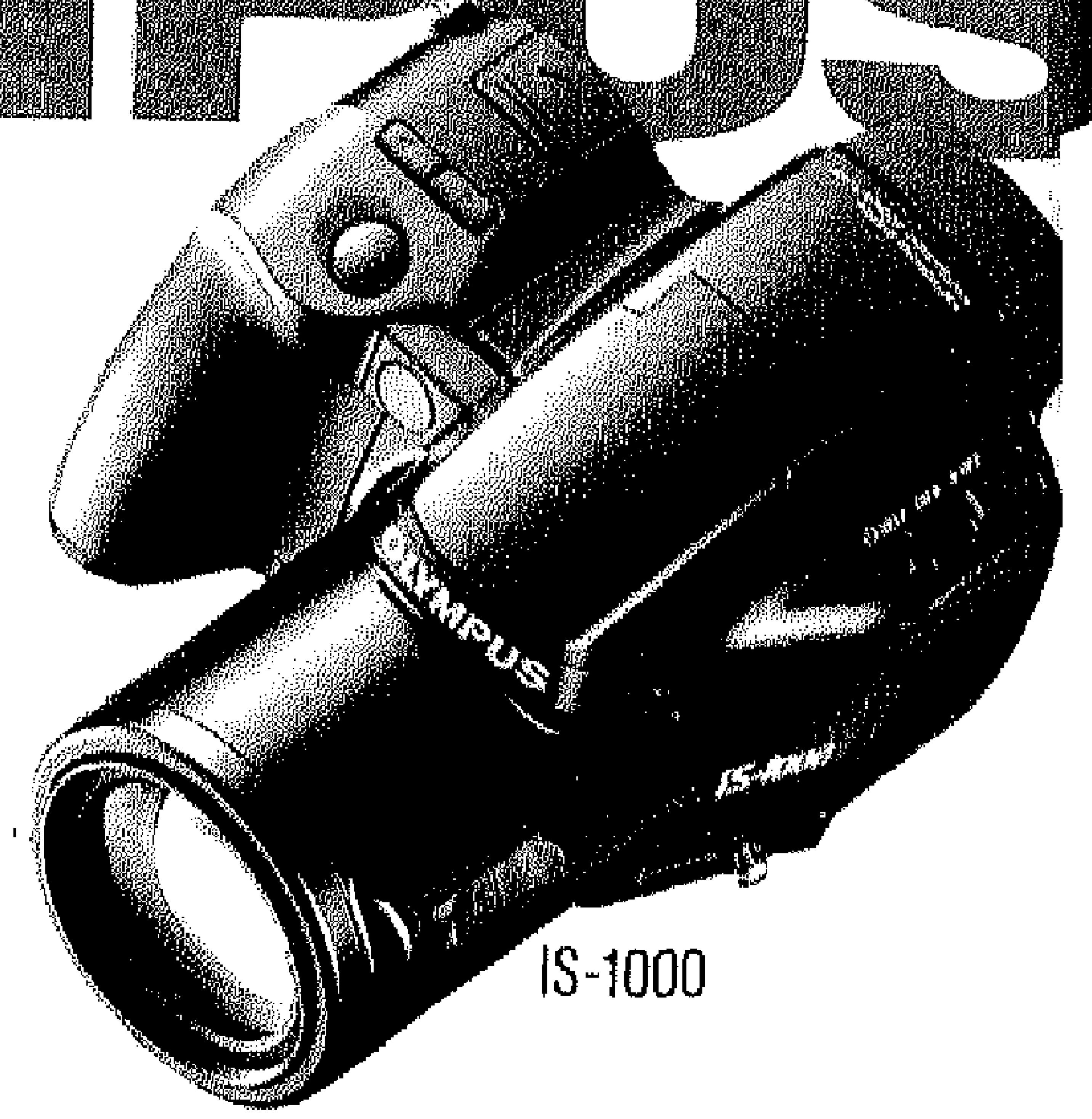
او جربوا OLYMPUS AZ-230 سوبرزوم. انها كاميرا ٣٥ ملم متعددة الاستعمالات مزودة عدسة ٣٨ ملم – ٩٠ ملم وتؤدي قوة العدسة المقربة فيها كل الوظائف.

ثم هناك OLYMPUS μ[MJU:]-1 المدمجة المحمولة والمتناهية الادماج. وهي اوتوماتيكية بالكامل. وتصميمها المتجدد يكمن في كونها كاميرا ٣٥ ملم قوية في التركيز والالتقاط.

بالطبع، اذا كنتم تبحثون عن كاميرا ٣٥ ملم سهلة الاستعمال، اسألوا عن OLYMPUS TRIP جونيور. انها صنع اليابان ولا اسهل من استعملها.

وتتمتع كاميرا "اولمبوس" بخصائص معروفة من حيث تعبئة الفيلم اوتوماتيكيا ولفه ايضا وتركيز بؤري ذاتي وضبط التعريض والفلاش الداخلي الذي تتحكمون به ولها سعر في متناولكم.

لذلك اطلبوا "اولمبوس". لان التصوير لم يكن يوما بالسهولة التي تجدونها فيها.


IS-1000


AZ-230 Superzoom


μ-1


TRIP Junior

OLYMPUS®

OLYMPUS OPTICAL CO., LTD. Tokyo, New York, Hamburg, London

U.A.E.: Al Sayegh Brothers Trading, P.O. Box 55106, Dubai U.A.E. Tel: (04) 285956/Fax: (04) 211055
Saudi Arabia: Shamsan Stores, P.O. Box 1810, Riyadh 11441 Tel: 4631485
Bahrain: Gajria Electronics W.L.L., P.O. Box 305, Manama Tel: 256892
Oman: Shah Nagardas Manji, P.O. Box No. 5908, Ruwi-Muscat Tel: 703803
Kuwait: Qirtas & Gajria Co. Ltd. W.L.L., P.O. Box 387 Safat 13004, Kuwait Tel: 2435068, 2408053 ~ 4
Service Workshop in India: Camera Centre Gr. Floor, 189-191, Dr. D.N. Road, Opp. Central Bank of India, Bombay 400 001 (INDIA) Tel: 2625560/Fax: (22) 2625781

CASIO

الأولى في العالم - ساعة كاسيو لقياس ضغط الدم على معصمك.

إن مراقبتك لضغط دمك عادة صحية - كاسيو تجعلها سهلة مهما كان العمل الذي تقوم به.

لقياس ضغط دمك فقط المس أزرار التحسس برفق!





جهاز لمراقبة ضغط الدم BP-100

- وظيفة لحفظ الوقت
- معلومات وعرض بياني لنسب انقباض وانبساط القلب والنبض
- ذاكرة لـ ٣٠ معلومة
- ذاكرة لـ ٣٠ نتيجة قياس متتالية

تصميم متفوق حان وقته.

وظيفة ٣٠ ذاكرة

تخزن ٣٠ مجموعة لمعلومات يومية - ضغط الدم المرتفع / المنخفض مع النبضات. يمكن استدعاء اية معلومة لتساعدك على مراقبة التغيرات.

عناية بالصحة على مدار الساعة

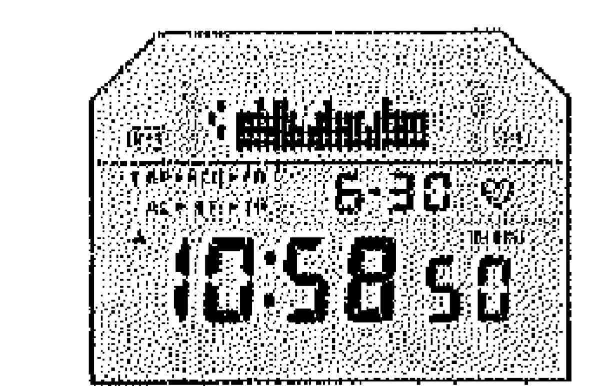
لان ساعتك تلازمك طوال اليوم - فبالامكان إلقاء نظرة سريعة عليه وضعك الصحي في أي وقت وأي مكان.

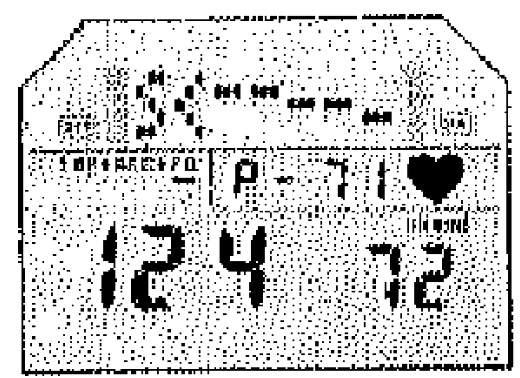
العرض البياني

يظهر العرض المعلومات المخزونة بالذاكرة بصورة خط بياني.

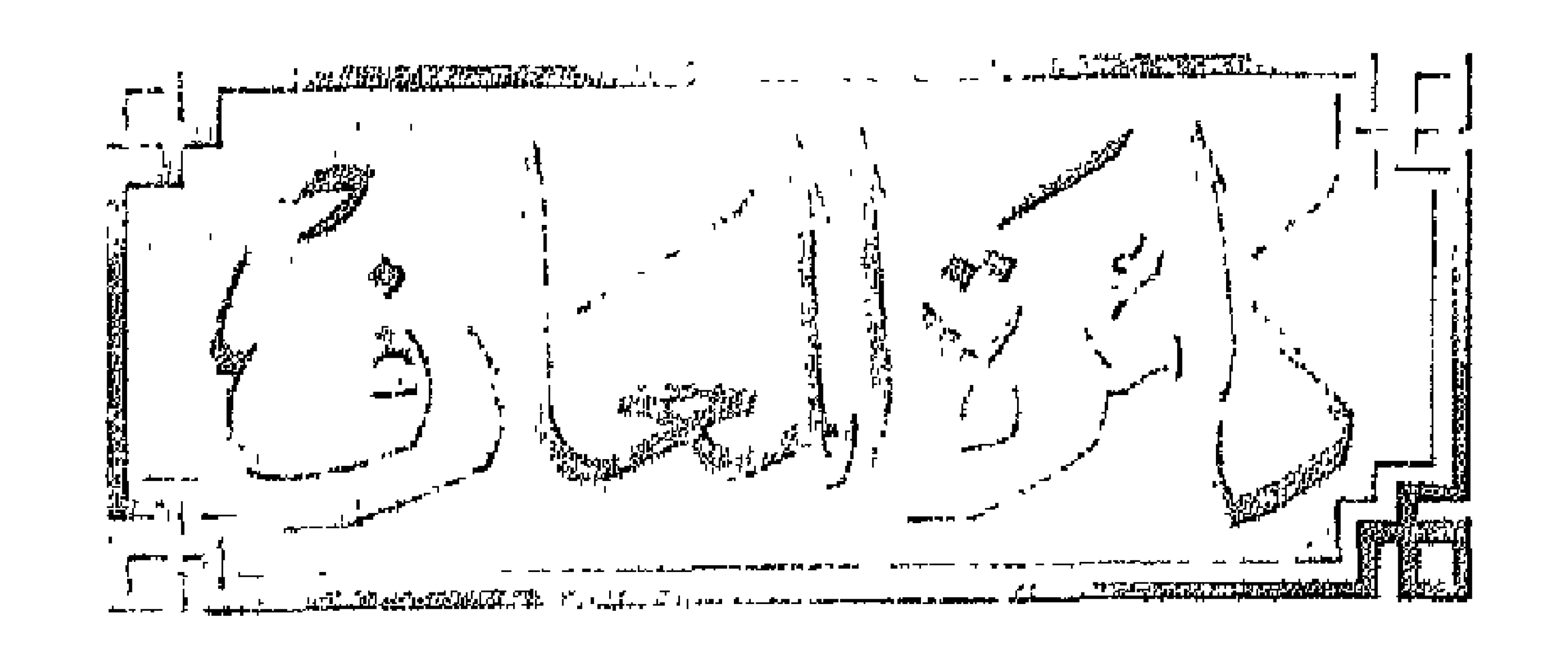
وظيفة قياس متتالية

أستعمل وظيفة القياس المتتالية لثلاث دقائق كدليل للإسترخاء.





CASIO COMPUTER CO., LTD. Tokyo, Japan



العامية هي لغة النطق اليومي والوجه العمليّ للعربية الفصحى. لها قواعد وأصول، ومنها أدب شعبي عريق. وهي تختلف من قطر عربي الى آخر، بل من إقليم الى آخر في بلد واحد، لكنها في معظمها متجذرة في العربية الفصحى.

هنا كلمات يظنها بعض العرب عامية، لكنها في الحقيقة عربية فصحى. وقد وضعت أمام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **بَرْنيَّة**: قوقعة – قبعة – عباءة – إناء من خزف.

٢. **فدان**: ثوران للحراثة – بغل قوي – فدية – سكة الحراثة.

٣. **بَوْش**: فراغ – خليط من الناس – صراخ – تقبيل.

٤. **تأبّى**: قام من موضعه – تواقح – امتنع – تفاخر.

٥. **بصبص**: مصّ اصبعه – فتح عينيه – قرأ – نظر من طرف عينه.

٦. **كشّ**: طرد – ذبل – قشر – قطب حاجبيه وتجهّم.

٧. **أرض بور**: مزروعة – مروية – ممهّدة – لم تُزْرع.

٨. **غنم جَلَب**: جَرب – مسروق – تائه – مجلوب من بلد الى بلد.

٩. **خَطْرة**: ضربة – مشية سريعة – مَرّة – فكرة خطيرة.

١٠. **قرطل**: وعاء من زجاج – سلة – قرص عسل – من الحلي.

١١. **أَيِس**: قنط – قاس – سلّى وعزّى – داوى.

١٢. **استنظر**: حرس – نظر من ثقب – اقترح – ترقّب.

١٣. **جبّانة**: جبهة – مصنع جبن – مقبرة – زوجة غيور.

١٤. **حردان**: مختبىء – غدّار – غضبان – نوع من الزواحف.

١٥. **تنبل**: تبغ – قصير القامة – نبيه – كسلان.

١٦. **طخّ**: رمى – حَمَّض وفَسُد – كسر – قتل.

١٧. **خبص**: دهس – خلط – فاجأ – أكل حتى التخمة.

١٨. **دُوْن**: قريب – شريف – خسيس سافل – بحر عظيم.

١٩. **شقفة**: خشبة – فأس – كومة – كسرة خزف.

٢٠. **ترتر**: أكثر الكلام – ركض – تعثّر – تلعثم.

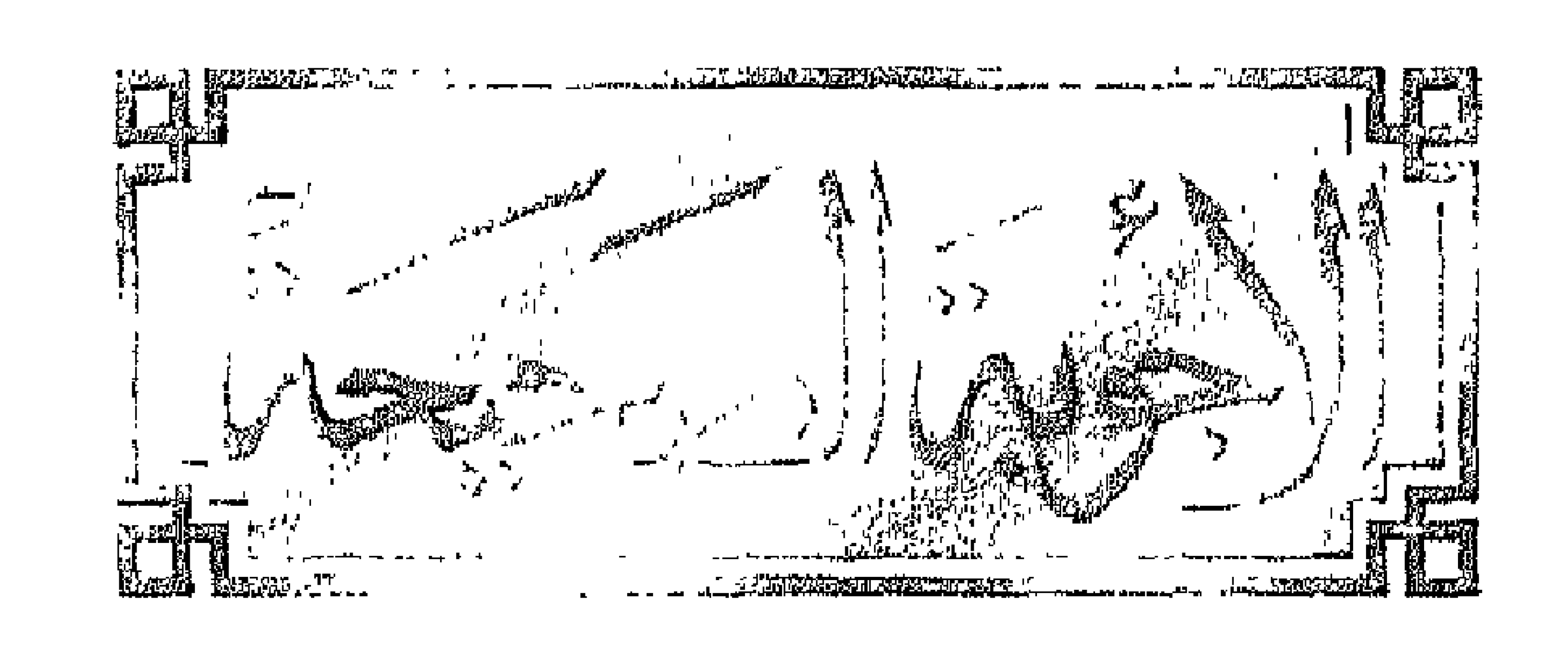
٢١. **شخّ**: بال – جلس القرفصاء – تأنّق – كبر وعجز.

٢٢. **جِلْف**: قضيب حديد – عجل – غليظ جافٍ – جلد.

٢٣. **تزنتر**: تزيّن – شدّ وسطه بحزام – برد – تبختر.

٢٤. **وشوش**: تملّق – همس – رشّ – زجر الابل.

٢٥. **شويّة**: طبع – شواء – بقيّة – نار موقد.



١. **البَرْنيَّة**: إناء من خزف. يقال "برنية سمن."

٢. **الفدان**: الثوران يُقرن بينهما للحرث. وفدان الارض عند الفلاحين ما يحرثه الفدان في يوم واحد.

٣. **البُوش والبَوْش**: الخليط من الناس. يقال "تركهم هَوْشا بَوْشا" أي مختلطين.

٤. **تأبّى**: امتنع ولم يرضَ. يقال "عُرض عليه كذا فتأبى."

٥. **بصبص الجرو**: فتّح عينيه. أيضا: حرك ذنبه. بصَّ: برق وتلألأ. البصّاصة: العين لأنها تبصّ أي تبرق.

٦. **كشّ**: طرد وزجر.

٧. **أرض بُور**: لم تزرع. البَوار: الهلاك. دار البوار: جهنم.

٨. **غنم جَلَب**: مجلوب من بلد الى بلد.

٩. **الخُطْرة**: المرة. يقال "ما لقيته الا خطرة."

١٠. **القرطل**: سلة من قضبان أو قصب. القِرْطلّة: عِدْل الحمار.

١١. **أيس منه**: قنط بمعنى يئس. الآئسة: البالغة خمسين عاما فما فوق.

١٢. **انتظره واستنظره**: ترقّبه.

١٣. **الجبّانة**: المقبرة. وهي أصلا الصحراء،سميت بها المقابر لأنها كانت في الماضي تتخذ في الصحراء، وهذا من قبيل تسمية الشيء بموضعه.

١٤. **حَرِد**: غضب فهو حارد وحَرِد وحَرْدان.

١٥. **التنبل والتِنبال**: القَصيرُ القامة. أما "التنبل" بمعنى البليد الكسلان فهي مصطلح تركي.

١٦. **طخّ الشيء**: رماه وأبعده.

١٧. **خبص**: خلط.

١٨. **دُوْن**: نقيض فوق. الرجل الدُون: الخسيس الحقير السافل.

١٩. **الشَقْفة**: كسرة الخزف. والعامة تقول "شَقْفة" بمعنى قطعة.

٢٠. **ترتر**: أكثر الكلام وأسرع فيه.

٢١. **شخّ الصبي**: بال. شخشخ: امتدّ بوله فهو شخشاخ.

٢٢. **الجِلْف**: الغليظ الجافي. وتستعملها العامة للرجل الجافي. جَلَف: قشر. يقال "جلفت قدمي."

٢٣. **تزنتر**: تبختر.

٢٤. **وشوشه**: همس اليه الكلام. توشوش القوم: تهامسوا.

٢٥. **الشَويَّة والشواية**: بقية قوم أو مال. والعرب في بلاد العرب كلها يقولون "شويَّة" بمعنى الشيء القليل.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز

١٤ - ٢٠: جيد جداً

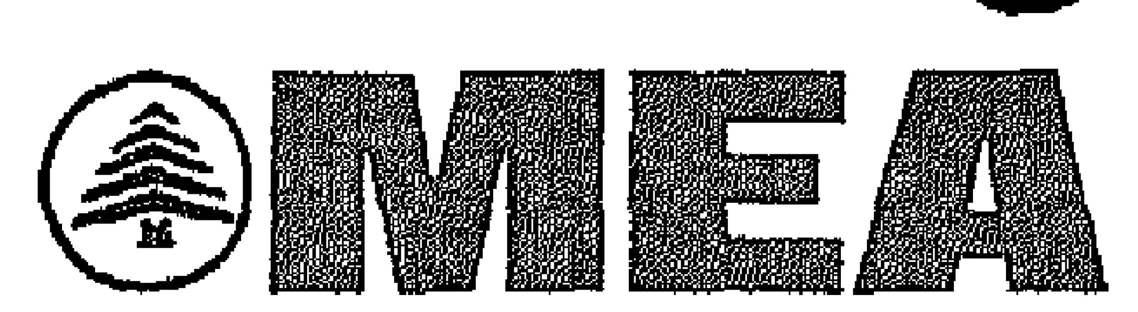
٩ - ١٣: مقبول

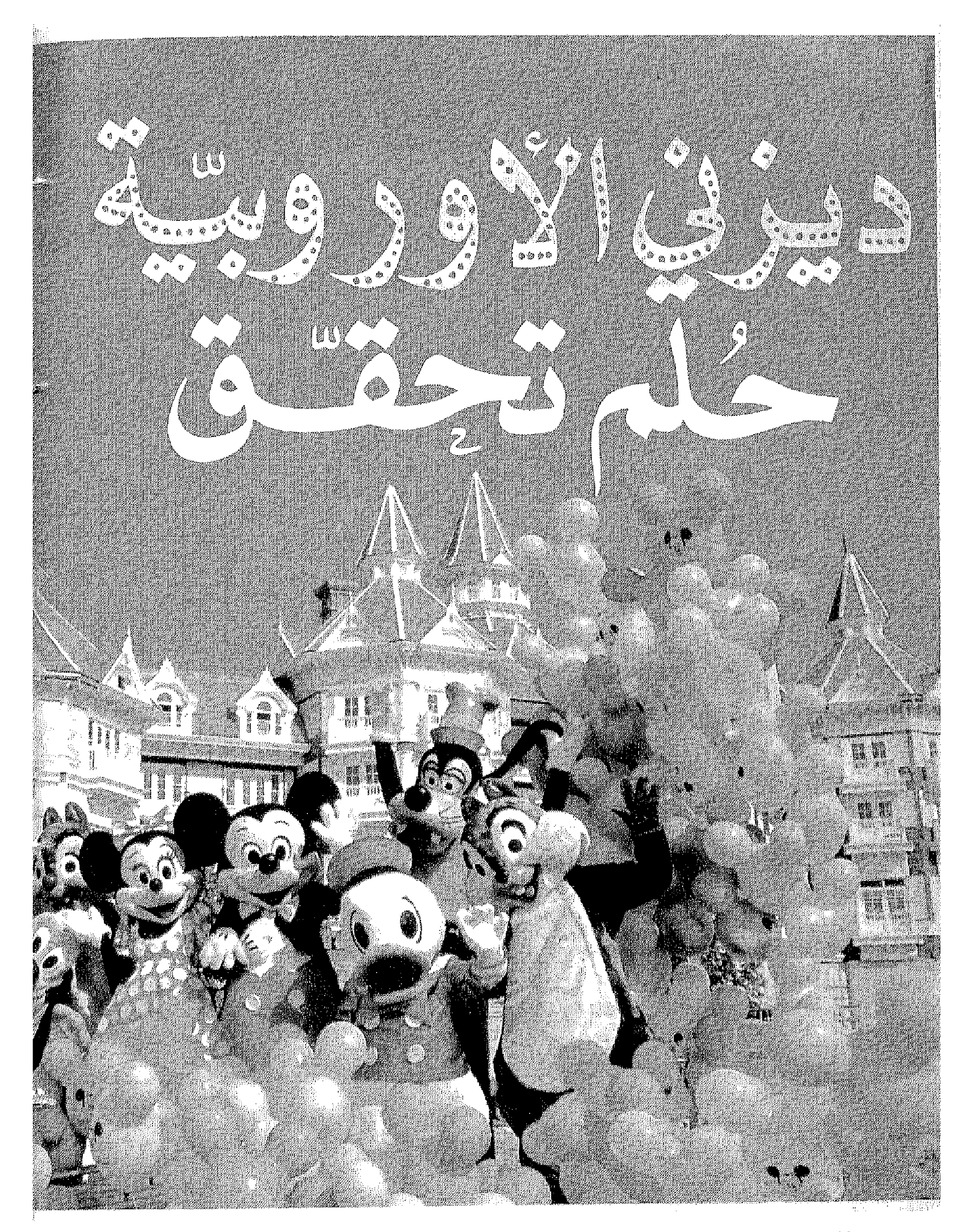
امستردام

مركز تجاري عالمي

محطة جديدة على شبكة خطوط
طيران الشرق الأوسط
الإقلاع كل يوم أربعاء الساعة ٠٧,٤٥ صباحاً

بطائرات آرباص ٣١٠





PHOTOS: © DISNEY

سندريلا هنا والاميرة النائمة وحبيب الاطفال ميكي ماوس وكل فكرة جامحة تأتينا في اليقظة وفي الاحلام

عبرتُ البوابات الامنية في الموقع الفسيح قرب باريس الى غيمة من غبار أثارتها شاحنة حملت ثلاثاً من أضخم الاشجار التي رأيتها تُنقل في حياتي، أشجار تنّوب من ألمانيا بطول ٢٠ متراً ذات جذور وأغصان كاملة سليمة. بدا الموقع كله في حركة: شاحنات وجرافات تسرع في كل اتجاه، ورافعات عملاقة تضع جدراناً وأشجاراً وأبراجاً في مواضعها المحدّدة.

أخبرني أحد السائقين مزهواً: "هذه أكبر ورشة بناء في فرنسا منذ خط ماجينو." فقلت له إنني آمل أن يلقى ما يبنيه حظاً أفضل من حظ سابقه. فاتسعت ابتسامته ورد قائلاً: "لا تقلق، فسوف يمرح الناس هنا مئات من السنين."

ثم أعطاني توجيهات سريعة عبر الفوضى القائمة: "هذه هي البحيرة أمامك، وسوف تقوم على ضفافها أربعة من أكبر فنادق أوروبا يضم كل منها أكثر من ألف غرفة. ومن تلك البقعة هناك سيكون في امكانك الانطلاق الى الفضاء الخارجي. وهنالك الأدغال الاستوائية



ميكي وميني واصدقاؤهما أمام فندق ديزني لاند.

والغرب الامريكي والبيوت المسكونة والبازار الشرقي..." كانت يداه تشيران في كل اتجاه.

"وكل هذا،" أضاف السائق، "بدأ بفأرة!"

قصة حالم. ظهرت تلك الفأرة للمرة الاولى قبل ٦٤ سنة في لوحة رسام أمريكي في السادسة والعشرين من عمره كان يعمل في الرسوم المتحركة ويدعى والتر الياس ديزني، أو والت كما كان يحب أن يسمّى. كان والت خسر وظيفته فراح يحاول يائساً ابداع شخصية جديدة لفيلم من الرسوم المتحركة. وسرعان ما استحضر شخصية فأر جامح، مثل مبدعه، يتلقى ما يرميه به عالمه من غير أن يفقد القدرة على الابتسام.

أطلق والت على فأره اسم "فأر مورتيمر."[١] ثم أخبرته زوجته أنه اسم مرعب. فسألها: "ما رأيك في اسم ميكي؟ ميكي ماوس اسم جيد ومحبّب!"

وفي عشر سنين أصبح الفأر ذو الاذنين المستديرتين صديق الأطفال الحميم في أنحاء العالم. وأصاب والت ثروة وشهرة.

ثم خطرت له، وهو في حديقة ملاه في جنوب كاليفورنيا، فكرة أخرى من أفكاره الجنونية. كان آنذاك جالساً على مقعد يتسلى بأكل الفستق فيما طفلتاه تلهوان على الخيول الخشبية. فتساءل في سرّه "لماذا لا أنشىء حديقة ملاه أضع فيها الشخصيات التي أبتكرها، وحيث يمكن الاطفال والأهل أن يتشاركوا في المتعة؟"

ظل مديرو المصارف طوال عقدين يرفضون إقراض والت ديزني المال اللازم لتحقيق حلمه، على رغم أن استوديوات ديزني أنتجت سلسلة من الأفلام لاقت نجاحاً كبيراً. فاضطر في النهاية الى رهن كل ما يملك، من سندات ومنزل ومفروشات، ليشتري ١٠٠ هكتار من الأرض خارج لوس انجلس ويمهدها. فكانت "ديزني لاند"[٢] ضربة موفقة منذ لحظة افتتاحها. وبعد ١٦ سنة باتت لها شقيقة أكبر حجماً هي "ديزني وورلد"[٣] (١١ ألف هكتار) في أورلاندو بفلوريدا، تبعتها "ديزني لاند طوكيو" في العام ١٩٨٣.

بعد ذلك جاء دور أوروبا. فقد أطلق المسؤولون في شركة والت ديزني ١٥٠٠ شخص من "المتخيلين" لديهم، أولئك الحالمين الذين يبتكرون أفكاراً غريبة مذهلة ويضعون خططاً لتنفيذها. واستقر رأي الشركة، بعد دراسة شملت ٢٠٠ موقع عبر القارة الاوروبية، على مكان رائع يبعد ٣٠ كيلومتراً عن باريس وتبلغ مساحته ٢٠٠٠ هكتار، كانت الحكومة الفرنسية عرضته على الشركة. ووافق الفرنسيون على بناء شبكة طرق ومرافق خدمات وعلى وصل المركز بالمدينة بواسطة المترو[٤] واستحداث محطة لخط القطار السريع المنوي انشاؤه مما يجعل

(١) Mortimer Mouse
(٢) Disney Land
(٣) Disney World
(٤) المترو شبكة قطار نفقي تحت ارض مدينة ما.

لندن وأمستردام وفرنكفورت على بعد أقل من ثلاث ساعات من المركز. وفي المقابل، سيفيد الاقتصاد المحلي من وجود ١٢ ألف عامل في المركز ومن نحو ١١ مليون زائر سنوياً.

وُقِّعت العقود النهائية في مارس (آذار) ١٩٨٧. وسرعان ما شرع ١٠ آلاف عامل في الحفر وتشييد المباني ومد الاسلاك.

خطر على أوروبا! عندما زرت الموقع في أغسطس (آب) ١٩٩١ بدا أشبه بساحة معركة منه بمدينة ملاه. وتساءلت كيف يمكن أن تتحول أربعة ملايين متر مكعب من التراب المبعثر، خلال تسعة أشهر فقط، منتجعا ضخما يضم قصر "الاميرة النائمة" و٢٩ مزاراً آخر و٣٦٠ ألف شجرة و٢٠ جسراً وستة فنادق وخمس برك سباحة و٥٠ مطعماً و١٠٠ متجر و١٠٥١ روبوتا[٥] وسفينة بخارية من النوع الذي يمخر نهر الميسيسيبي؟

قال صديق فرنسي ساخراً: "إنهم يحتاجون الى عصا سحرية لكي ينهوا العمل في الوقت المحدد،" ناسيا أن جماعة ديزني تستعمل العصي السحرية منذ أكثر من نصف قرن. وثمة واحد من أبرع "السحرة" انضم اليها حديثاً يدعى روبرت فيتزباتريك، وهو أمريكي في الثانية والخمسين من عمره كان اختصاصيا بالادب الفرنسي ثم أصبح رئيسا لمعهد فنون في لوس انجلس ترعاه شركة "ديزني." وذات صباح سبت في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٦ كان يتناول فطوراً مبكرا مع فرانك ولز أحد كبار مديري الشركة، فطلب منه هذا أن يتولى ادارة المشروع الذي تبلغ كلفته أربعة مليارات دولار. لم يكن فيتزباتريك تولّى في حياته مشروعاً بهذا الحجم والتعقيد، لكنه أظهر على الدوام براعة مميزة في التعامل مع مجموعة كبيرة ومتنوعة من الأشخاص العاملين في مهن ابداعية، في التمثيل والرقص وادارة المسارح والرسوم المتحركة. فقبل العرض وانتقل الى باريس في الخريف التالي.

كان فيتزباتريك بصفته رئيساً لـ"أورو ديزني"[٦] هو سفير ديزني غير الرسمي الى "العالم القديم." وقد اكتشف هناك أن ثقافته الاكاديمية لا تقدر بثمن، إذ أثار المشروع استياء بعض الأوساط الاوروبية، وعبّر أحد الصحافيين البريطانيين عن هذا السخط بقوله: "ان مفهوم ديزني لاند هو تهديد للحضارة كما نعرفها نحن الاوروبيين."

قال فيتزباتريك: "لم أستطع أن أنظر الى الحضارة الاوروبية كسيدة عجوز هزيلة يرعبها فأر." ولاحظ أن معظم الشخصيات التي أعاد ديزني إحياءها متجذرة في التراث الاوروبي نفسه: سنو وايت وسندريلا وبينوكيو وبيتر بان. كما أن قصر الاميرة النائمة مستوحى جزئياً من مخطوطة من القرن الخامس عشر بعنوان "ساعات دوق بيري الفنية."[٧]

(٥) الروبوت هو ما يعرف بالانسان الآلي.
(٦) Euro Disney اي ديزني اوروبا.
(٧) Les très Riches Heures du Duc de Berry

أذنا ميكي ماوس، جاب خبراء شركة ديزني الارض بحثاً عن عناصر وأشخاص لهذا العالم الآتي من قصص الجنيّات. وذهب أحدهم الى ويلز بحثاً عن حرفيين يمكنهم صنع قطارات صغيرة عتيقة الطراز ذات محركات بخارية تنقل الزوار أثناء تطوافهم في المركز. وسعى آخر الى حفّاري خشب أمريكيين لنحت الخيول الخشبية العملاقة التي ستركَب على دوارة الخيول. وراح ثالث يستكشف الكهوف في جنوب فرنسا ليعود بأشكال جديدة من الرواسب الكلسية (الصواعد والهوابط) يمكن إعادة نسخها في مغاور "أورو ديزني."

عثر الخبراء على فينسنت لينار في بلجيكا، وكان يرئس مؤسسة لتجارة الثياب الجاهزة في بروكسل... الى أن جاء يوم رأت زوجته "أذني ميكي ماوس تنبتان على رأسه." ويشرف لينار الآن على أكثر من ٢٠ مشغلا في فرنسا وبلجيكا تعمل في إعداد نحو ٣٠٠ ألف قطعة ثياب متنوعة ضرورية لما تدعوه شركة "ديزني" شخصياتها.

يرتدي كل من يعمل في "ديزني" زياً ما، بمن فيهم "المضيفون" أو منظفو الشوارع الذين يجولون في كل مكان للتأكد من عدم وجود أعقاب سجائر أو لفافات علكة (لبان) تشوه نظافة الديكور. وهم يرتدون أزياء خاصة لأنهم كلهم يمثلون أدواراً في ما سماه أحد مديري الشركة "صندوق ديزني السحري."

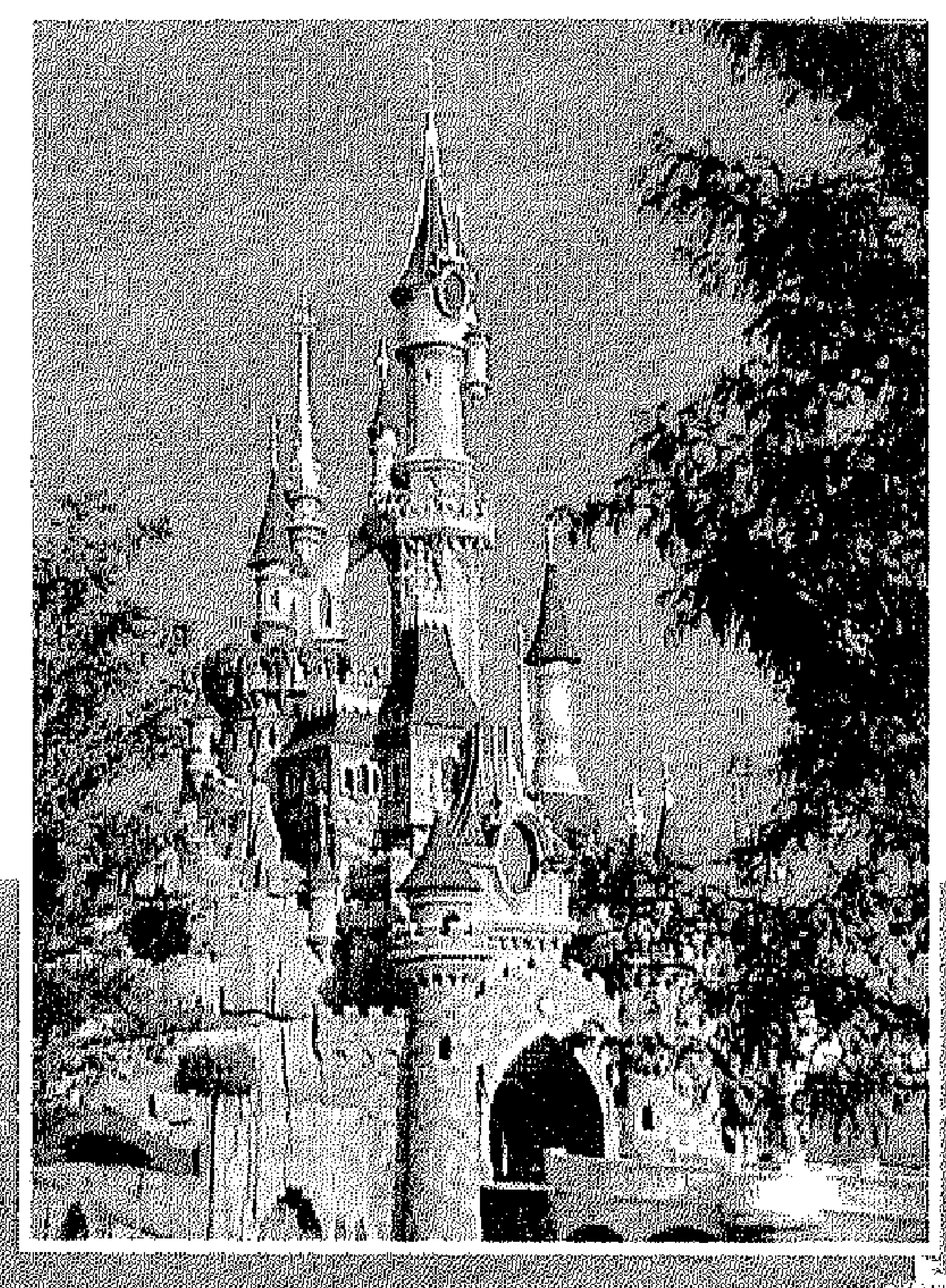
داخل هذا الصندوق السحري رجل يدعى جان – لوك شوبلان هو مدير برامج التسلية. وكان هذا الانسان المبدع أغرق نفسه في عالم الرقص والاحتفالات أكثر من عقدين، لكن التحديات التي واجهها هو وفريقه في "أورو ديزني" كانت جديدة تماماً. فقد تعين عليهم تدريب ثور من فصيلة براهما في أوكلاهوما على الانحناء للنظارة، والاشراف على تجارب فرسان الروديو[8] في دالاس، اضافة الى انتاج نسخة طبق الأصل من استعراض الغرب الامريكي الذي جاء به بافالو بيل الى باريس قبل قرن. كما كان في عداد مهماتهم الاشراف على أداء عازفين في ٣٢ فرقة موسيقية ستعزف يومياً طوال النهار في الشوارع والمطاعم، وانتاج شريط فيديو روك اند رول ورقصة الكانكان الفرنسية. وكل ذلك جزء من أسلوب ديزني في العمل: انضباط تام في جو من الألفة البعيدة عن الرسميات.

"لا تقل لا!" لغرس هذا المزيج الخاص في طباع العاملين في "أورو ديزني" المستقدمين من ١٢ بلداً من المجموعة الاوروبية، أُرسل مئات منهم الى الولايات المتحدة للتدرب في جامعة ديزني وفي مدينتي ديزني للملاهي هناك. واحد من هؤلاء كان الهولندي ريكو دو بلانك المدير المساعد لمطعم "راينبو روم" الذي يتسع لمئتي مقعد، وهو يقول: "تعلمت أننا نحتاج هنا الى مزاج أكثر مما نحتاج الى أهلية. فاذا تقدم رجل

(٨) الروديو مباراة لعرض البراعة تجرى بين رعاة البقر.

لوظيفة نادل وكان لا يتقن حمل طبق طعام، فأنا لا أعبأ للأمر، إذ بإمكاني أن أعلمه ذلك. غير أن ما أبحث عنه هو شاب بمزاج ودود يمكنه اتباع قاعدتنا الذهبية: لا تقل لا لضيف أبداً."

ولاضفاء بعض التأثيرات السحرية على "أورو ديزني" تحوّل فيتزباتريك الى كبار الاختصاصيين في شركة "ديزني." ومن هؤلاء كاتي موس وارنر مديرة قسم المناظر الطبيعية في "ديزني وورلد" التي ترئس ما يمكن اعتباره أعظم فريق خبراء في العالم لنقل مئات الاشجار والشجيرات وزرعها في موقع جديد بحيث تبدو كأنها موجودة فيه منذ القدم. تقول وارنر: "يفتح المتنزه ٣٦٥ يوماً في السنة. ونحن نتلقى أجوراً لنفعل ما يبدو مستحيلا. أردنا تشكيل لوحات على الارض من مساكب زهور دائمة النضرة، فأُبلغ الينا تعذُّر تشكيل لوحة "قطة تشيشاير" مثلا في "أورو ديزني" لأن معظم الزهور لا تتفتح في الهواء الطلق في شتاء باريس. لكننا كنا في هذه الاثناء هجّنّا نوعاً من البنفسج ذا قدرة فائقة على الاحتمال يمكن تغطيته في الليالي الباردة ليبدو نضراً في اليوم التالي."



(الى اليسار) قصر الاميرة النائمة.
(تحت) فندق ديزني لاند مدخل رائع لمدينة "أورو ديزني."



قراصنة وتنين و... سندريلا. عملت جماعة ديزني بحماسة استعداداً لليوم الكبير: افتتاح "أورو ديزني." كان "الممثلون" العاملون في امرة شوبلان والبالغ عددهم ١٠٤٨ يتدربون من دون توقف على أداء أدوارهم. واكتمل زي خدم الفنادق، ونادلات "مطعم آنيت" للوجبات السريعة اللواتي يتنقّلن منتعلات مـزالج بعجـلات،[٩] والتنين العملاق، وحورية البحر الصغيرة. أما الخيول التي ستجر العربات فكانت تتدرب على السير في "الشارع الرئيسي"[١٠] لتعتاد رؤية الجماهير الغفيرة ومشاهد فئران يبلغ طولها ١،٨ متر.

وفي تمام التاسعة والدقيقة الاولى من صباح ١٢ ابريل (نيسان) ١٩٩٢ فتح هذا المنتجع أبوابه للناس، واكتشف الزوار أن هذه الناحية من الريف الفرنسي تغيرت معالمها: فالجسور طُليت بالبنفسجي الباهت والاصفر الفاتـح وزُيّنت بنقوش مرحة. وأعمدة المصـابيح ملوية بغرابة. وبدلا من أشجار الدردار والزان التي تملأ الغابات المحلية، تشاهد هناك أشجار دائمة الخضرة من ألمانيا وأشجار نخيل من ايطاليا وأشجار سيكويا عملاقة من كولومبيا البريطانية.

لن يعرف الزائر، حين يصبح في الداخل، ما اذا كان ما يراه حقيقة أو زيفاً. فرعاة البقر في استعراض الغرب الامريكي أتوا من ولايتي وايـومنغ ومونتانا، والهنود الحمر هم فعلا من قبائل السيو والاباتشي، والثيران هي من فصيلة الجاموس الامريكي (بفالو). أما قراصنة البحر الكاريبي ذوو الاشكال المخيفة الذين يقتحمون، على مرأى من الزوار، حصناً من طراز زمن الاستعمار ويختطفون النساء، فهم جماعة من الناس الآليين (روبوتات).

قد يصطدم الزائر المتجول في شوارع "أورو ديزني" بدببة ترقص أو بتنين طوله سبعة أمتار، أو قد يسمع خلفه طقطقة حذاء من زجاج فيلتفت ليرى سندريلا ترقص مع أميرها. وينعطف الزائر في اتجاه ما واذا به في رحلة عبر الزمن يقودها جول فيرن."[١١] وينعطف في اتجاه آخر فتتقلّص أحشاؤه رعباً اذ يركب قطاراً مسرعاً عبر منحدرات جبل "بيغ ثندر" المخيفة. واذا رغب في رؤية كل المشاهد المثيرة، فعليه أن يعدّ نفسه ليوم كامل على الاقل ولقطع ٣ كيلومترات على الاقدام، من غير ان يجد وقتاً للسباحة أو ركوب القارب أو ممارسة لعبة الغولف أو الرقص في ملهى أو التنزه في الغابة.

ميكي في الداخل. باعت "أورو ديزني" مئات الألوف من بطاقات الدخول قبل أشهر من الافتتاح، بسعر ٢٠٠ فرنك (٣٦ دولاراً) للراشدين و١٥٠ فرنكا (٢٨ دولاراً) للاولاد. وما ان يصبح الزوار في الداخل حتى يجدوا ما يرضي كل الاذواق وكل الموازنات. يستطيع الزائر أن يتناول

(٩) Roller skates
(١٠) Main Street, U.S.A.
(١١) جول فيرن كاتب فرنسي عُني بتاليف روايات علمية - خرافية.

غداءه الى موائد أنيقة مغطاة بشراشف بيض ناعمة، أو على ألواح خشبية غير مصقولة. ويمكنه النوم في فندق فخم أو في مقصورة. لكنه يستطيع الاطمئنان الى أنه سيستقبل بابتسامة أينما كان.

اذا سار كل شيء بحسب المخطط المرسوم، فسوف يتضاعف حجم المنتجع مرتين بحلول السنة ١٩٩٥ وثلاث مرات مع أوائل القرن المقبل. وما زال الحالمون مجدّين في عملهم. ولن تكتمل "أورو ديزني" أبداً، تماماً كما شاء ميكي.

فعلى رغم كل التعقيدات التقنية، تبقى حدائق ملاهي ديزني تجسيداً لروح الكائن البسيط الذي بدأت به. اذ لا شيء خارقاً في ميكي. انه عادي، حسن الطوية، اجتماعي، مدع، يأخذ أمور الحياة كما يراها. وهو يشبه في كثير من النواحي مبدعه الذي كان عبقرياً بالتأكيد، لكنه مع ذلك قد يمر وسط جمهرة من الناس من دون أن يلفت انتباه أحد.

لقد أدرك والت ديزني السّر الذي جعل أعماله شعبية الى هذا الحد: فهي خاطبت "ميكي داخلنا، ذلك الشيء الثمين الذي لا يشيخ داخل كل انسان والذي يجذبنا الى اللعب بدمى الأطفال والضحك على أمور سخيفة والغناء في الحمام ونسج الاحلام."

فلا تستغربوا اذاً، عندما ترافقون أولادكم أو أحفادكم لزيارة "أورو ديزني"، اذا اكتشفتم أن الطفل داخلكم يحنّ الى زيارتها مرة أخرى.

روبرت فرنيك ■



اعتذار مقبول

كنت مسافراً على متن طائرة اشتهرت شركتها بالتأخر الدائم في الوصول. وكانت الرحلة شاقة منذ البداية، فخامرني بعض قلق. وفي النهاية سمعتُ صوتَ القبطان عبر المذياع: "سيداتي، سادتي. لدي نبأ مزعج. ستحط طائرتنا في الخامسة والنصف، أي في موعدها تماماً. وبما أن كثيرين منكم هم من ركابنا الدائمين، فانني أعتذر لهذه السابقة."

د.ش.

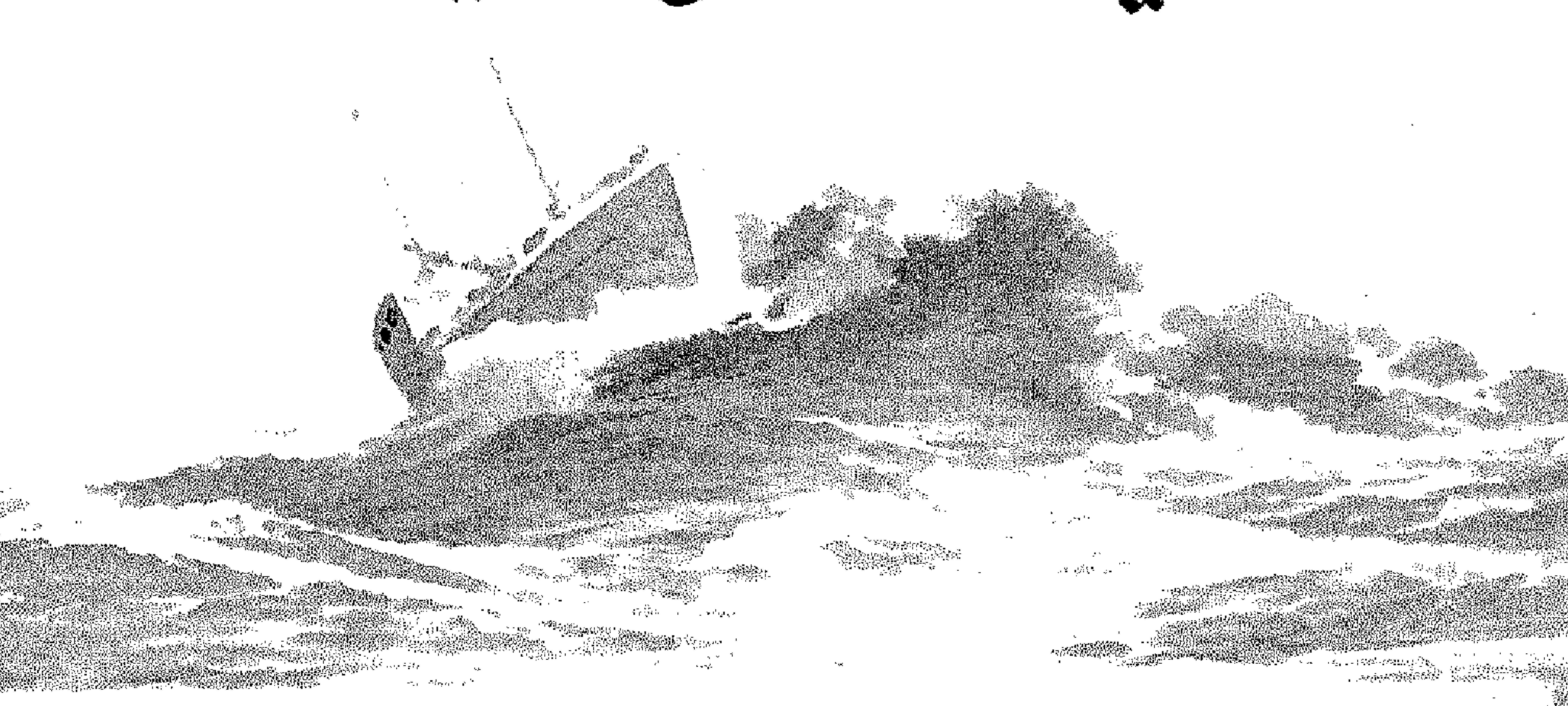
أمي

زوجي سائق حافلة. ذات يوم كان يهمّ بتجاوز محطة في شارع مقفر حين صاح أحد الركاب معلناً أن امرأة تريد الركوب. فأوقف الحافلة وفتح الباب في انتظار الراكبة القادمة. وبعد دقيقة رأى امرأة مسنة تجتاز الشارع بتؤدة متكئة على عصا. فمكث ينتظرها حتى وصلت واعتلت درجات الباب. وما إن صارت في الداخل حتى أغلق الباب، فصاحت به: "مهلاً، أمي آتية أيضاً."

ك.ل.

قصة من واقع الحياة

صاعقة من نار في عرض المحيط



انصب عليها الزيت الغالي
وواجهت خطر الصدمة والغنغرينا والموت
فمن ينقذها في تلك اللجة الزرقاء؟

ضربت الأمواج الهائلة اليخت "باتيشا" بلا شفقة طوال ثلاثة أيام. ولما هدأت قررت بات سكوت أن تغتنم الهدوء فتطهو وجبة طيبة لزوجها المنهك جيري.

كان ذلك في ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨ وقد مضى على ابحار الزوجين الامريكيين نحو ستة أسابيع في يختهما الشراعي. وهما أبحرا من ميناء سلفادور في البرازيل في طريقهما الى كيب تاون في جنوب افريقيا عبر المحيط الجنوبي العاصف.

صبت بات قنينة زيت في المقلاة وشرعت تهيىء غداء من سمك مقلي مع البطاطا. وتناول الزوجان طعامهما في المقصورة الرئيسية المهوأة وهما يتأملان البحر والشمس الدافئة.

قال جيري: "اذا استمرت الحال هكذا فسندرك كيب تاون خلال أسبوع."

ILLUSTRATIONS: TONY BUTLER

فهتفت بات مبتهجة: "هذا رائع." وأضافت وهي تجمع الصحون: "والآن يا كابتن، عندي مفاجأة لك. كعك محلّى!"

في مطبخ اليخت في الاسفل، حمّت بات الزيت في المقلاة إلى أن غلى، ثم اسقطت العجينة الأولى. وما إن رفعت الكعكة الثالثة من المقلاة بعد دقائق حتى ضربت جانب اليخت ريح عاتية مفاجئة.

أطلقت بات شهقة اذ انقلب وعاء الزيت الغالي. ورفعت يدها اليمنى غريزياً لمنعه من الوقوع. غير أن الزيت تناثر على ذراعها، فتراجعت محاولة الابتعاد، ولكن بعد فوات الأوان. فقد انهمر الزيت كشلال على ساقها اليمنى. واذ حاولت امساك منضدة المطبخ فقدت توازنها على الأرض الزلقة فوقعت. وسفعها الزيت الغالي متغلغلا في ثيابها الى ردفيها وأسفل ظهرها.

ظلت بات ذاهلة للحظات. لكن صاعقة الألم الأولى ما لبثت أن ضربتها فصرخت.

سمع جيري الصرخة فيما كان يصلح شراعاً ممزقاً، فهبط مسرعاً الى المطبخ. وأدرك للحال خطورة الموقف، فغار فؤاده. كان عالج كثيرين من عمال المطابخ من حروق الزيوت والدهون الساخنة بحكم خبرته المطعمية الطويلة. ولكن لم يسبق له أن رأى شيئاً على هذا المثال.

تمددت بات على الأرض وهي تلهث ألماً. فهتف جيري بصوت أجش: "بات، يا حبيبتي. هل تسمعينني؟"

همست: "أجل. لكن الألم... الألم..."

جس جيري جبين زوجته، كان بارداً ورطباً. وكان نفسها خافتاً. أدرك أن عليه نقلها الى السرير المبيَّت في المقصورة الرئيسية قبل أن تدخل حال صدمة وتعجز عن الحركة. وهو لن يستطيع جرها فوق درجات السلم الست إن لم تتعاون معه.

لذلك شجعها بلطف قائلا: "هيا يا عزيزتي. يجب أن تحاولي الوصول الى المقصورة. هل تدركين أهمية ذلك؟"

أومأت بات برأسها وهي تصر بأسنانها. وعاونها جيري بتؤدة كيما تقف على قدميها. وخطوا ببطء الى الأمام. خطوة مؤلمة تليها أخرى. فهمهمت بات: "يا رب، خلصني من هذا الألم."

حين أدركا المقصورة الرئيسية ساعد جيري بات على التمدد فوق السرير. ثم شرع ينزع ثيابها بتأن، فراعته فظاعة جروحها. كانت ذراعها اليمنى حتى المرفق كتلة من اللحم المسلوق. وكان الجلد في ساقها، من أعلى الفخذ الى رسغ القدم، منسلخا وعالقاً كثنيات الشمع الذائب، وقد بدأت قروح ضخمة تتشكل في كل ناحية.

فأدرك جيري يائساً أنه يتأمل حروقاً من الدرجة الثالثة.

غطى بات ببطانية وهبط مسرعاً إلى المطبخ ليملأ دلوين ثلجاً. ولف قطع الثلج بمناشف ووضعها مصرورة فوق القروح لاراحتها. وبدأت الصدمة تغلب بات واهتز جسدها بارتعاشات عنيفة. قالت: "جيري، أرجوك، أتوسل اليك. أخرجني من هذا اليخت."



امتلأت نفس جيري شفقة. فهو يفهم ذعر زوجته، لكنه يواجه محنة صعبة هي ابحار اليخت وحيداً. لا وقت للدلال. فالحب منذ الآن يجب أن يكون حازماً. قال بصوت أجش: "انسي ذلك يا بات. الوسيلة الوحيدة للخروج من هذا اليخت هي الغرق."

اصطدم اليخت بموجة عنيفة، فخنقت بات صرخة في حلقها اذ ضرب الألم كامل جسدها. وجلس جيري قربها ممسكاً يدها اليسرى في يده. فشدَّت بات عليها حتى ابيضَّت مفاصل أصابعها. وهمست: "آه يا جيري. لا أدري ان كنت قادرة على تحمل هذا الألم. انه أسوأ من أي شيء يمكنك تصوره."

فأجابها بالحاح: "ستكونين على ما يرام. انما حافظي على سكونك ولا تتحركي."

فتأوهت بات: "يا إلهي! جيري، لماذا وقعنا في خضم هذا الكابوس؟"

"**يجب أن أقاوم**." بدأ "كابوس" بات (٤٢ عاماً) وزوجها جيري (٥٣ عاماً) حلماً بالابحار حول العالم راودهما قبل أكثر من أربع سنوات في بلدتهما بوينتن بيتش في ولاية فلوريدا. بنى جيري اليخت في الفناء الخلفي لمنزلهما. وخططا وجهة سيرهما بحذافيرها، وهي الابحار عبر المحيط الأطلسي الى البحر الأبيض المتوسط، ومن هناك الى امريكا الجنوبية، ثم العودة الى افريقيا، ومنها الى المحيط الهندي وما وراءه.

جهز اليخت قبيل نهاية العام ١٩٨٥. فباع جيري وبات مطعم العائلة وودعا أولادهما الخمسة الراشدين وانطلقا. لقد تحقق حلمهما.

واجها خلال السنوات القليلة التالية أعطالاً في بعض الأجهزة وأضراراً من جراء العواصف، لكنهما لم يقعا في شرك مصيبة عظيمة.

حاول جيري، وهو جالس قرب زوجته المعذبة، أن يتأمل الوضع بهدوء. لقد بدأ الابحار منذ كان في الخامسة عشرة من عمره، واهتم بمفرده بعدة مراكب. وهو يشعر أن في مقدوره تدبر أمره خلال الأيام الأربعة التي تفصله عن كيب تاون إن استمر الطقس مستقراً.

لكن الابحار ليس سوى نصف المشكلة. فقد تغزو الجراثيم حروق بات إن لم تتلقَّ عناية طبية. والمؤونة الطبية محدودة. وقد تموت بات قبل بلوغهما اليابسة إن ضربت الغنغرينا (الأكال) جسدها.

لجأ جيري الى راديو الهواة آملاً الحصول على توصية خبير: "النجدة! النجدة! اليخت باتيشا يتصل بجميع المواقع. حوِّل."

وكرر الرسالة عبر موجة الطوارئ الدولية مدة ساعة تقريباً من دون أن يتلقى جواباً.

فجأة طقطق عبر السماعة صوت ذو لكنة انكليزية لا ريب فيها: "اليخت باتيشا. هنا KB4 KEC. هل تسمعني؟ حوِّل."

قفز جيري من مقعده وصرخ عبر جهاز الارسال: "اليخت باتيشا! نعم، اني أسمعك!" ثم حدد مكانهما ووصف ما حدث. واتفق أن الرجل البريطاني، وهو هاوي اتصالات في جزيرة مايوركا قبالة شاطىء اسبانيا، يقطن في جوار صيدلي. فيا للمصادفات!

تكلم جيري بعد دقائق مع الصيدلي الخبير جاهداً لسماع الكلمات المترددة عبر مسافة تزيد على عشرة آلاف كيلومتر. أنبأه الصيدلي: "يجب إبقاء الجروح نظيفة. وأهم من ذلك ابقاء القروح طرية. اغسلها بالماء النقي وادهنها بمرهم مطهر. فان تركتها تقسى وتبرز غزتها الجراثيم."

اكتشف جيري في عدَّته الطبية علبة رذاذ مطهر. فنظف حروق بات بالماء ورش القروح بالمطهر. وهو استوعب جيداً أهمية العناية الدائمة. وقال في نفسه مطمئناً: "لقد مررت في أوقات عصيبة من قبل. ويمكنني تجاوزها الآن."

ثم قال لبات: "سيكون الوضع صعباً يا عزيزتي. ولكن عليك تحمل الألم خلال الأيام الأربعة أو الخمسة المقبلة. فهل أنت قادرة على ذلك؟"

كان الالم طاغياً على بات فأرادت أن تصرخ: "لا، لا. لا أستطيع الاحتمال أكثر." لكنها قالت في نفسها: "يجب أن أقاوم. يجب أن أكون قوية." فابتسمت بوهن وأومأت برأسها.

نومة أولى. مع حلول الظلام هيأ جيري يخنة سمك وأطعم بات قبل أن يشرع في تفحص حروقها. كان عليه أن يبقى متيقظاً على رغم أن اليخت كان يبحر آلياً. فكان يمتحن توازن الأشرعة ويتأكد من اتجاهها. وبعيد منتصف الليل تضاءل النسيم القوي تدريجاً. وتعاظم قلق جيري مع مرور كل ساعة.

كانت تلك أطول ليلة عاشتها بات، اذ انتقلت من ألم مبرِّح الى وجع تملك كامل جسدها. وكلما تمايل اليخت انبعثت فيها موجات الصدمة مخترقة جسدها الى العظام. فصلَّت وهي تعضّ شفتيها كي لا تصرخ، وفكرت: "يا إلهي. اني خائفة كثيراً. أود أن أعود إلى بيتي."

خيم هدوء لذيذ فجر اليوم التالي وتمددت بات ناعمة بالسكينة. لكنها سرعان ما أدركت الثمن الغالي لنعمة السكون تلك. فاليخت "باتيشا" هادىء هو أيضاً. وكل تأخير في الوصول يدنيها من الموت أكثر.

نظر جيري الى الأفق مع الاشراقة الأولى، فأيقن أن الأمل ضئيل بهبوب ريح بعد يوم أو يومين، والخيارات قليلة. ولا يمكنه المجازفة بادارة المحرك لأن مخزونهما من الوقود لا يغطي الا مئة كيلومتر. وقد أصبحت أيام الابحار الأربعة أقرب الى ستة. ففكر محبطاً: "ليت أحداً ينقذنا." واستمر يبعث رسائل استغاثة طوال ساعات.

حافظ البحر على سكونه تلك الليلة وفي النهار الذي تلاها. وكان جيري خلالهما يستجدي الريح. وفي المساء استجيبت صلواته، لكن ارتياحه لم يطل. فقبيل منتصف الليل علق اليخت بين فكي عاصفة. وكانت بات تصرخ في سريرها اذ تلظى جلدها المسلوخ والمكشوف مع كل اندفاع لليخت.

احتدمت العاصفة تلك الليلة. واستمرت كذلك نهاراً وليلة آخرين. كانت الرياح تهب بسرعة ٦٠ عقدة (١١١ كيلومتراً) مثيرة أمواجاً شاهقة كالجبال ومزبدة على امتداد النظر. وكان الرذاذ يتطاير في كل مكان حتى ان جيري عجز أحياناً عن التمييز بين البحر والهواء. وتساءل: "الى متى سيتحمل اليخت هذا العنف؟"

عمل جيري كرجل آلي اذ غلبه الارهاق. وتوقف عن التفكير وراح ينتقل من مهمة الى أخرى كنائم. كانت المولدات تتعطل من حين الى آخر، وأجهزة الملاحة الالكترونية تتوقف فجأة، والاشرعة تتمزق كل حين مما يعرض اليخت للانجراف أو الانقلاب بهجمة

موجة قوية. وزوجته بات! فمعجزة أنها لم تصب بالتهاب. كان كلما داوى الحروق يتفحصها بحثاً عن أضعف دليل لالتهاب. لقد رافقهما الحظ في هذه الناحية على الأقل.

همدت العاصفة فجأة مع الصباح، وتمدد جيري في سريره مستغرقاً في نوم عميق. حدقت اليه بات مصلية لكي يستمر الهدوء فترة كافية ينام فيها من دون ازعاج.

ليتها تستطيع مساعدته!

حاولت أن تنهض، لكن أدنى حركة كانت تسبب لها ألماً مبرحاً جديداً. لم يكن في مقدورها سوى أن تتمدد وتفكر في حياتها. هل سترى أولادها وأحفادها مرة أخرى؟ غمرها الحزن فتمنت لو تنشج بصوت عال. لكنها محت هذا الشعور بتلاوة صلاة مبتهلة الى الله لكي يحمي زوجها ويمنحها القوة. وغابت في هجوع قصير.

استيقظ جيري بعد ثلاث ساعات. كانت تلك أطول نومة له منذ ستة أيام. وعندما تفحص موقعهما هاله أن الريح ساقتهما جنوباً فقطعا نصف الطريق إلى بورت نولوث وأصبحا على بعد مئتي كيلومتر من جنوب غرب كيب تاون. وكانت الرياح الجنوبية الشرقية المهيمنة في ذلك الوقت من السنة تحتم ابحارهما الى الجنوب مباشرة مسافة لا تقل عن ٣٠٠ كيلومتر قبل التحول في اتجاه خليج تايبل.

خامر جيري ذعر للمرة الاولى. وفكر يائساً: "لا أظنني قادراً على مواجهة عاصفة أخرى. ربما من الأفضل أن تأتي عاصفة واحدة تنزلنا الى القعر." لكنه أجبر نفسه على الخروج من حال الكآبة مفكراً: "لم أكن يوماً رجلاً انهزامياً. وليس الوقت مناسباً الآن لكي أصبح كذلك، فأمامي أعمال علي انجازها."

أمل متجدد. قبع اليخت هادئاً على صفحة المياه خلال اليومين التاليين، وقد غدا هذا النمط أليفاً. وواصل جيري ارسال نداءات الاستغاثة في غياب أي معلم لسفينة أو مروحية. ولم يردّ أحد على نداءاته. ولف اليخت سكون الأطلسي الرمادي الكبير.

وفي الليلة الثالثة – أي التاسعة منذ وقوع الحادث – التقط جيري رسالة عبر الراديو فتضارب الأمل واليأس في نفسه. الأمل لأن الرسالة ناشدت جميع السفن البحث عن اليخت "باتيشا" المحتاج الى معونة طبية عاجلة، واليأس لأن الموقع المذاع كان موقع اليخت قبل العاصفة على بعد ١٥٠ كيلومتراً غرباً.

أخيراً تمكن جيري من الاتصال بناقلة النفط "أتلانتيك" التي تعهدت إبلاغ سلطات ميناء كيب تاون موقع "باتيشا" الجديد. كان اليخت لا يزال على بعد مئتي كيلومتر الى الشمال الغربي من كيب تاون. غير أن جيري كان يعلم أنه لا يستطيع انتظار وصول النجدة. فان تمكن من الابحار جنوباً استطاع استخدام المحرك في اتجاه جنوبي شرقي في

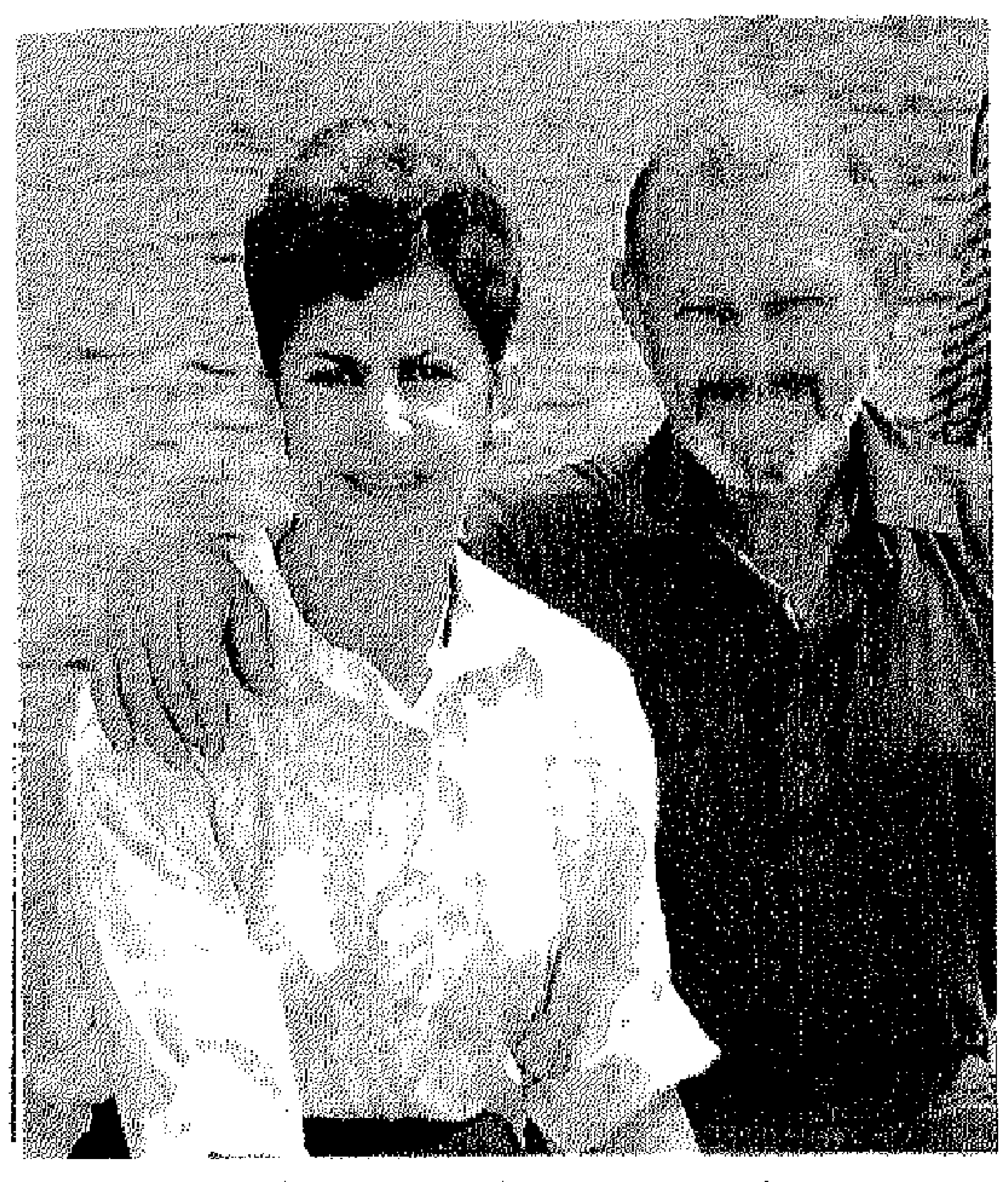
انطلاقة أخيرة الى خليج تايبل. وهو أخبر بات: "سننجز ذلك خلال نهار واحد اذا كانت الريح ملائمة."

طلع الفجر التالي حاملا نسائم طفيفة، فحجب الأملُ المتجددُ ارهاقَ جيري. وعندما قرأ موقع اليخت مرة أخرى ذلك المساء استغرب أنه على مسافة ثلاث ساعات فقط من كيب تاون. فصرخ مبتهجا: "بات! بات! انظري جيداً. سترين أنوار المرفأ في أي لحظة!"

بث جيري عبر الراديو موعد وصوله المتوقع إلى كيب تاون. وأوصى سلطات الميناء تجهيز طاقم طبي. ثم وقف وراء الدفة منتظراً بريق الأنوار. لكن الساعات مرت ولم يرَ سوى الظلام، فأعاد النظر الى موقعهما باشمئزاز. لقد ارتكب خطأ فادحا! اذ كان في حال إعياء. فموعد وصولهما المتوقع كان بعد نحو أربع وعشرين ساعة، ولا يسعه تعجيل ذلك.

انحبس النسيم. وعندما تفحص جيري الموقع بعيد شروق الشمس وجد أنهما يبعدان مئة كيلومتر جنوبا شرقاً من كيب تاون. وأعاد النظر لكي يتأكد من ذلك. ثم حول دفة اليخت في اتجاه خليج تايبل وأدار المحرك. كان هذا سباقه الأخير في وجه الريح والعواصف ونقص الوقود.

وهج رحمة. سحب جيري جميع المعدات فأرعد اليخت في المياه. كان جيري يدرك المخاطر المترصدة. فقد يقعان تحت رحمة البحر مجدداً اذا تعطل المحرك أو نفد الوقود. واختلس نظرة الى



جيري وبات سكوت على متن يختهما باتيشا.

مؤشر الوقود. كانت الابرة ترتجف بين الربع والفراغ. أعاد جيري حساب وقوده غير واثق من نفسه، وفكر: "أنا على صواب. لا بد أن هناك مئة ليتر على الأقل، وهي كافية."

أنعم النظر في الأفق باحثاً عن غيوم تنذر بعاصفة، فلم يجد لها أثراً. لكنه رأى في مؤخر اليخت شيئاً جعل نبضه يتسارع. كانت سحب سوداء تنفث من أنابيب العادم. لا بد أنها المصافي. فأمسك الدفة وهمس برقة: "هيا أيتها الشجاعة. اننا نجتاز المرحلة الأخيرة. يجب أن تنجحي."

فرقع المحرك مرة أو مرتين مهدداً بالتوقف، فتجمد دم جيري. لكن "باتيشا" ظلت مبحرة وهي تئن وتفرقع وتقذف الدخان. لقد كانت تبذل كل طاقاتها.

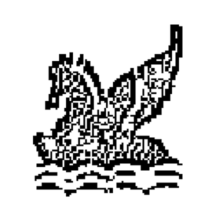
راقب جيري هبوط مؤشر الوقود لأكثر من ساعة. ها هو الآن يهتز فوق نقطة الفراغ. ثم لاح له في سديم الأصيل جسم كبير داكن. أهي اليابسة أم أن عينيه المتعبتين تخدعانه؟ وما لبثت أن لاحت له معالم جبل تايبل المميزة، فهتف مبتهجاً، وابتهل هامساً: "الحمد لله. أشكرك يا رب على أجمل مشهد رأيته في حياتي." واستدار ليزف النبأ السار الى زوجته، فرآها واقفة قرب النافذة وقد أنستها الاثارة ألمها. وهي لوحت له باكية ضاحكة في آن.

اندفع اليخت الى رصيف "نادي رويال كيب لليخوت" في الثالثة من بعد ظهر ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني). وتسلق متنه طبيب من "مركز الانقاذ مترو" أعطى بات حقنة مسكنة للألم. فشعرت بوهج الرحمة يسري في جسدها فيما رفعها المسعفون على نقالة الى سيارة اسعاف كانت في الانتظار.

ذهل الأطباء في مستشفى سيتي بارك اذ تبين لهم أن بات لم تصب بأي التهاب جرثومي، كما أدهشهم أن عملية الشفاء بدأت. وخضعت بات لجراحة تجميلية بعد أربعة أيام من وصولها. ونجحت عمليات تطعيم جلدها. وبعد ستة أشهر لم يحمل سوى ٢٠ في المئة من حروقها آثاراً تشهد على محنتها.

تقول بات: "كلما نظرت الى هذه الندب أتذكر نعمة الله عز وجل. كانت محنتي كابوساً مروعاً، لكنها أغنت حياتنا الى أبعد الحدود ومنحتني ايماناً مستمراً في كل دقيقة من كل يوم."

بيتر شافر ■



مهووس بالرياضة

سألت امرأة أحد الكوميديين: "ماذا أفعل لكي ألهي زوجي عن متابعة المباريات الرياضيّة على التلفزيون؟"

فأجابها: "ارتدي قميصاً شفافة."

فقالت: "وإن لم ينفع ذلك؟"

قال: "عندئذ اطبعي رقماً على ظهرك."

ج.ا.

رفاهية

خلال احدى الدورات التدريبية، كان على الجنود أن يجتازوا عوائق قاسية، كالسباحة في نهر هائج وتسلّق مرتفع شاق والزحف عبر أسلاك شائكة. وفي نهاية الدورة سأل ضابط أحد الجنود، وكان ابن مزارع: "كيف وجدت التدريب العسكري؟"

فأجابه الشاب: "هذا لا شيء يا سيدي. ففي قريتنا أجتاز العوائق نفسها للوصول الى المخزن."

ب.ن.

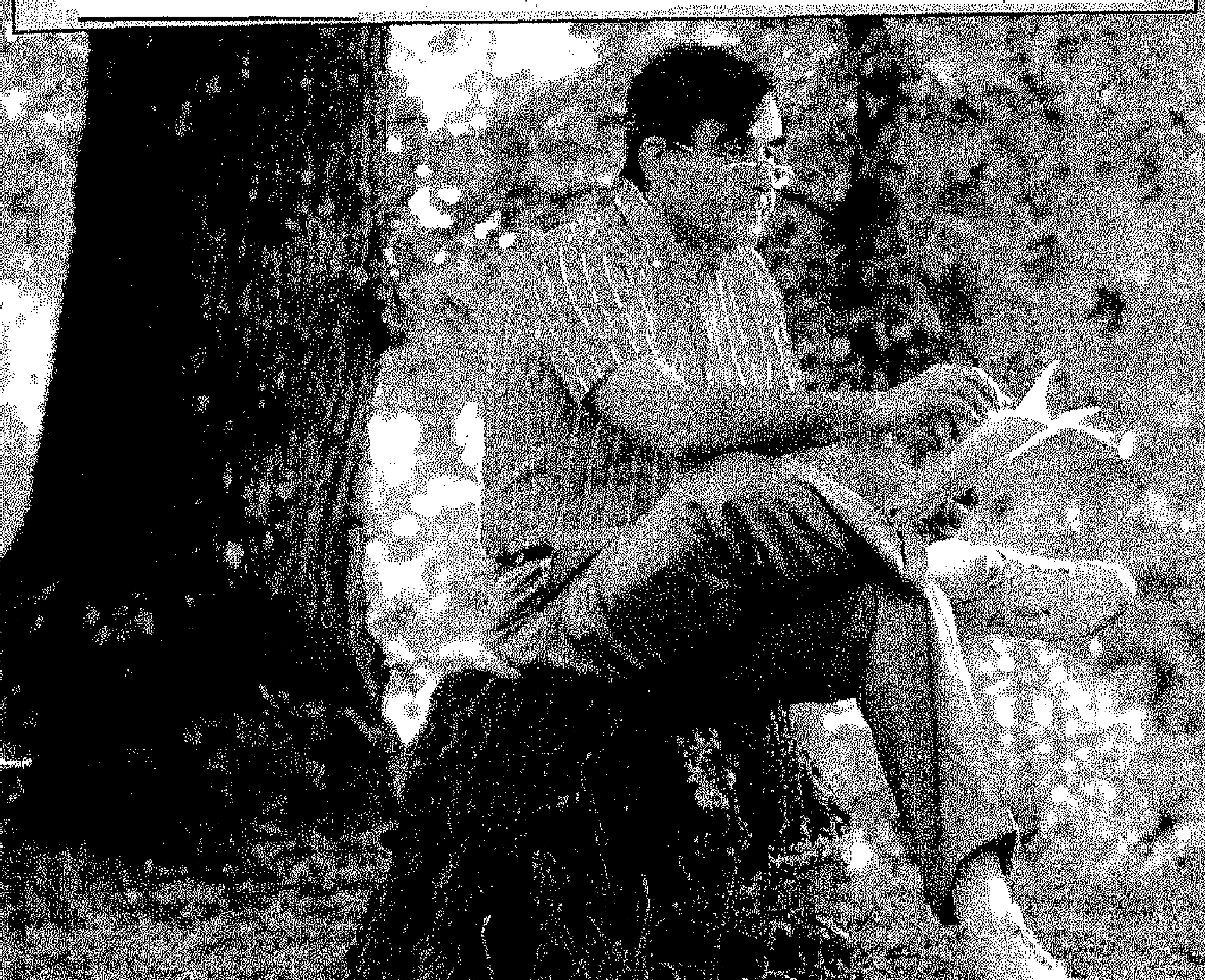
رحلة في مكنونات مضيف تلفزيوني شهير

عاشِق الكُتب

ها أنذا حبيس غرفتي برفقة قراءاتي، أنعم بوحدة مطلقة مع كتابي. يا للروعة! هذا النص لي أنا، لا أحد غيري يقرأ هذه الصفحة، هنا، الآن. ولا أحد يعرف ماذا أقرأ. اني أنعم بمتعة انانية بحتة. وفي الصباح أكون أكثر سعادة وانتعاشاً. أحس كأنني ولدت من جديد. وأشعر، على غرار الرياضيين، أنني في بعض الاوقات أفضل حالاً مما في أخرى. هذا الصباح أنا الافضل في القراءة. الاول في الصف. وانتباهي جلي وقوي.

لطالما ربطتني علاقة حميمة بالصفحات المكتوبة. فهي تحادثني وتمدني بالحياة، فأتجاوب. ونلعب معاً لعبة الأخذ والعطاء، وأدوِّن ملاحظاتي على الصفحات.

CONDENSED FROM LE NOUVEL OBSERVATEUR (OCTOBER 17, '91), © 1991 BY LE NOUVEL OBSERVATEUR, PARIS



لقد أخذتُ هذه الطريقة عن أساتذتي في المدرسة، وما زلت أمارسها، اذ أصبحت مع الأيام أسلوبي في التحدث الى المؤلف. أقاطع سيل الكلمات المطبوعة فجأة وأتدخل بقلمي مصدراً حكماً أو واضعاً خطاً تحت عبارة.

لقد أمضيت ١٥ سنة مضيفاً لبرنامج "أبوستروف."* وصرفت ساعات قبل كل حلقة مسترجعاً الملاحظات التي دونتها على هوامش الصفحات. فكانت بضع دقائق كافية لاحياء ما قرأته قبل أيام.

أهم ما تنطوي عليه هذه الطريقة أنها تتيح لك، من خلال تدوين ملاحظاتك في كتاب، إقحام نفسك في النص وتحميله أثرك. وهذا عمل فكري مثير، إذ يتيح لي كقارئ أن أستعمل أدوات المؤلف ذاتها.

لم تشغل القراءة الحيز الاكبر من وقتي حتى بلغت الثامنة عشرة من عمري، واقتصرت قراءاتي قبل ذاك على ما يخولني نيل الشهادة الثانوية، فقد كنت منشغلاً بالحب وبلعب كرة القدم.

... الى أن أصبحت محرراً مبتدئاً في صحيفة "فيغارو" الادبية، وباتت القراءة جزءاً لا يتجزأ من مسؤولياتي. فاستسغتها، وشعرت برأسي يدور، وأطبق علي ولع مجهول. ماذا أصابني؟ لقد اقتحم هيام جديد حياتي، فرحت أقتني الكتب وأضمنها تعليقاتي معبراً لها عن حقيقة مشاعري تجاهها. واليوم، بعد انقضاء ٢٥ سنة، أقلّب صفحاتها فأجدني، كما السحر، واقفاً وجهاً لوجه أمام شاب الامس. فأتفهمه حيناً، وأرى أن لا رجاء منه أحياناً. وتبدو لي بعض ملاحظاته سخيفة، وتسعدني أخرى فأقول في نفسي: "لقد كنت محقاً هنا."

ها أنا اليوم، بعد انقضاء ٢٥ سنة، أتعقّب أفكاري وحساسيتي المرهفة في تلك الحقبة. لذا أنا لا أعير كتبي. قد أهب تلك التي أملك منها نسختين وتلك التي لم أقرأها، أما الكتب التي بحت لها بملاحظاتي فلا أسمح بتناقلها لأنها باتت مذكراتي واعترافاتي، وإن سمحت بقراءتها فمعنى ذلك أنني أكشف نفسي للآخرين وأتيح لهم اقتحام أعماقي كما يقتحم لص منزلاً.

خلال سنوات استضافتي لبرنامج "أبوستروف" اقتصر عملي على القراءة. أما اليوم فللكتب منافسات خطرات يعجبنني ويغوينني، كالمسارح والمعارض ودور السينما.

فعندما تقاعدتُ من البرنامج قبل سنة عاودت مشاهدة الأفلام السينمائية، وتمتعت بها اذ أثارت فضولي ومدتني بلذة كبرى. لكن الوضع لم يستمر على هذا المنوال، لأن روح النقد عادت الي. ولكنْ كيف أسجل عواطفي؟ فأنا لا أستطيع التعليق على مشهد سينمائي، وما من فيلم يطلعني على حقيقة صباي.

لو كنت كتاباً لكرهت المتعة التي تؤمنها الفنون الاخرى التي تحوّل الرجال والنساء والاولاد عن المتعة التي أمنحهم اياها. ولكن هل من داعٍ حقيقي الى القلق؟ فالذهاب الى المسرح ليس سهلاً،

(*) Apostrophes

والذهاب الى السينما يحسب له حساب، والتلفزيون يستلزم البقاء في البيت وتغيير القنوات باستمرار. أما أنا الكتاب فقادر على الذهاب الى أي مكان... في جيب قارئي، معه في الحافلة أو في القطار، معه في طابور انتظار، معه في كرسي الحلاق. والحقيقة أن منافستي الحقيقية هي آلة التسجيل "ووكمان" التي توضع سماعتاها على الاذنين، اذ يسهل اصطحابها الى أي مكان وهي تؤمّن علاقة مباشرة مع آخرين.

ولكن هل تشكل هذه الآلة خطراً حقيقياً علي؟ نعم ولا. فلكل شيء دورته، وسيمل الناس يوماً ما من الضجيج ويتحلّون بالشجاعة. وأنا واثق بأنهم عندئذ سيمسكون أقلامهم ويفضون بمكنوناتهم الى صفحات الكتب.

برنار بيفو ■



لا سمك تحت الجليد

ذهب رجلان في عطلتهما الشتوية لاصطياد السمك في بحيرة متجلدة. فنصبا خيمة وشرعا يحفران في الجليد. فجاة سمعا صوتاً فوقهما: "لا سمك تحت الجليد!"

فلم يأبها واستمرا في الحفر الى أن سمعا الصوت ثانية: "لا سمك تحت الجليد!"

فسألا في هلع: "ومن أنت؟ أأنت شبح؟"

أتاهما الجواب: "لا. أنا أملك حلبة التزلج هذه، وأوكد لكما أن لا سمك تحت الجليد."

ن.د.

عنيد

كان مشعوذ يؤدي عرضاً على متن سفينة. لكنه كلما أتى حيلة كان يسمع رجلا بين الجمهور يقول له ناهراً: "هذا ليس سحراً. انت دجال."

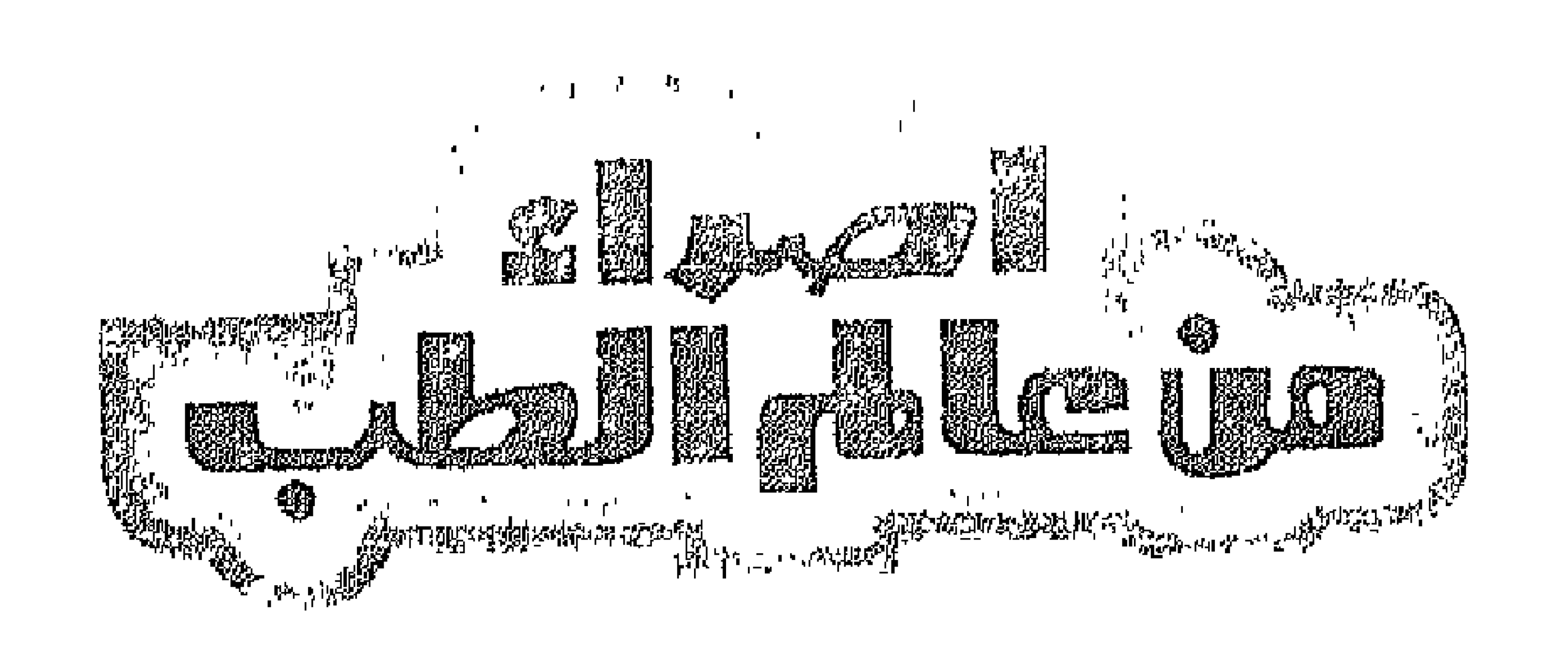
فجأة ضربت السفينة عاصفة عاتية فراحت تغرق. وصادف أن التقى المشعوذ وغريمه على قارب نجاة واحد، فقال له هذا: "حسناً، حسناً، لقد ربحت، قل لي الآن ماذا فعلت بالسفينة."

ك.ت.

عذر لا يردّ

تأخر ابني عن موعد مرور حافلة المدرسة. فلما أوصلته الى الصف متأخراً طلب مني الناظر ملء نموذج لتحديد سبب التأخير. وفيما أنا أراجع نماذج ملئت سابقاً، لفت نظري واحد كتبه والد مستاء. فتحت "سبب التأخير" كتب: "والدان عاملان، أربعة أولاد، حمام واحد!"

ب.د.



أيها الطبيب حصّن نفسك!

■ كشفت دراسة أجرتها عيادة "مايو" بالتعاون مع "المركز الطبي لشؤون المعمّرين" في مينيابوليس بولاية مينيسوتا أن نحو ٢٠ في المئة من مجموع طلاب الطب تعوزهم الحصانة الكافية ضد الحصبة والحصبة الالمانية، وأن ٤٠ في المئة منهم على الاقل لم يحصنوا ضد التهاب الكبد والانفلونزا.

وكان تقرير سابق للباحثين انفسهم كشف أن ٧ من أصل ٥٥ دائرة للصحة العامة في الولايات المتحدة وكندا ردّت أسباب تفشي وباءي الحصبة والحصبة الالمانية، جزئياً، الى طلاب طب وأطباء متمرنين. والحصبة الالمانية، خصوصاً، تشكل خطراً على النساء الحوامل غير المحصنات بالتطعيم، لانها قد تسبب تشوهات خلقية في الاجنة. كما أن الحصبة العادية قد تكون قاتلة لمرضى يعانون اختلالا في نظام المناعة في أجسامهم.

يقول الدكتور غريغوري بولاند أستاذ الطب الداخلي في عيادة "مايو" الذي شارك في الدراسة: "يأتي المرضى الى الاطباء وهم لا يتوقعون أن ينقل هؤلاء اليهم أمراضاً تمكن الوقاية منها بواسطة التطعيم." ان كثيراً من طلاب الطب الحاليين أنهوا مرحلة الدراسة الابتدائية قبل أواخر السبعينات عندما أصبح التطعيم مفروضاً على أطفال المدارس على نطاق واسع. واليوم تفرض السلطات في بعض الولايات على المستشفيات الحكومية الحرص على توظيف أشخاص محصنين بواسطة التطعيم أو ممن حصلوا على مناعتهم عبر اصابتهم بالمرض.

"وول ستريت جورنال"

حين يكون الجنين مقلوباً

■ كان بعض أطباء التوليد يحاولون في ما مضى تعديل وضع الجنين المقلوب (الذي تكون عجيزته أو قدماه الى أسفل) قبل أن تبدأ الام مخاضها. أما الآن فيلجأ معظم الاطباء الى الجراحة القيصرية. ويعتقد الدكتور جوزف هانس أن هذه الطريقة خاطئة.

راجع هانس ٣٥٧ حالة حيث كان الجنين في وضع مقلوب، وقد حاول الاطباء في أقل من ثلثها تعديل وضع الجنين، ونجحوا في نصف محاولاتهم فولد الاطفال ولادة طبيعية، فيما تم توليد معظم الاجنة الذين كانوا في وضع مقلوب بواسطة جراحات قيصرية.

ان الجراحة القيصرية مكلفة، وتستغرق الامهات وقتاً أطول للتعافي مما في حالات الولادة الطبيعية. وهكذا، على الحامل أن تسأل طبيبها عن امكان إجراء عملية تعديل خارجي لوضع الجنين المقلوب.

نشرة "إديل" الصحية

الفطور الشافي

■ قد يكون المصابون بمرض تصلّب الشرايين الذين يتحاشون تناول طعام الفطور أكثر تعرضاً لمشاكل القلب صباحاً، بما فيها النوبة القلبية والجلطة.
فقد كشفت دراسة أولية أجرتها الدكتورة ريناتا سيفكوفا من جامعة "ميموريال" في نيوفوندلاند بكندا وتناولت ١٩ رجلا وعشر نساء، أن قابلية لويحات الدم (الصفائح) للتجلّط أو التكثّف في أجسام الذين يصومون مساء ولا يتناولون فطوراً صباح اليوم التالي، تكون أعلى كثيراً مما لو تناولوا طعام الفطور.
وكان الاطباء لاحظوا أن احتمال الاصابة بنوبة قلبية يكون على أشده بين الرابعة صباحاً والظهر. ومع أن هذه الظاهرة ما زالت من دون تفسير، تشير هذه الدراسة الجديدة الى أن عدم تناول الفطور قد يضاعف نزوع لويحات الدم الى التجلط مما يخفض دفق الدم في الشرايين الرئيسية.

مجلة "ساينس نيوز"

الاشعة فوق البنفسجية لعلاج سرطان الجلد

■ يفيد ضحايا نوع بشع وفتاك من سرطان الجلد من علاج جديد، حيث يسحب بعض الدم من جسم المريض ويعرَّض للاشعة فوق البنفسجية قبل اعادته الى الجسم.
قد تخفف هذه الطريقة[١] من أعراض التورم اللمفوي الجلدي بخلايا «T»[٢] الذي يُعرف أيضاً بالفُطار أو بأعراض سيزاري.[٣] كما أنها تعزز احتمال بقاء المرضى على قيد الحياة. ويتميز هذا المرض بطفح جلدي حرشفي أحمر قد يتطور الى بثور تشبه الفطر. كما قد تنتقل هذه الاورام بسرعة الى مواقع أخرى مثل العقد اللمفوية والطحال والكبد والنقي (مخ العظم).
ويبدو أن اعادة حقن الدم المعالج بالاشعة فوق البنفسجية يطلق رد فعل مناعياً خاصاً مما يوقف انتشار الخلايا الخبيثة الى أعضاء حيوية تحت الجلد. كما يوفر على المرضى أعراض الغثيان الناجمة عن المعالجة الكيميائية المتبعة تقليدياً.

نشرة "هيلث ساينس"

(١) Photopheresis
(٢) Cutaneous T-cell lymphoma
(٣) Mycosis fungoides or Sezary syndrome

لحماية الاطفال والعجزة

■ أصبح جهاز التحسس الالكتروني، الذي كانت بداياته في المتاجر كسلاح ضد اللصوص، يُستخدم الآن في المستشفيات ودور العجزة لحماية المواليد والمرضى عقلياً والمسنين غير الواعين.
والجهاز هو سوار يد الكتروني يطلق صفارة إنذار اذا مُرر عبر مخارج زودت أسلاكاً خاصة. وهو يستخدم في أجنحة الاطفال للحماية من الاختطاف، وفي بيوت العجزة لردع المرضى المصابين بفقدان الذاكرة أو حس الاتجاه عن الخروج من المبنى.
لقد سُرق ٦١ مولوداً من المستشفيات في الولايات المتحدة بين ١٩٨٣ و١٩٩٠، كما يفيد "المركز الوطني للاطفال المفقودين" في أرلنغتون بولاية فيرجينيا، وعُثر على معظمهم، لكن أربعة لا يزالون مفقودين. ويساعد جهاز التحسس على تأمين جو من الامان والطمأنينة للاطفال ولعائلاتهم.

صحيفة "نيويورك تايمز"

وقفنا مربكين عاجزين عن البوح لجدتنا بما اعتمل في نفوسنا وحده أخي الاخرس عرف كيف يعبر لها عن أخلص عواطفه

يوم نطق الأخرس

صبيحة ذلك اليوم الحار من يوليو (تموز) كان موعد زواج أمي.

بدت الاشراقة على وجهها الستيني وهي تستعد لفتح صفحة جديدة في حياتها. وبعد عقد القران جمعتنا لتعطينا بعض التوجيهات: "اذهبوا الآن لزيارة جدتكم، ولا تحزنوا إن لم تتعرف اليكم." ذلك لأن السكتات الدماغية توالت على جدتي البالغة من العمر ٨٩ عاماً، ولم توفرها الازمات القلبية، فغدت طريحة الفراش في دار للعجزة غير دارية بما يحصل حولها.

قدت السيارة في شوارع المدينة، ورحت أتأمل الركاب الذين أقلهم. الأحفاد جميعهم هنا: المصرفي والمقاول والموسيقي والمحامي والصحافي... وبايج الجالس صامتاً قرب النافذة في المقعد الخلفي. هل ستؤثر فيه الزيارة؟ ربما لن يفهم شيئاً.

أخي بايج يصغرني بأربع سنوات. وهو أبكم، وأصم، ومتخلف عقليا منذ الولادة، ويرى قليلا بعين واحدة. توقف عن النمو مذ بلغ طول قامته ١٥٠ سنتيمتراً، وأصبحت البدانة مشكلة أخرى يعانيها. وهو عاش معزولا عن العالم الخارجي خلف جدار من التوحد، يمضي معظم أوقاته غارقاً في تأملاته وايماءاته وضحكاته ودموعه النابعة من مشاهد لا يراها أحد سواه.

كبرنا، نحن اخوته، ولعبنا بكرة القدم وقدنا سيارات وتعرفنا الى أصدقاء وخرجنا في نزهات مع فتيات جميلات، فيما لزم بايج المنزل لاهيا على أرجوحته أو مشاهداً التلفزيون أو لاعبا بمصباح كهربائي ظل مصدر عجبه.

ثم غادرنا المنزل، الواحد تلو الآخر، وارتدنا المدارس وشغلنا وظائف وتزوجنا وانتقلنا الى مساكن أخرى. أما بايج فتنقل من معهد موحش الى آخر، ومن مركز إعادة تأهيل الى آخر، متعلماً مبادىء القراءة واستعمال المعدات.

وهو اليوم في الرابعة والثلاثين، له

غرفة في منزل خاص، ووظيفة في مشغل صغير لأمثاله من المعاقين. لقد بات يعتمد على نفسه، وهو سعيد. لكن الأمور لم تكن هكذا على الدوام.

كان يخجلني. خلال مرحلة المراهقة عانى بايج أزمات انفعالية. كانت تنتابه نوبات من الغضب الشديد ينفجر بعدها ببكاء مرير ويخدِّش وجهه بأظفاره حتى يسيل منه الدم أو يخز عينيه بقلم متأوهاً محبَطاً بفعل اصابته بالسُدّ.*

لقد مرّ بايج في عدة مراحل مختلفة اتسمت جميعها بتصرفات خاصة.

درج أولاً على تقبيل الأرض. فكان من حين الى آخر، ولأسباب غامضة، يقف ثم يجثم على ركبتيه ليقبل الأرض أو رصيف الشارع طويلاً، ثم ينهض بهدوء فيمسح الأوساخ عن شفتيه وعلى وجهه علامات الرضى، ثم يتابع طريقه.

بعد ذلك حل الدوران. فكان يقف فجأة ويدور على نفسه كأنه يتخلص من رباط غير مرئي ملفوف على جسده، ثم يجلس في مكانه مرتاحاً. كان يدور ثلاث مرات، لا أكثر ولا أقل. وذات يوم، بينما كنا في زيارة، قرر بايج فجأة أن "يحل نفسه" في لحظة صمت. فسمع الحاضرون أولاً حفيف ملابس، والتفتوا للتحقق من مصدر الصوت، ونظر اليه الاولاد ببلاهة وذهول. أما أنا فطأطأت رأسي وقد احمرَّ وجهي خجلاً.

طوال سنوات كنت أشعر بالاحراج والغضب والاستياء كلما تصرف بايج على هذا النحو. لماذا هو؟ لماذا أنا؟ كنت واثقاً آنذاك بأنه يدخر أعماله المشينة للعلن بحيث يلفت الأنظار إلينا. لقد كان غريباً. ترى، هل يظن الناس أن ثمة أمراً مريباً في عائلتي؟ أو في شخصيتي؟

لكنني أدركت مع الوقت أن أخي لم يكن مسيطراً على تصرفاته، فلا يجوز أن أحكم عليه كما أحكم على الآخرين. فهو لم يكن يحاول أن يكون صعباً أو غريباً، بل كان انساناً ضائعاً لم يُعثر عليه قط.

ولما اتسع "الشرخ" بيننا عدلت عن محاولة استرجاع الأخ الذي طالما أنكرته. فتحول خجلي تسليماً بالواقع، وبتّ أحدج بتحدّ كل شخص يحدق الى هذا الرجل السمين القصير العابس الذي يضع سمّاعات في أذنيه وتنتفخ جيوبه بمصابيح كهربائية وعدسات مكبرة.

الجدة والحفيد. قبيل توجهنا الى دار العجزة كتبت أمي على منديل عبارة "زوروا جدتكم" بأحرف كبيرة لكي يتمكن بايج من قراءتها. لكننا لم نكن نتوقع أن يدرك هو هدف زيارتنا أو أن يفهم أنها قد تكون الأخيرة.

تدافعت الذكريات في ذهني وأنا أقود السيارة. فتذكرت يوم كانت جدتي في الثمانين من عمرها تدفع جزّازة العشب بذراعيها الناحلتين في حديقتها وتطرد المتطوعين الأقوياء بهزّة استهجان من رأسها. كما تذكرت أصابعها الرفيعة

(*) السُدّ (cataracts) هو إعتام عدسة العين او ما يدعى "الماء الازرق."

المرتجفة وهي تفتح هدايا الميلاد بتأنٍ لئلا تمزق الأوراق التي تغلفها، ثم تطويً هذه باتقان. ولا أنسى أنها لم تكن تكف عن الكلام، فصوتها جزء من ذاكرتي. لم تكن أحاديثها تقتصر على الجمل أو المقاطع، بل تشمل فصولاً كاملة متشابكة مترابطة بسلسلة من أدوات العطف والاعتراض والاستطراد. ونادراً ما كنا نجرؤ على طرح أسئلة في حضورها خشية أن تستأنف الكلام، فنكتفي بالاستماع والاضطلاع بدور الحضور المهذب، نومىء موافقين في اللحظات المناسبة مفتشين عن وسيلة لاعادتها الى الموضوع الأصلي (اذا استطعنا تذكره).

كانت تتنهد أحياناً وتقول: "أعلم أني أتكلم كثيراً، فأمكم تقول لي ذلك."

استطاع بايج وجدتي أن يتفاهما كلياً، فهو عاجز عن الكلام وهي عاجزة عن الاصغاء. ولم يكن أخي المعتصم بصمته شاعراً بجدار الكلام السميك الذي بنته جدتي حولها. كانت تقبّله وتبتسم له. ولعل الاهم من ذلك كله أنها تقبلته كما هو ولم تأسف يوماً لأنه "ليس طبيعيا" بل كانت نظراتها اليه مليئة بالإعجاب والصبر والحنان.

ذات يوم كسر بايج مصباحاً كهربائياً فأعطاها إياه آملاً أن تصلحه. وأذكر أنها حارت في أمرها فظهرت على محيّاها أمارات الجد وهي تعاين القطعة المصنوعة من البلاستيك الرخيص. لكنها هزت رأسها أخيراً، وبدا الحزن على وجهها حين أعادتها اليه. فابتعد بايج ورجع بعد دقائق مكرّراً المحاولة. فتلمست جدتي القطعة مجدداً وردّتها اليه على حالها. وفي اليوم التالي توجهت الى المتجر واشترت له مصباحاً جديداً.

كلمات. وصلنا الى دار العجزة ودخلنا غرفة جدتي. فلاحظنا أنها تحولت، بعد سلسلة السكتات الدماغية التي أصابتها، كتلة مرتجفة لا تدري ما يدور حولها. وبدا ذلك القناع الأجوف ذو العينين الغائرتين المحدقتين الى سقف الغرفة كأنه وجه غريب ذابل. كان فمها فاغراً وعيناها جاحظتين من غير أن تريا شيئاً.

ربتُ يدها الهزيلة، فإذا بذهني يمتلىء صوراً من ماض غير بعيد. فهذه اليد المحبَّة كانت تعدّ أطيب أنواع الخبز، ولم تكن تكف عن التلويح أمام ممرّ بيتها حتى تغيب سيارتنا المليئة بالاحفاد. ولكن، ها هي الآن مسترخية الى جنبها، رقيقة، باردة، هشة الى حدّ أنني خفت أن أؤذيها.

وقفنا حول السرير نبتسم بتكلف ونغمغم أي كلام يخطر في بالنا. كان ابن خالي الاكبر سناً اكثر ارتياحاً منا، فسألها: "هل تلقين معاملة جيدة هنا يا جدتي؟"

نظرتُ الى وجهها علّني ألحظ ما يشير الى أنها تعرفت الى الصوت. فلم ألمح شيئاً من هذا. في الواقع، لم يكن الصمت يليق بجدتي. بدت ضعيفة شديدة التأثر وهي مجرّدة من درع الكلام. عندئذٍ أدركت أنني صرت قادراً على الكلام،

وأنني أملك، للمرة الاولى في حضرتها، حرية التعبير الكاملة. لكنني ما عدت أعرف ماذا أقول، ثم نطقت أخيراً: "نحبك يا جدتي." ورحت أتساءل إن كانت كلماتي هذه بلغت مسامعها، إذ خُيّل إليّ أنها ظلت معلّقة في الهواء، بعيدة وغير صادقة.

كان بايج واقفا بهدوء قرب النافذة والدموع تسيل على وجنتيه. فتقدم شاقا طريقه بيننا ودنا من السرير. انحنى فوق جدتي وأخذ وجنتيها بلطف بين يديه وطأطأ رأسه ثم راح، لبرهة خلتها دهراً، يهدهد وجهها ويبلل رداءها بدموعه. أما نحن الشهود فوقفنا أصمّاء لا نسمع الكلمات الرائعة المتبادلة في ذاك الحوار الصامت.

شعرت بفورة دفء في أعماقي أخذت تندفع صعوداً مثل فيض ملأ عينيّ حتى تلاشت الغرفة في غمرة من الالوان والأشكال المتموجة. وسط هذه الضبابية ظهرت الحقيقة ساطعة، وأدركت كم كنت مخطئاً في شأن بايج. فهو عرف أكثر منا جميعاً المعنى الحقيقي لهذه الزيارة، لأنه أدركه بقلبه لا بعقله. كان كالطفل، لا تلجمه الكبرياء ولا أصول الآداب. كان صادقاً، شجاعاً، حراً في الوصول الى جدتي وسط الألم. ذلك هو الحب البسيط والطاهر.

وأحسست أن حالة بايج، على رغم ما رافقها من أحزان، كانت نعمة قيِّمة ورائعة. فمن بين القدرات التي لا يملكها أخي القدرة على النفاق. فهو لا يستطيع أن يظهر ما لا يشعر به، ولا ان يكبت انفعالاً ملحا.

واذ وقفت على مقربة منه أعب من تعبير حبه الطاهر، لم أعد أتساءل لماذا لا يكون مثلي. ففي تلك اللحظة وددت أن أكون أنا مثله.

قبّلنا جدتي وانسللنا خارج الغرفة. كنت آخر المنصرفين فقلت لها: "وداعا يا جدتي." واذ استدرتُ لألقي عليها نظرة أخيرة، لاحظت أن شفتيها تطبقان كأنهما تحاولان الكلام.

فإن كانت حاولت أن تستجمع قواها لحظة لكي تقول وداعا، فذلك لأن بايج أدركها.

يومذاك، وحده أخي الأخرس استطاع البوح بما اعتمل في نفوسنا جميعا حين خانتنا الكلمات.

جيم واتسون ■

التكنولوجيا لا تمهل

كثيراً ما يتذمّر موظفو شركتنا من جهاز التلكس القديم الذي يعمل ببطء شديد. وذات يوم خطرت فكرة لموظف ذكي جعلتهم يبتسمون، اذ وضع فوق الآلة القديمة صورة ديناصور.

ك.ب.

اليد البيضاء

وجدت الأم الشابة ابنتها ميتة في مهدها، ضحية مرض يسبب للأطفال موتاً فجائياً. فراحت تنتحب من غير أن تقوى على الكلام. فهي بلا معيل، ولها خمسة أولاد آخرون، وتعيش على اعانات الانعاش الاجتماعي. لذا وقعت في حيرة لا تعرف ماذا تفعل وكيف تدفن طفلتها.

اصطحبها بعض الاصدقاء الى مبنى قرميدي من طبقتين في وسط مدينة مينيابوليس في ولاية مينيسوتا، حيث شاهدت على الباب لافتة كُتب عليها "أيادي العناية والمشاركة."*

استقبلتها مديرة المركز ماري جو كوبلاند، الأنيقة المظهر والملبس، فضمّتها اليها مطمئنة: "لا تقلقي، سنرتب دفن طفلتك ونهتم بكل ما يلزم. صلي معي."

اتصلت ماري جو بدائرة الخدمات الاجتماعية التي وافقت على دفع مبلغ

(*) Sharing and Caring Hands

اختبرت هذه السيدة الفاضلة أقسى ضروب الحزن والالم فتفجرت معاناتها عطفاً وتفانياً في خدمة المعوزين

PHOTO: © BIRAN PETERSON / MINNEAPOLIS – ST. PAUL TRIBUNE

٥٧٢ دولاراً لتغطية نفقات الجنازة وأمنت مدفنا للطفلة الفقيدة.

وكانت ماري جو أسست مركز "أيادي العناية والمشاركة" لتوفير المأكل والملبس وطب الأسنان والمنامة والاستحمام والحلاقة و... بطاقة باص، لأشخاص محتاجين فاتتهم مساعدات الانعاش الاجتماعي، وهي تمد يدها الى كل من يطلب المساعدة، وإن يكن جانحا أو مشرداً أو مدمناً أو متخلفاً عقلياً او محكوماً بجرائم سابقة. يقول دونالد فريزر محافظ مينيابوليس: "تحفل برامج الاعانات الحكومية بشروط ينبغي توافرها في طالبي المساعدة، وبمعاملات روتينية معوِّقة تدفعهم الى اليأس والاحباط. أما في مركز ماري جو، فما على المحتاج الا ان يدخل ليحظى بالعناية اللازمة."

ذات يوم دخلت المركز عجوز مصطحبة بنتاً عمرها تسع سنوات. وكانت الفتاة ترتجف برداً اذ بلغت الحرارة في الخارج ٢٠ درجة مئوية تحت الصفر، وهي تنتعل صندلا ولا يستر جسمها غير كساء رقيق. وكانت عيناها متورمتين وقد غطت الرضوض والجروح وجهها وساعديها. فشرحت جدتها الامر: "لقد ثملت أمها وانهالت عليها بالضرب. وهذا ما يحدث مراراً."

اغرورقت عينا ماري جو بالدموع فيما راحت تسأل البنت الصغيرة: "هل أنت بردانة يا حبيبتي؟ هل تتألمين؟"

في البداية أشاحت الصغيرة بوجهها، لكنها ما لبثت أن استسلمت مطمئنة الى ماري جو التي ضمتها الى صدرها وطلبت من مساعدتها اعداد حمام ساخن وإعطاء الفتاة ملابس شتوية دافئة. ثم شجعت الجدة على أخذ اجراءات قانونية لوضع الفتاة تحت وصايتها.

وفي يوم آخر دخل المركز رجل يدعى كورتيس سنو (٣٢ عاماً) وهو طاه صُرف من عمله قبل أسابيع وعجز عن تدبر عمل آخر. كان هو وزوجته وابنتاه ينامون في سيارتهم، فشرح حالته: "تقدمتُ بطلب مساعدة من الحكومة، فقيل لي ان ليس في الامكان عمل أي شيء قبل نهاية الشهر."

عندئذ سعت ماري جو الى ايواء العائلة. فاستأجرت لها شقة دفعت ايجارها في انتظار أن يحين موعد قبض المساعدة من الحكومة، فيما واصل الاب التفتيش عن عمل.

"آه، أوه، ماري جو!" لا أحد ممن يحضرون الى مركز "أيادي العناية والمشاركة" يعرف معنى المعاناة وقساوة الحرمان والوحدة أكثر من ماري جو نفسها. فهذه السيدة ولدت في روشستر بمينيسوتا عام ١٩٤٢، وأمضت السنوات الست الأول من حياتها في منزل جديها في مينيابوليس. وكان جدّاها ثريَّين، فأعزّاها وعاشت معهما مدللة.

كانت لماري جو معرفة سطحية بوالديها اللذين كانا يزورانها من وقت الى آخر ولكن من دون أن يبديا لها أي عطف. ثم علمت أن والدها عاجز عن إعالة عائلته

ولذلك تركها في عهدة والديه. وعندما أنجبت والدتها طفلا آخر، رأى الجدان أنه حان أوان جمع شمل العائلة، فعادت ماري جو الى كنف والديها.

وغالباً ما كان والدها يستيقظ غاضباً مهتاجاً شاتماً والدتها لسوء طهوها وتدبيرها شؤون المنزل. وفي بعض الامسيات كان يشبعها ضرباً.

وتضيف أن هم والدتها في الحياة انحصر "في تجنب ما يغضب أبي." لكنها كانت في الغالب مرهقة، عاجزة، لا تحسن معالجة الأمـور التي تثيره. وتسترسل ماري جو في التذكّر: "لم يعرف منزلنا النظافة بتاتاً. فقد كانت غرف النوم دائماً عديمة الترتيب يعلو أثاثها الغبار، وأطباق الطعام متروكة بلا جلي، وحوض الحمام وسخاً بحيث لم أكن أتمكن من الاستحمام."

وفي المدرسة كانت ماري جو تنزوي منعزلة متوحدة تفوح من جسمها رائحة بغيضة تبعث على الاشمئزاز. فيهتف الأولاد الآخرون: "آه، أوه، ماري جو!" ويسدون أنوفهم بأيديهم. وتتذكر ماري جو: "بلغ اضطرابي النفسي حداً عجزت معه عن التركيز على دروسي، فجاءت علاماتي متدنية مما أثار غضب والدي فراح ينهرني قائلا إني غبية وغير نافعة."

"ألا ترى كم هم فقراء؟" كان التعليم الديني المادة الوحيدة التي أثارت رغبتها في المدرسة. وهي تقول: "ألهبت مشاعري تلك الفكرة التي تعلّمنا أن الله يحبنا جميعاً. وكنت أتلو صلواتي في أوقاتها. وما لبثت أن أدركت أن هناك أولاداً كثيرين مثلي، وبعضهم أسوأ حالا. فبدأت أعي أن الله شاء تكريسي لعمل خصوصي سام."

ويوم طلب منها والدها المساهمة في دفع أقساط المدرسة الثانوية المرتفعة، أخذت تعمل في تنظيف غرف التدريس بعد انصراف التلاميذ.

وذات مساء، حين كانت لا تزال في السنة الثانوية الثانية، تعرفت الى شاب وسيم يدعى ديك كوبلاند. وتكررت لقاءاتهما وتوثقت علاقتهما مع أن ماري جو لم تطلع ديك، الا بعد سنة، على أحوال حياتها البيتية التي ساءت الى حد لم يعد يطاق.

وذات يوم ماطر من أيام الصيف استطاع ديك أن ينفذ بعمق الى الميول والمشاعر النبيلة التي اختلج بها قلب ماري جو. وهو يقول: "خرجت ماري جو بعد قبض راتبها من المتجر حيث تعمل، ومشينا معاً في الطريق. فشاهدنا امرأة في ربيع العمر ومعها ولداها وهم في ثياب رثة وعلامات الفقر المدقع بادية عليهم. رثت ماري جو لحال المرأة، فكلمتها، ودخلت وإياها أحد المتاجر، فابتاعت لها بكامل راتبها مواد غذائية من بقالة وغيرها، ثم أعطتها معطفها الواقي من المطر. قلت لها: ماري جو، سيغضب منك أبوك ويقتلك. فأجابت: لا آبه لذلك، فالمرأة في حاجة الى معطف يقيها البرد. ألا ترى كم هم فقراء؟"

"دعني وشأني." تخرجت ماري جو في المدرسة الثانوية في يونيو (حزيران) ١٩٦٠. وفي السنة التالية تزوجت ديك. فعملت هي ممرضة فيما تابع هو دراسته الجامعية.

غير أن تعاقب إنجاب الأولاد باكراً وهم إعالتهم حملا ديك على ترك الجامعة والعمل في أحد المتاجر الكبرى. واشترت العائلة منزلا في الضواحي. تقول ماري جو: "كنا نأخذ الاولاد الى المتنزه والسيرك وحديقة الحيوان والشاطىء، وحرصنا على تنشئتهم في حياة طبيعية سعيدة." وفي أعياد الميلاد كان أفراد العائلة يشتركون في توضيب الهدايا التي اشتروها للفقراء. وتضيف ماري جو: "أردنا تعليم أولادنا وهديهم الى طريق العيش الصالح."

وفيما كانت ماري جو حاملا بطفلها الثامن أصيبت بضعف وهبوط في قواها الحيوية أديا الى "انهيار عصبي." فأعطاها أحد الاطباء حبوباً مهدئة أفادت منها واستمرت في تعاطيها بعد ولادة الطفل. ثم أصيبت بأرق حرمها النوم، فوصف لها الطبيب حبوباً منومة، ثم حبوبا لتسكين الألم كي تجتاز فترة حملها الثامن بسلام. وهي تقول في هذا الشأن: "كنت أتناول يومياً مجموعة من الحبوب المهدئة والمنومة والمسكنة للألم."

وهكذا أدمنت ماري هذه الحبوب قرابة خمس سنوات، ولم تجد في نفسها الشجاعة للتخلي عنها نهائيا حتى ولدت طفلها الثاني عشر، فرمت كل الحبوب في المرحاض. ثم شرعت تتعاطى الكحول في عطلة نهاية الاسبوع. وتقول في هذا الموضوع: "وجدت أن جرعة واحدة كانت تحملني على الاسترخاء. فاستزدت وبتُّ أتناول خمس جرعات."

حينئذ قال لها ديك محذراً: "أرى أنك أبدلت إدماناً بإدمان!"

فصرخت في وجهه: "دعني وشأني!" واندفعت الى غرفة نومها حيث ركعت تصلي: "ساعدني يا رب. لن أحقق شيئاً إن بقيت سائرة في هذا الطريق."

وكأنما الصلاة نفحتها بالقوة والعزم، إذ ما لبثت أن انقطعت عن الشراب كلياً.

فراغ وألم دفين. على أثر ولادة الطفل الثاني عشر أجريت لماري جو جراحة لاستئصال الرحم أوشكت بعدها على الانهيار ثانية. أخذت تستحضر في مخيلتها صور مآسيها الماضية: السنوات المروعة مع والديها، الوحدة القاسية أيام الدراسة، كفاحها المضني لتنشئه عائلة كبيرة وإعالتها، وأخيراً إدمانها. فطغت عليها تلك الذكريات وخلّفت فراغاً هائلا في حياتها. فكانت تقوم، كأنها مسيّرة آلياً، لتطهو وتدبر شؤون المنزل والاولاد. وفقدت الرغبة في كل شيء، وشعرت بأن لا حاجة الى وجودها.

طوال ثلاث سنوات احتبست ماري جو في المنزل وفي أعماقها فراغ وألم دفين. فكانت تمتنع عن الخروج، وتأبى التزين وتغيير هندامها. وذات يوم قال لها ديك: "كفى يا ماري جو، لا يجوز أن تكبتي

المحبة التي تضج داخلك. أنت حققت انجازاً رائعاً بتنشئة أولادنا، وعليك الآن ان تبذلي طاقتك لخدمة الآخرين."

عند ذاك تطوّعت ماري جو للخدمة في جمعيات خيرية. فكانت تقدم القهوة والكعك والحلوى في كشك صغير على ناصية الشارع الى فقراء مشردين لا مأوى لهم. وكانت تحادثهم وتطلع على أخبارهم وأحوالهم. الى أن خطرت لها فكرة فريدة، أن تتيح للفقراء تناول وجبة غداء ساخنة يومياً. فبادرت الى الاتصال بالجمعيات الخيرية في المدينة، ولقيت تجاوباً منها جميعاً، بحيث التزمت كل منها تقديم وجبة واحدة في يوم معين من الشهر. وهكذا تسنى لمئات الفقراء أن يحظوا بوجبة غداء ساخنة يومياً.

وكثيراً ما أغضب ماري جو التباطؤ في إنجاز المعاملات البيروقراطية التي يفرضها العمل الخيري المنظم. فكان على المحتاجين، قبل أن يتاح لهم الحصول على الغذاء والملبس، إجراء مقابلات طويلة مضنية، وملء استمارات معقدة. وهي تذكر: "ذات يوم، رأيت موظفين يطردون رجلا فقيراً كان يتضور جوعاً لأنه حضر بعد ساعة من موعد تقديم الغداء. فما أهمية الوقت هنا؟ ألم يكن أرحم لو أُدخل ذلك الفقير الجائع الى المطبخ وقُدمت اليه شطيرة؟"

وكان أن راود خيالها حلم طلما تمنت تحقيقه، وهو انشاء برنامج مساعدة طوعية لا يعتمد أي دعم مالي من الحكومة. وفي غضون ذلك كانت تحاول تفادي المعاملات البيروقراطية الطويلة، فتشتري بما تستطيع توفيره من دخلها أحذية وقمصاناً وتهبها مباشرة الى المعوزين. وغالباً ما كانت تقدم مساعدة مالية بسيطة بمقدار خمسة دولارات أو عشرة لمواجهة حالات طارئة.

حلم تحقق. بدأت جهود ماري جو تحظى بالاهتمام والدعم. ففي العام ١٩٨٥ مُنحت ١١٠٠ دولار تقديراً لخدماتها العامة، كما وهبتها إحدى محطات التلفزة ١١٠٠ دولار مكافأة لها على جهودها الخيّرة. فرأت ماري جو أن الفرصة باتت متاحة لتحقيق حلمها. فعمدت الى استئجار محل في وسط المدينة، وعلقت على نافذته المواجهة للشارع لافتة كتب عليها: "أيادي العناية والمشاركة."

قال زوجها ديك الذي كان يعمل آنذاك مندوباً لشركة مواد غذائية: "تعيّن علي أن أوقع عقد ايجار لمدة ثلاث سنوات بقيمة ٣٦ ألف دولار. كنت أفتقر الى المال، لكن ماري قالت لي ألا أقلق لهذا الامر." وابتسم ديك ابتسامة عريضة وأضاف: "وهكذا، وقعت العقد."

وبغية تجنيد المتطوعين وتوفير المال، كتبت ماري جو رسائل الى رجال أعمال بارزين، كما تكلمت في مجموعات مدنية ومؤسسات وجمعيات، فاكتشفت منذهلة أنها تجيد الخطابة وتتميز بقدرة الاقناع. وقال عنها لورنس جونسون من مايبلوود: "كان الحاضرون يصغون اليها مأخوذين

بسحر كلامها وهي تعرض أعمالا في عالم الفقراء. وقد جعلتهم يقتنعون بأن في الامكان احداث تغيير في حياة المساكين."

يساعد مركز "أيادي العناية والمشاركة" نحو ألف من المتطوعين المتشوقين الى خدمة مئات المحتاجين الذين يطلبون المساعدة يومياً. وتلقت ماري تبرعات بمئات ألوف الدولارات من أفراد وجمعيات وأرباب أعمال وشركات. ونوّه بخدماتها كل من حاكم مينيسوتا ومحافظي مينيابوليس وبروكلن سنتر. وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩٠ كرّمها "معهد العناية" منوها بأنها أحد الاشخاص العشرة في الولايات المتحدة الذين يقدمون أفضل خدمات العناية، "أولئك القلائل المتميزين الذين تُلحظ أعمالهم المتجردة من روح الانانية وتشرّف الجنس البشري."

يدخل المركز رجل متعثر ممزق الثياب ويقول لماري جو: "قدماي تؤلمانني. أكاد لا أقوى على المشي."

فتركع ماري جو وتنزع الحذاء الممزق عن قدميه المتعرجتين، ثم تحضر وعاءً فيه ماء ساخن، فتغسل قدميه بالماء والصابون وتمسحهما بمادة مطهرة ومرهم مخفف للألم. وتلبسه جوارب جديدة وحذاء جديداً ناصحة إياه: "إعتنِ بقدميك. ستحتاج اليهما طويلا في هذا العالم." وتطفح عيناها بالدمع اذ تشيعه بنظرها وهو يبتعد متثاقلا.

جون ج. هابل ■



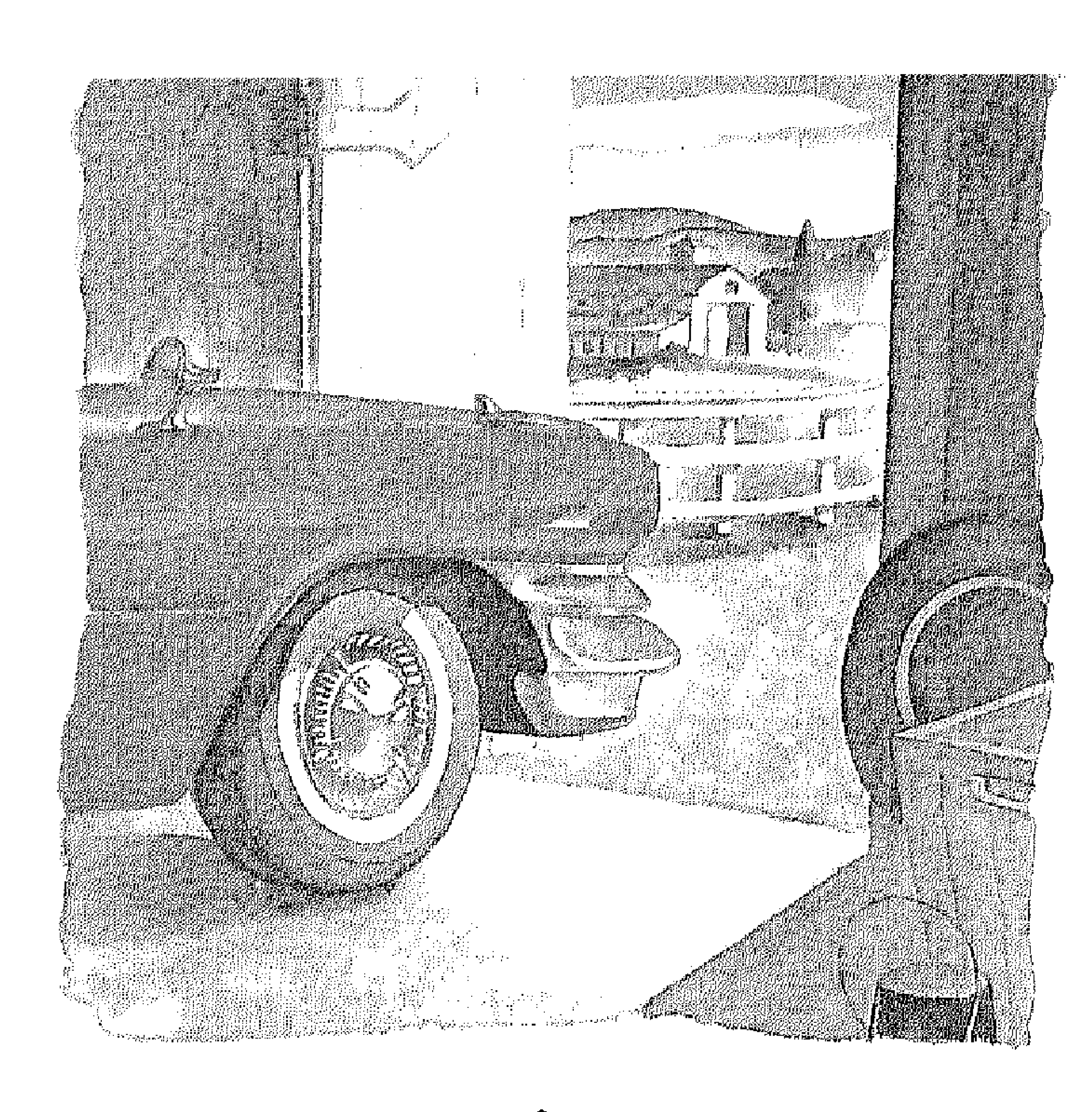
السمو فوق الخوف

خشيت الروائية امي تان ان تقع ضحية التكرار في انتقاء مواضيعها بعد النجاح الذي لاقته روايتها الاولى "نادي الحظ السعيد" التي تتناول العلاقة بين الأمهات الصينيات الأصل وبناتهن الامريكيات. وتقول: "لم أشأ أن أصبح اختصاصية بالعلاقات بين الامهات وبناتهن، لذا عمدتُ الى تجربة مواضيع مختلفة، الى أن اكتشفتُ أن ارادة العصيان وحدها ليست سبباً كافياً للكتابة."

وتضيف: "فجأة ألهمتني سيرة أمي. كنت أعرف أنها عاشت في ظل نظام جائر في الصين، فسألتُها عمّا عانته وأهلها خلال الحرب العالمية الثانية. أجابت إنها لم تتأثر لكنها أضافت: عند اشتداد القصف كنا نخاف تساقط القذائف علينا. فذكّرتها بأنها قالت إنها لم تتأثر. فجاء ردها: لا، لم أتأثر، فأنا لم أُقتل."

كانت تلك العبارة بمثابة إلهام. وصار هدف تان فهم الاختلاف بين نظرتها هي الى الحياة ونظرة أمها. وخلال اضطرابات ساحة "تيانانمن" ربيع ١٩٨٩ كتبت رواية "زوجة رب المطبخ" المرتكزة في جزء منها على سيرة أمها. وهي تقول: "أردت أن أعرف كيف يكون العيش في ظلّ القمع، وماذا يعني الخوف، وكيف السبيل الى السمو فوق الخوف."

صحيفة "نيويورك تايمز"



قصة حب لـ ... سيارة

رفيقة الدرب

عندما تتلقى من شركة التأمين رسالة مفادها أن السيارة المستعملة التي اشتريتها عندما تخرجت في الجامعة باتت مصنفة في خانة السيارات "الكلاسيكية"، وأن "بدل التأمين سيزيد وفقاً لهذا التصنيف"، فانك تشعر فعلاً بأنك تقدمت في السن.

خرجت لألقي نظرة على هذه السيارة. وسمعت صوت عمي المستاء آتياً من أعماق الماضي يوم اشتريتها وجئت بها الى المنزل: "يجب ألا تشتري أبداً سيارة مستعملة." وبعد عشر سنين قدت هذه السيارة لحضور مأتمه. وأوصلت أختي في هذه السيارة الى المستشفى لتضع مولودها البكر. وقدتها الى الجامعة يوم تخرج هذا المولود.

يسألني أصدقائي: "متى ستقتني سيارة جديدة؟"

فأجيبهم: "أنا لست في حاجة الى سيارة جديدة فهذه ما زالت تلبيني."

توصلني دائماً الى حيث أريد. لكن الحشوة نتأت من المقعد الخلفي، وبانت الرفاصات، واعتزل عداد المسافات العمل بعد ٥٠٠ ألف كيلومتر، وبليت الارضية وانكشفت فتحة حيث يستريح عقب قدمي عند دواسة الوقود، وانسلخت بطانة الجدار الفاصل عن المحرك، وتفككت مماسك حزام المقعد فاستعضت عنها بعقيفة برونزية ضخمة.

وتهامس أصحابي: "انها قطعة خردة."

ذات يوم توقفت السيارة من تلقائها،

© 1991 BY BAILEY WHITE. CONDENSED FROM SMITHSONIAN (SEPTEMBER '91), WASHINGTON, D.C.
ILLUSTRATION: BRADLEY CLARK

فقلت في نفسي: "هذه هي النهاية." لكن الميكانيكي الذي أتى لنجدتي ضحك وقال لي: "لقد نفد الوقود." فسكبت بضعة ليترات في الخزان وقدتها عشر سنين أخرى.

منذ ذلك اليوم توقف مقياس الوقود، لكني صرت أعرف متى ينخفض مستواه في الخزان... من الرائحة. وأظن أنها كانت رائحة قعر الخزان. وفاحت أيضاً رائحة زيت الكابح ورائحة دخان العادم ورائحة زيت المحرك... وبعض من رائحتي بعد سنوات الالفة هذه.

وكانت أصواتٌ أيضاً. صوت رائع يصدر عن المحرك حين يدور أخيراً في يوم بارد، و"تك تك" مشؤومة أسمعها في الصيف عندما يجهد المشعاع (الرادياتور)، وحفيف مساحتي حاجب الريح.

لم أكن أحب تبادل الاحاديث في السيارة لانني كنت مضطراً الى الاصغاء الى صوت قَطعة قصيرة تعلمني بأن علي الخروج لتسوية المكربن (الكربوراتور).

وكان أصحابي يقولون: "انها بطيئة جداً."

لا أعرف بأي سرعة قدتها منذ تقاعد عداد السرعة قبل سنوات. ولكن عندما أنظر من خلال الثقب في أرضيتها وأرى الشارع يمر بسرعة خاطفة على بعد سنتيمترات من قدمي، وأشعر بحرارة المحرك في حضني منفوثة عبر الجدار الفاصل، أدرك أنني مسرع. وعندما أصل الى وجهتي أسترخي وأفك عقيفة حزام المقعد وأنزل مترنحاً قائلاً: "شكراً يا سيدتي، لقد وصلنا هذه المرة أيضاً."

ولكن عندما تلقيت تلك الرسالة من شركة التأمين بدأت أفكر جدياً في اقتناء سيارة جديدة. ولما قرأت إعلاناً عن واحدة شبه جديدة من طراز سيارتي ذهبت لاعاينها. فرأيت سيارة حنطية أنيقة غطى قماش من المخمل الناعم مقاعدها وكسى السجاد أرضيتها وانبعثت منها رائحة عطرة. ولما كبست زراً صدحت موسيقى موزار من أربعة مكبرات صوت. فسألت أصحابها: "وكيف تسمعون أصوات المحرك وسط هذه الموسيقى؟"

أدرت المفتاح، فتحركت السيارة للحال. وقدتها في نزهة تجريبية، فانسابت بي في الطريق من دون أن ينبعث أي صوت من محركها، لكني قررت بعد حين أن الوقت حان لتغيير السرعة، فرحت أدوس الارضية بقدمي اليسرى مربكاً، ثم تذكرت أن جهاز النقل أوتوماتيكي.

اني أملك الآن سيارتين: سيارتي الجديدة وسيارتي الحقيقية. أقود الجديدة في غالب الأوقات. لكني أخرج أحياناً الى المرآب وأركب سيارتي الحقيقية. أدير محركها فتنتصب أذناي. وأتشمم الهواء. أضيف قليلاً من زيت الكابح وبعض الماء. وأتشمم مجدداً. ستحتاج الى وقود وزيت جديد الاسبوع المقبل.

وننزل الى الشارع، فيبتسم المارة لدى عبورنا ويقولون: "سيارة جميلة."

بايلي وايت ■

كتاب الشهر



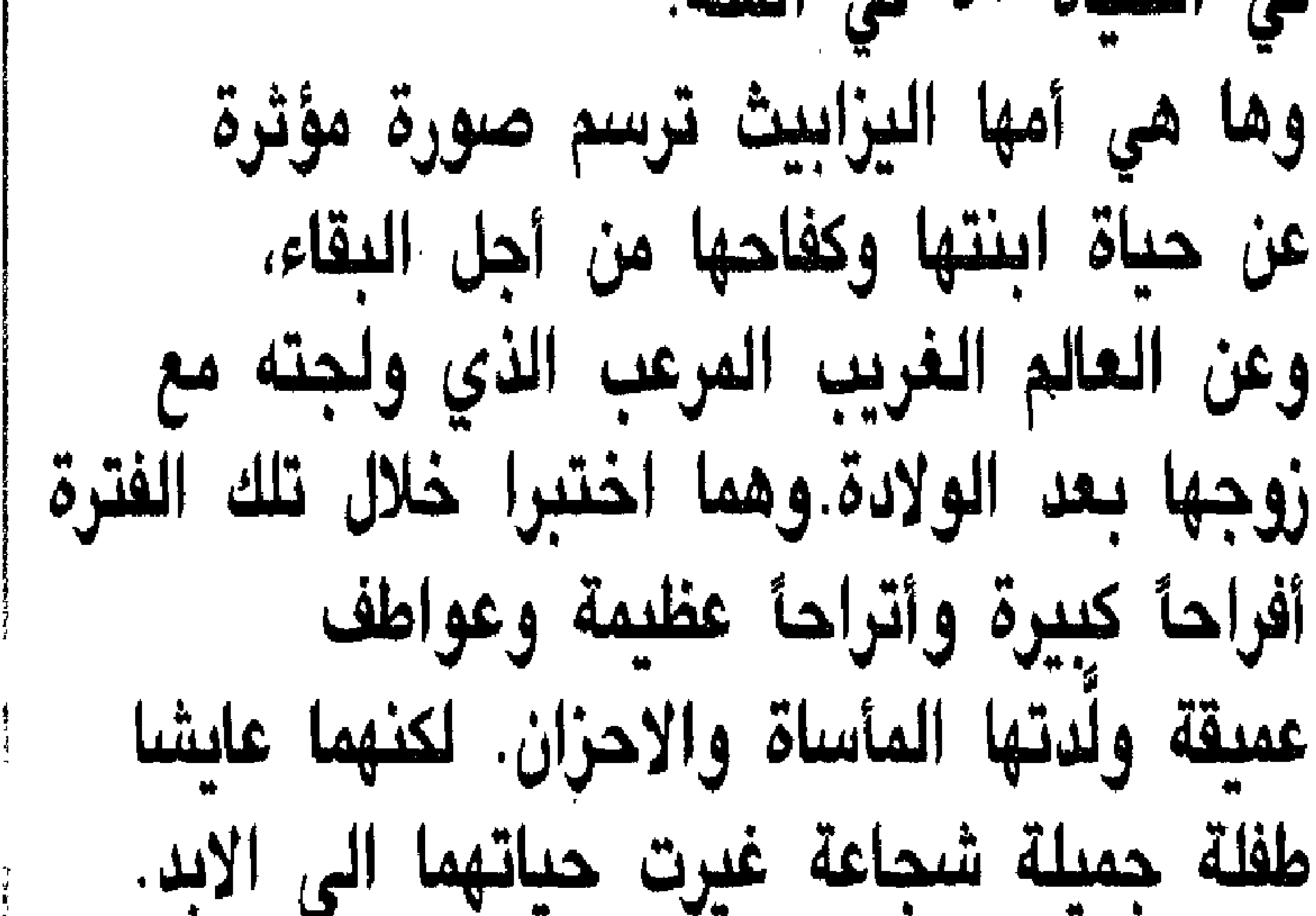
ابنتي غيّرت حياتي

ملخص من كتاب "ولدتُ قبل الاوان: قصة ابنتنا اميلي"

بقلم اليزابيث مهرن بترفيلد



ابنتي غيّرت حياتي



كانت ولادة إميلي أعجوبة وعذاباً في آن. فهي ولدت قبل أوانها، وكان وزنها دون الكيلوغرام ورئتاها في حجم كيسَيْ شاي ولم يتجاوز حظها في الحياة ٥٠ في المئة.

وها هي أمها اليزابيث ترسم صورة مؤثرة عن حياة ابنتها وكفاحها من أجل البقاء، وعن العالم الغريب المرعب الذي ولجته مع زوجها بعد الولادة.وهما اختبرا خلال تلك الفترة أفراحاً كبيرة وأتراحاً عظيمة وعواطف عميقة ولّدتها المأساة والاحزان. لكنهما عايشا طفلة جميلة شجاعة غيرت حياتهما الى الابد.



أقلعت الطائرة في موعدها المحدد على غير عادة. وكنت أتطلع بشوق الى الرحلة الهادئة من لوس انجلس الى نيويورك اذ عَنَتْ لي الهرب من المكالمات الهاتفية وارجاء أخذ أي قرار سوى اختيار ما آكله أو أشربه. كنت في شهر حملي السادس، فاخترت الحليب شرابا.

شعرت بارتياح وأنا أشد حزام المقعد. وخيل الي أني أضم وليدتي المنتظرة بعد ١٥ أسبوعا ونصف أسبوع. وكنت وزوجي فوكس عرفنا أنها أنثى، فسميناها اميلي. لذلك، حين أقفلت الحزام حول بطني المنتفخ سمعتُني أحدثها قائلة: "أنتِ في أمان يا صغيرتي اميلي. فنحن هنا مربوطتان معاً."

CONDENSED FROM «BORN TOO SOON: THE STORY OF EMILY, OUR PREMATURE BABY,» COPYRIGHT © 1991 BY ELIZABETH MEHREN, PUBLISHED BY DOUBLEDAY, A DIVISION OF BANTAM DOUBLEDAY DELL PUBLISHING GROUP, INC., NEW YORK, N.Y.
PHOTO: LUCY HILMER; ILLUSTRATIONS: LYNN RENEE

كنت مراسلة لصحيفة "لوس انجلس تايمز" في الساحل الشرقي للولايات المتحدة، أسافر عبر البلاد مرة في الشهر. وحين علم الاصدقاء أني حامل سألوني مازحين عما اذا كنت أدرجت اسم اميلي في قائمة المسافرين الدائمين لكي تحصل على تذاكر بأسعار مخفوضة. وكنت أنا عالمة باحصاءات الاسقاط خلال الاشهر الثلاثة الاولى من الحمل. كما أني أسقطت جنيناً قبل سنوات. لذلك، لم أجد بدأ من إبطاء نمط حياتي والاحجام عن رياضة العدو والايروبيك والانقطاع عن تناول الكافيين.

عندما التقيت فوكس كنت في التاسعة والثلاثين من عمري، وكان هو في السابعة والاربعين. وكان كلانا متزوجاً سابقاً. تعرفت اليه خلال احدى الحفلات، وعلمت أنه رجل مستقيم من بنسلفانيا. وهو لم يخطب ودي بوعود زائفة، بل قررنا الزواج بعد لقائنا الاول. وعلم فوكس برغبتي الطاغية في أن أنجب طفلاً، اذ حدثته عنها ربما خلال لقائنا الثاني.

لم يكن مستبعداً من رجل متعقل في السابعة والاربعين له ولدان من زواج سابق، أن يبتعد عني لدى سماعه قولاً كهذا. لكن فوكس أرادني فعلاً أن أنجب. كان كلانا يؤمن بأن الحب والزواج والانجاب أمور متلازمة، وهو تاق الى انجاب ثمرة حية لحبنا.

سارت الامور حسناً على جبهتي الحب والزواج. أما انجاب الاطفال فكان مسألة أخرى. وكانت دقات ساعتي البيولوجية تسرق النوم من عينيّ وأنا قابعة قلقة أتحسّر على كل شهر ينصرم من حياتي. وأخيراً لجأت الى طبيبي طالبة المساعدة. ورحت أتناول حقناً من مركب هرموني يساعد في حفز الاباضة.[1]

الحقيقة أننا لم نؤمن بهذا العلاج. وكنا على علم بالاحصاءات التي لم تبشرنا بخير يرجى.

ثم تأخر طمثي.

... وأمضيت فترة حمل لم يتخللها أي حدث مقلق. وبينت الفحوص أن كروموزومات[2] الجنين طبيعية، وأننا سننجب طفلة.

أخلدت الى القراءة في رحلة العودة وفي أحشائي طفلة عمرها ٢٤ أسبوعا ونصف أسبوع. وقدّرت أني سأصل الى نيويورك باكراً في المساء فأتناول طعام العشاء مع زوجي الذي اشتقت اليه كثيراً وإن كنت لم أفارقه سوى ثلاثة أيام.

ربتُّ اميلي مرة أخرى. وعندما أغمضت عينيّ رحت أتخيلها طفلة كاملة النمو لا جنيناً في أحشائي. رأيتها ممددة في المهد على بطنها غارقة في نوم هادىء على حرام مزدان برسوم أرانب صغيرة. فقلت في نفسي وأنا أتحسّس بطني: "أحبك أيتها الارنبة الصغيرة الحلوة."

---

(١) Ovulation اي خروج البييضة من المبيض.
(٢) الكروموزوم او الصبغي خييط في نواة الخلية يحوي الجينات التي تحمل الخصائص الوراثية.

علمت أننا قطعنا أكثر من نصف المسافة اذ مضى أكثر من ثلاث ساعات على اقلاعنا. وبعدما أكلت الوجبة التي قدمت الي وقرأت نحو ثلثي كتابي، طويت الصفحة التي بلغتها ونهضت، ليطالعني ما غيَّر حياتي الى الابد.

كان مؤخر ثوبي مشبعاً بسائل انهمر مني غفلة وبلل غطاء المقعد من غير أن أشعر بألم أو انزعاج. كان السائل صافياً ودافئاً وبلا رائحة. وعلى رغم أني لم أقرأ كتاباً يحذرني من هذا الاحتمال، فقد علمت للحال أن تمزقاً حصل في غشائي النُخطي.[٣]

كنا على ارتفاع ١١ ألف متر عندما بلغ حملي الهانىء نهايته. فقلت لنفسي: "حافظي على هدوئك يا فتاة، ولا تهلعي."

كنت كمن يمازح نفسه، اذ تملكني الذعر ولم أستطع الحفاظ على رباطة جأشي.

* "هي ابنتنا" *

صُعقت المضيفة عندما أخبرتها بما حصل، خصوصاً لأنها لم تلاحظ أني حامل. لكنها تمالكت نفسها وطلبت مني أن أرفع قدميَّ عالياً. ثم سألتني إنْ كنت أشعر بألم. ولما أجبتها سلباً قالت لي: "هذا حسن." وعندما تحققت من أني لا أنزف طمأنتني قائلة إن الامر لا يبدو خطيراً. ثم اتصلت بمطار نيويورك طالبة تأمين كرسي نقال.

وما إن وصلت الى المطار حتى اتصلت بطبيبي هاتفياً. فطلب مني التوجه من فوري الى المستشفى. ثم كالمتُ فوكس، وحاولت ألا أنهار كلياً عندما أجابتني المسجِّلة. فتركت رسالة قلت فيها: "أنا في طريقي الى المستشفى. أرجو أن توافيني بالسرعة الممكنة."

ولدى وصولي الى المستشفى كشف عليَّ أحد الاطباء وأكد لي ما شخصته وأنا على ارتفاع ١١ كيلومتراً.

بعض النساء في مثل هذا الوضع يواصلن حملهن لعدة أسابيع، أما الاحتمال الاقوى فهو ولادة الطفل خلال يومين أو ثلاثة أيام.

جلست في سريري مساء الاربعاء أحتسب أني سأكمل بعد يومين، أي الجمعة، الاسبوع الخامس والعشرين من حملي، وهي مرحلة تتعادل فيها احتمالات نجاة الوليد وموته، ويستحيل التكهن بالنتيجة. لذلك وجدت أن كل ما أستطيعه هو الترقب والانتظار.

وصل فوكس الى المستشفى حاملاً باقة من الزنبق الارجواني. وكنت وقتئذ مستلقية وقدماي مرفوعتان في وضع تعين عليّ التزامه طوال فترة حملي مهما طالت.

حاولت أن أقنع نفسي بأني اذا حافظت على هذا الوضع مدة كافية فستولد اميلي

(٣) Amniotic sac . وهو غشاء يحيط بالجنين ويحوي سائلاً يسبح فيه الجنين. ويدعى ايضاً السَلى.

بصحة جيدة باكتمال فترة الحمل الطبيعية. وأخبرت زوجي بأني خائفة، بل خائفة جداً. فرد وعيناه لا تفارقان عدّاد النبض: "وأنا كذلك."

كانت الارقام الحُمْر المتواثبة محط انتباهنا ومثار هلعنا. لكنها أيضاً مدتنا بنوع من الطمأنينة، فهي وسيلة اتصالنا الوحيدة بابنتنا، وما دامت تتراقص صعوداً وهبوطاً فهي تعني أن اميلي ما زالت حية.

وكلما تخيلت اميلي رأيتها طفلة ممتلئة بالحياة، قابعة في مهدها هانئة فوق حرامها المزدان برسوم الارانب. ولم أكن أسمح لنفسي بأن أتخيلها ميتة، فكيف أعيش أنا إن هي ماتت؟

في الماضي، عندما كان الازواج ينجبون أطفالاً كثيرين، كان موت الاطفال حدثاً عادياً. لكني لا أصدق أن الامهات كن يجدن عزاء بعد فقدان أطفالهن. فالمعاناة الناجمة عن فقدان أم طفلها تبقى خارج كل المقاييس.

جاء الخميس وتلاه الجمعة، ولازمني فوكس معظم الوقت وكان يخبرني بالمكالمات الهاتفية التي يتلقاها من أفراد العائلة والاصدقاء. وعرفت أنه لا ينام. وحين غادرني في العاشرة ليلاً بدا مرهقاً على نحو لم أشهده قبلاً.

ولم تمضِ ساعة على انصرافه حتى بدأ مخاضي. بيد أن الطبيب المقيم عزا الألم الى الغازات المعوية. وفي الثانية صباحاً رحت أتلوّى ألماً. فنقلتني ممرضة الى غرفة التوليد. وعندما نظرت الى الوجوه المحيطة بي رأيت طبيبة في لباس معقّم، فأشرت اليها لكي تقترب مني. وكان ما أردت أن أسربه اليها أمراً غاية في الاهمية.

قلت: "أرجوكِ، أنا لا أطلب أعمالاً بطولية. فلئن كان مقدَّراً ألا تُكتب الحياة لهذه الطفلة، فعلينا ألا نجبرها على ذلك."

حمَلتْ تلك اللحظة ذروة مخاوفي وقلقي المروِّع. فحياة طفلتي على المحك. وأنا مرتاعة من أن تكون من الصغر بحيث لا يمكنها العيش خارج جسدي، أو أن تكتب لها حياة تعسة. أردت أن تعيش اميلي بهجة الحياة لا عبئها. أردتها أن تكون تلك الطفلة التي تخيلتها تلعب وتثرثر هانئة في مهدها المزدان بالرسوم الملونة. أردتها أن تكون طفلة جذلة تطل عليَّ من كرسيِّها العالي وتلهو بدلوها ومجرفتها على رمال الشاطىء.

ردَّت عليّ الطبيبة بصوت خلا من المشاعر: "لا تشغلي بالك بالبطولات. فالطفلة، في ظني، لن تبصر النور."

ثم دنت مني وفي يدها حقنة كبيرة، فقد ارتأى طبيب التوليد تغييبي عن الوعي ما أمكن تحسباً لولادة اميلي جهيضة. وكنت منشغلة كلياً بالتنفس والدفع فلم أشعر بالحقنة وهي تخترق جلدي.

وُلدت اميلي في الخامسة والنصف صباحاً مندفعة بزخم هائل. وسمعت صرختها

على رغم تنامي الخدر في دماغي، صرخة مفعمة بالحيوية أطلقتها عالية كأنها تحتج على ولادتها المبكرة. وما هي الا لحظات حتى جرفني المخدر بعيداً عن عالم الحس.

استيقظت بعد ساعات لأجد فوكس جالساً الى جانبي. وما إن فتحت عينيّ حتى مال نحوي مقرباً وجهه من وجهي والهمّ باد عليه. فظننت أنه حائر كيف ينقل إليَّ النبأ المشؤوم.

وأخيراً قال: "جئت الآن من فوق، حيث رأيت فتاة صغيرة." ثم أخذ نفساً قصيراً وتابع: "والفتاة هي ابنتنا نحن."

فأخذت أنشج باكية. وبكى فوكس هو أيضاً. وبعد لحظات اقترب مني ولف ذراعيه حولي حتى تلامست وجنتانا وأخذت كلماته تتدفق مباشرة الى أذني.

قال: "هي حية. وهي جميلة. وهي لنا."

* اخبار غير مشجعة *

كان فرحنا قصير الأجل، اذ سرعان ما انبثق من وراء الستارة المحيطة بسريري رجل غريب بدا كأنه يتحين الوقت المناسب لأداء دور في المسرحية. كان صغير البنية ذا لحية قصيرة مشذبة تخللتها خصل من الشعر الابيض.

عرَّف عن نفسه، انه الدكتور جون فريدمان الاختصاصي بالمواليد الجدد. وكان هو من اصطحب فوكس الى جناح الحضانة «K9» المخصص للعناية بالاطفال المرضى والناقصي الوزن في الطبقة التاسعة من المستشفى.

بلغ وزن ابنتنا ٧٦٠ غراماً. ووصفها الدكتور فريدمان بأنها "صغيرة، بل صغيرة جداً."

فكرت في أني لا بد اشتريت في وقت ما خسة بهذا الوزن.

لكن اميلي لم تكن صغرى الاطفال الذين عالجهم الدكتور فريدمان. قال الطبيب: "صحيح أن ٢٥ أسبوعا عمر بالغ الصغر، لكننا عالجنا سابقاً أطفالاً في هذا العمر، وعاش كثيرون منهم بصحة جيدة."



ومع ذلك، من الممكن أن يرتكس نمو الطفل الخديج[٤] في أي لحظة أو في أي يوم. فللاطفال البالغي الصغر عادة سيئة هي أنهم ينسون أن يتنفسوا، فيتحول لونهم أزرق في لحظة. وتباطؤ عمل القلب لفترات وجيزة هو عامل خطر دائم. كما يصاب هؤلاء الاطفال بأمراض جرثومية في أوقات يندر توقعها. ومع أن التكنولوجيا الحديثة تستطيع انقاذ بعضهم، فانها قد تحكم عليهم بالعيش في كابوس عُصابي.

* مثل دمية *

بعد فحوص أولية بدت رئتا اميلي، اللتان لم تزيدا حجما على كيسي شاي، خلواً من المشاكل التنفسية. ومن أجل مدها بدفق ثابت من الاوكسيجين النقي، أولج الاطباء في قصبتها الهوائية (الرغامى) أنبوبا متصلاً بجهاز تنفس.

اعتبر الدكتور فريدمان تيقُّظ اميلي مؤشراً ايجابيا آخر. ومع أن عينيها ظلتا مغمضتين فهي استجابت للمس، مما أوحى أن جزءاً من جهازها العصبي كان يؤدي وظيفته على نحو مقبول. وكنا محظوظين لكون اميلي أنثى، لأن فرص نجاة المواليد الذكور في مثل عمرها هي، لسبب مجهول، أقل نسبيا، اذ انهم عرضة للاصابة بمشاكل رئوية خطيرة.

وقدَّر الدكتور فريدمان فرص نجاتها خلال الساعات الـ ٢٤ الاولى الحرجة بـ ٥٠ في المئة في أحسن تقدير. وذلك لعمري رقم غير مشجع. فلو قيل لي، مثلاً، إن احتمال سقوط طائرتي هو ٥٠ في المئة، فهل أقبل بركوبها؟

بيد أني كنت مقتنعة بالقول المأثور عن الكوب الذي مليء نصفه، فاما أن يراه المرء نصف ملآن وإما أن يراه نصف فارغ. لذلك قررت تجاهل الـ ٥٠ في المئة المضادة وتقبُّل الـ ٥٠ في المئة التي كانت لمصلحة اميلي.

قال فوكس للدكتور فريدمان: "أخبرها عن حال اميلي العقلية."

فقال لي الطبيب: "انها لا تنفك تركل. أعتقد أنها غاضبة."

كان هذا أفضل خبر تلقيناه لدلالته على أن ابنتنا تكافح لتحيا.

بعد ظهر ذلك اليوم نهضت من فراشي لزيارة اميلي، وسرت جارَّة ورائي عمود المصل الوريدي. وقادني فوكس في ممر الجناح «K9» الى أن بلغ بنا المطاف وحدة العناية المركزة للمواليد الجدد في الغرفة الاخيرة الى اليمين. وهناك طالعتني المحاضن[٥] وقد صُفَّت حول جدران الغرفة الصغيرة الساطعة الانارة. وكان في وسط الغرفة "جزيرة" مستطيلة من أربعة محاضن كانت ابنتنا في أقربها.

---

(٤) الخديج هو المولود قبل الاوان.

(٥) Incubators . والمحضن جهاز لحضانة المواليد الذين تضعهم امهاتهم قبل الاوان.

كل أم تنظر الى طفلها للمرة الاولى ترى فيه أعجوبة محققة ويساورها اعتقاد أنه الاجمل بين خلق الله قاطبة.

ولم أكن أنا مستثناة من هذه القاعدة. لقد كانت ابنتي أصغر من الدمية التي كنت ألهو بها في طفولتي. كانت جفونها ملتحمة، ويداها قابضتين باحكام، وقدماها لا تزيدان على خمسة سنتيمترات طولاً، وأذناها مثل صدفتين منمنمتين. ومع ذلك رأيت فيها أجمل طفلة وقعت عليها عيناي. فتسمرتُ قبالتها لا أستطيع رفع نظري عنها، وتملكتني عاطفة جديدة هي حب الأم الصادق الذي لا يقبل أي تردد أو نقاش.

ولو نظر امرؤ أقلّ محاباة الى صغيرتي لرأى فيها طفلة رقَّ جلدها حتى بانت عروقها، عجفاء الى حد يحفر الألم في النفس. فالجنين المولود في أوانه يزداد وزناً خلال الشهر الأخير من الحمل بمعدل ٢٢٥ غراما في الاسبوع. أما الخديج فيولد بأصابع تبدو مفرطة في الطول كثيرة العظام، وبمرفقين كأنهما زاويتان حادتان، وبأنف مثلوم وذقن ناتىء لخلوه من طبقة دهنية تبطِّنه.

فجأة سمعت الممرضة تقول لي: "تستطيعين لمسها إنْ أردتِ."

كنا مأخوذَيْن بمرأى اميلي فلم نرَ الممرضة وهي تقترب منا. حدَّقتُ النظر الى المحضن، فرأيت في مؤخره ومقدمه زوجين من الكوى يمكن ادخال اليدين عبرهما. ولما شرحت لنا الممرضة كيف ننزع مشابك الكوى سألتها وأنا قلقة من أن يؤدي فتحها الى تغيير حرارة الاوكسيجين في المحضن: "أواثقة أنتِ من صواب هذا العمل؟"

فرمقتني الممرضة بنظرة ضاحكة وقالت: "يحتاج الاطفال البالغون الصغر الى اللمس، بل إنهم يحبون ذلك. وهذا أمر مهم لهم."

مددت يدي عبر كوة، وكانت اميلي مستلقية على ظهرها. فمرَّرت إصبعي على ذراع في نعومة الورد. وعندما لمست يدها أطبقت حول إصبعي باحكام.

بدت لي تلك الحركة الارتكاسية كضرب من السحر. أردت أن أبكي، لكني بدلاً من ذلك سمعت نفسي أقول: "هذه أنا يا صغيرتي. هذه ماما. أحبك يا اميلي."

تمنيت لو أترك اميلي متشبثة باصبعي الى الابد. لكن فوكس أراد هو أيضاً أن يلمسها. فمد يده عبر الكوة، وراح يربت رأسها بلطف وحنو هامساً: "هذا بابا يا اميلي. بابا يحبك."

كانت الغرفة صغيرة لا يتجاوز طولها سبعة أمتار وعرضها ٤,٥ أمتار. وكان في ستة من محاضنها العشرة أطفال من أحجام وأشكال وألوان مختلفة، ومنهم طفل رأيته مستلقيا تحت أضواء زرقاء ساطعة مثبتة في محضنه وعلى عينيه نظارتان، فبدا كراكب دراجة نارية منمنم.

قالت الممرضة: "هذه أضواء بيلي."[٦] ومعروف أن المواليد الجدد هم عرضة لتكوُّن مستويات عالية من البيليروبن، أو حمرة المرَّة، وهي مادة صبغية صفراء في الدم يمكن أن تكون سامة. والمعالجة الضوئية أو "أضواء بيلي" هي الطريقة المتبعة في هذه الحال. أضافت الممرضة: "قد تُعالج اميلي أيضاً بهذه الطريقة، وهي ليست خطيرة، فلا تقلقي."

كانت وحدة العناية المركزة للمواليد مكاناً مفعماً بالضجيج تقرقر فيه الماكينات وتهسهس وتهدر. وكانت جميع أجهزة المراقبة هناك موصولة بأجهزة انذار. فاذا أهمل الجهاز العصبي في جسم الطفل الخديج تذكيره بالتنفس، زعق مرقاب انقطاع التنفس كصفارة انذار. واذا أبطأ نبض الطفل فجأة، أطلق مرقاب نبضات القلب النفير.

كان صعبا عليَّ أن أتحاشى الشعور بأن كل لحظة أمضيها مع اميلي قد تكون الاخيرة. ولئن يكن كثير من مجريات الامور يعتمد على العلم والخبرات الطبية المتقدمة، فان كثيرا مما كان يحدث لي ولزوجي ولابنتي – ولجميع الوالدين والاطفال الذين قذفتهم الاقدار الى هذا المحيط الغريب – كان شأن إيمان.

كانت اميلي طفلة جميلة. راقبت صدرها الصغير وهو يعلو ويهبط مع كل نفَس. كانت كل نشقة تعبيراً عن تصميمها على الحياة. كانت جميلة، وكانت شجاعة جداً.

* الامل والصبر *

خسرت اميلي بعض وزنها في أيامها الاولى كما كان متوقعا. ووُضعت تحت أضواء بيلي حيث بدت بنظارتيها الملتفتين حول رأسها الصغير كأنها تأخذ حماماً شمسيا. وكانت صباح يوم الاحد، ثاني أيام وجودها، قد فتحت عينها اليسرى التي بدا لونها أزرق فيروزيا براقا. وفي اليوم التالي فتحت عينها اليمنى.

ما ان عرفت اميلي كيف تفتح عينيها حتى باتت غير راغبة في إغماضهما. ومع أن جميع الكتب الطبية تفيد أن نطاق الرؤية محدود لدى المواليد الجدد، وأنه أضيق لدى المواليد الخدَّج، فقد كانت اميلي تتابع الاشياء بعينيها وتفتحهما بسرعة البرق كلما سمعت صوتاً. وهي ظلت ترفس بقوة بحيث وصفتها الممرضات في البيانات اليومية بأنها "نشطة ويقظة."

بدت رئتا اميلي سليمتين من الاعتلالات التنفسية. وكانت عينات من الدم تؤخذ من عقب قدمها كل بضع ساعات لفحص مستويات الاوكسيجين وثاني أوكسيد الكربون، وأظهرت الفحوص أن مستويات الغازات في دمها مطمئنة.

لم تمضِ فترة قصيرة حتى تكيَّفنا وعالمنا المصغر الجديد، ووحدة العناية المركزة

(٦) Bili lights

للمواليد. فلم أعد أرى الآلات حولنا، واعتدت منظر الالكترودات المتناثرة على صدر ابنتي، وأقلعت عن مراقبة مقياسي النبض والاوكسيجين الموضوعين الى جانبها، ولم أعد أعتبر الانبوب المولج في قصبتها الهوائية ملحقاً شنيع المنظر، بل بتّ أراه جزءاً من اميلي، مثل أنفها أو اصبع قدمها.

كان التحدث الى اميلي يمدني بمتعة خالصة. وكنت لا أكف عن الثرثرة، سواء أكانت مستغرقة في النوم أم مستيقظة ترمقني بعينيها الزرقاوين الثاقبتين. تحدثت اليها وهي ممسكة باصبعي. وتحدثت اليها وأنا أربت بطنها. أخبرتها عن عائلتها وعن هذا المكان الغريب الذي هو منزلها الموقت. وكلما تلقيت زهوراً أو هدايا أخبرتها باسهاب عن مرسليها. لا بد من أن اميلي تساءلت مراراً عما اذا كنت سأكف يوماً عن الثرثرة.

التحدث الى اميلي أشعرني بأني أمها حقاً. وكلما نظرت اليها ولمستها تأكد لي أنها حقيقة لا تقبل جدلاً. لم أكن قادرة على التجوال بها في عربة عبر الشوارع، أو على جعل أصدقائي يرونها، لكني استمتعت بكل لحظة قضيتها معها.

عندما سُرِّحتُ من المستشفى بعد أسبوع من دخولي صعُبَ عليَّ أن أخرج صفر اليدين. فوجدتني أعود الى المكان يومياً، يستقطبني مغنطيس اسمه اميلي. ألفيتني في حاجة ماسة الى أن أكون معها وإن عنى ذلك مجرد الوقوف الى جانب المحضن. أما فوكس فكان أقل الحاحاً مني لأن مرأى المحضن كان يزعجه. وقد شرحت لي ممرضة اسمها لسلي الامر: "هذا طبيعي. أنظري حولك. مَنْ يأتي الى هنا؟ الامهات طبعاً. أما الرجال فلا يسعهم مواجهة هذا الوضع. الامر صعب جداً عليهم."

كانت لسلي في عمري. وهي نالت اجازة ماجستير ومارست التدريس مدة خمس سنوات قبل أن تتحول الى التمريض. وأمضت في المستشفى نحو ١١ سنة معظمها في وحدة العناية المركزة للمواليد. قالت: "علمت منذ البداية أني أنتمي الى هذا المكان."

أخبرتني لسلي أن اميلي ستوضع في عهدتها طوال مدة بقائها في الجناح «K9». وكنا كلما عبرنا الممر الى غرفة الحضانة نجد لسلي هناك. فاطمأن بالي الى نوعية الخدمة واستمرارها.

كان كثير من الوالدين يبقون مع أطفالهم في المستشفى بضعة أيام وأحياناً بضع ساعات، لذلك لم يتسنَّ لنا التعرف اليهم. أما نحن، المواظبين على هذا المكان الغريب، فتعارفنا تدريجاً وما لبثت الايماءات والنظرات السريعة أن تحولت كلمات تشجيع ألفنا تبادلها.

لم يكن الامر سهلاً على أي منا. لاحظت أن والدي الطفل المجاور لابنتي نادراً ما

كانا يتحدثان الى أحد، حتى الى الممرضة التي تعنى بطفلهم. وتبين لي لاحقاً أنهما من الاكوادور ولا يتكلمان سوى الاسبانية.

كانت السيدة ديان، التي تصغرني ربما بعشر سنين، تضع نظارتين بنيتي الاطار، ولها شعر أسود مسترسل. وبعد أيام من تبادل الابتسامات المهذبة الصامتة استجمعتُ شجاعتي لأجرب معها ما تعلمته من لغة اسبانية خلال دراستي الثانوية.

سألتها منتقية كلماتي بحذر شديد: «Es su primer niño?» أي هل هذا ابنك الأول؟

فأشرق وجهها وأجابت بوابل من الاسبانية.

فقلت: «Despacio, por favar» أي على مهل أرجوك.

وهكذا صرنا نتبادل أحاديث يومية كانت تدور كلها حول صحة طفلينا.

كان حديثنا بدائياً في الواقع. لكننا مع ذلك كنا قادرتين على تبادل الابتسامات والتشارك في الارتباك والمخاوف الكثيرة التي كنا نحسها. فالقلق، أياً تكن اللغة، هو الشعور الذي يطغى على الوالدين في مثل هذا الوضع. لذلك اتفقنا على أمرين قررنا ألا نتنازل عنهما أبداً: «Esperanza y paciencia» أي الامل والصبر.

وهذا ما كنا نردده عند الوداع كل يوم.

* "اميلي فتاة وليست صبياً" *

حلَّت الازمة حوالى منتصف ليل ٥ أبريل (نيسان) اليوم العاشر من حياة اميلي. وكتب الدكتور فريدمان في سجلها اليومي: "قد تكون اميلي مصابة بالتهاب تنكرزي في المعي والقولون."[٧] وهذا أحد أسوأ الاخطار التي تترصد المواليد الخدّج، وهو، كما شرحت الممرضة، "يعني حرفياً موت جدار الامعاء."

وتحصل الاصابة بهذا المرض حين تهاجم الامعاء أنواع "صديقة" من الجراثيم (البكتيريا) التي تسبب انتفاخا وتعيق عملية الهضم من جراء ما تنتجه من فقاقيع غازية. فاذا تخرَّم جدار الامعاء، فقد تنتشر العدوى عبر التجويف البطني وتسبب الوفاة. وفي حالات أقل حدة، قد تتولى الامعاء اصلاح الخلل ذاتيا، وإلا أصبحت الجراحة ضرورية لاجتزاء الانسجة التالفة وإعادة وصل الاجزاء الحية. ولكن، بالنسبة الى اميلي، قد تكون الرحلة القصيرة الى غرفة العمليات كفيلة بموتها.

أُخضعت اميلي للعلاج بالمضادات الحيوية (أنتيبيوتيك) كما أخبرنا الدكتور فريدمان. ولاستبيان مدى الضرر الحاصل في امعائها، بات من الضروري تصويرها بالاشعة السينية (إكس) تكراراً. كما بات لزاماً وقف ارضاعها والاستعاضة عنه بتغذيتها وريدياً.

(٧) Necrotizing enterocolitis

تذكرتُ أن اميلي بدت في اليوم السابق نزاعة الى النوم على غير عادتها. لكني، اذ كنت جديدة على عالم الولادات المبكرة، لم أدرك أنه كان عليّ قرع جرس الانذار. وكان معروفا عني في وحدة العناية المركزة أني مثيرة متاعب وعُصابية تريد أن تعلم كل ما يحصل لطفلتها. ومع أن لسلي وبعض الممرضات الأخريات اعتبرن تصرفي منطقياً، فان بعض الاطباء الشباب المقيمين بدوا منزعجين من الاحتكاك بالآباء والامهات.

وكنت في ذلك الصباح التقيت الطبيب المقيم دانيال هوه الذي كُلف العناية بابنتي خلال الاسبوعين اللاحقين. وكان الدكتور هوه شاباً بارداً يتّسم بأسلوب كفي جازم حتى لتخاله يعمل في صيانة أجهزة كمبيوتر. وعندما كان وزملاءه يقومون بجولاتهم اليومية، كانوا يتنقلون من محضن الى آخر، مثل قطيع، ويشيرون الى كل طفل بلفظة "هو" من غير اعتبار لجنسه.

قال الدكتور هوه: "سأسحب منه مزيداً من الدم."

فصححت له: "منها." وأضفت بعدما رمقني بنظرة فارغة: "ستسحب منها مزيداً من الدم. إن اميلي فتاة، لا صبي."

رمقني الدكتور هوه بنظرة أخرى تنم عن انزعاج وقال: "اننا نطلق على جميع الاطفال لفظة هو. فذلك أقل تعقيداً."

أُخضعت اميلي خلال فترة مرضها لمزيد من فحوص الدم. فكنت كلما أدرت رأسي أرى ممرضة أو طبيباً يغرز في جسدها الصغير حقنة جديدة. وحتى في حال الضعف التي بلغتها واصلت اميلي الركل والرفس اعتراضاً. الا أن سحب عينات الدم، المتزامن ومرضها، أدى الى نقص تعداد خلايا دمها الحمراء.

اذذاك، قال الدكتور هوه: "سنضطر الى نقل الدم اليه."

فصححت له: "اليها. ستضطر الى نقل الدم اليها."

وكانت اميلي أُخضعت سابقاً لعملية نقل دم. وكنت أنا، بعدما كتبتُ عدة مقالات عن الايدز،[٨] لا أثق بالمتبرعين المجهولين. لذلك كان الدم الذي تلقته اميلي وقتئذ منقولا اليها من وحدة تبرعت بها والدتي لدى قدومها من كاليفورنيا لزيارتنا. وكان الاطباء استعملوا نزراً يسيراً من وحدة الدم تلك، لذا اعتقدت أن ما تبقى منها لا بد كثير.

غير أن الدكتور هوه أنبأني بأن ليس في بنك الدم أي دم مُتبرع به لاميلي تحديداً. والسبب أنه كلما دعت الحاجة الى عملية نقل دم يُصار الى "إهدار" وحدة دم كاملة، كما يقولون. وتستغرق عملية فحص الدم الموهوب وتحضيره مدة تراوح بين ٢٤ و٣٦ ساعة، الا أن الدكتور هوه أخبرني أن اميلي تحتاج الى نقل دم قبل انصرام هذه المدة. وأضاف: "علينا اعطاؤه دماً مأخوذاً من متبرع مجهول."

(٨) Acquired Immune deficiency syndrome «Aids» ، وهو داء فقدان المناعة المكتسب.

فأصابتني رعدة منعتني من تصحيح ضميره المذكر.

بعد لحظات من مغادرة الدكتور هوه وجدت كارول الى جانبي، وهي أم الطفل جون الذي كان في غرفة حضانة الاطفال الحسني الحال.

وكان جون أخضع سابقاً لعشرات من عمليات نقل الدم المأخوذ من متبرعين مجهولين، كما أخبرتني كارول. قالت: "عليك الوثوق بعملية فحص الدم. فهم حريصون حقاً. وما عليك سوى التسليم بأن الدم سليم."

مدني حضور كارول بالثقة الى حد أني لم أشكك في تأكيدها ذاك. الا أني حين رفعت نظري رأيت الممرضة روبن ترمقنا مبتسمة. وكانت، لدى سماعها الحديث الذي جرى بيني وبين الدكتور هوه، حضت كارول على محادثتي.

كانت لفتة روبن مثالا للاسلوب الذي تتبعه الممرضات للحفاظ على تماسك المكان. فالاطباء يصدرون الاوامر. والاداريون يهتمون بسير العمل. أما الممرضات فيحافظن على انسانية التعامل. وقد استطعن جعل الاطفال محطّ اهتمامهن... وعاطفتهن غالبا.

ذات صباح وصلتُ في تمام السابعة الى وحدة العناية المركزة، فوجدت أليانور، وهي ممرضة أمضت ما يزيد على ٢٠ سنة من عمرها في هذه الوحدة، تضع تقريرها الليلي لممرضة المناوبة النهارية. وسمعتها تقول: "جميع أطفالي في حال جيدة."

وبعد دقائق التقيتها في المصعد، فقلت لها: "سمعتك تشيرين الى الاطفال على أنهم أطفالك. جميل منك أن تقولي ذلك."

أفادت اميلي من الادوية وعمليات نقل الدم بحيث لم يمضِ يومان حتى دب فيها النشاط وعاد لونها الى التورد. وعلى رغم استمرار الفقاقيع الغازية فقد أظهرت صور الاشعة السينية أن لا تمزق ولا تلف في امعائها. ومع ذلك بقي بطنها منتفخاً وطريّ الملمس.

وذلك أول أمر علّق عليه فوكس حين عاد اميلي بعد ثلاثة أيام من اكتشاف المرض. فهببت للدفاع عن ابنتي. قلت: "لكنها على الأقل نشطة ومتيقظة. ليتك رأيت حالها قبل يومين."

كان المغزى من كلامي، طبعاً، هو أنه في حين كنت أنا جالسة طوال الوقت الى جانب ابنتنا كان هو بعيداً لا يعبأ بشيء. وكان ذاك انعكاساً للهوة الكبيرة المتعاظمة بيننا. ومن الطبيعي، في مثل هذه الحال، أن تتطاير الاتهامات واللعنات، خصوصا لشعوري بأن فوكس لم يكن ايجابياً كفاية. أما هو فاتهمني بأني بت عرضة للهواجس. فصرخت في وجهه لائمة اياه على عودته الى العمل فور ولادة اميلي – مع أني أنا كنت مَنْ شجعه على ذلك – واتهمته بأنه يهتم لعمله أكثر مما يهتم لعائلته. فرد عليَّ قائلا إن انجاب طفل كان كل ما يهمني في هذا العالم.

كان كلانا يعلم في قرارة نفسه كم تسيء الأزمات الطويلة الى الزواج. وكنا نعلم أيضاً أن الاطفال قد يبرأون من مرضهم ويخرجون بعد مكوثهم مدداً طويلة في المستشفى، لكن زواج والديهم غالباً ما ينتهي الى الفشل.

وأكدت لي لسلي الامر لاحقا: "إننا نشهد كثيراً من حالات الطلاق هنا." واذ أصغيتُ الى كلام الامهات المقيمات في وحدة العناية المركزة للمواليد الجدد اتضح لي أننا لم نكن الزوجين الوحيدين اللذين أخذا موقفين مختلفين من هذا الواقع.

ومثال على ذلك ما شعرت به كارول وهي تحضِّر لنقل ابنها جون الى البيت. ففي تلك المرحلة فقط، بعدما بات شبه مؤكد أن الطفل سينجو، أحست كارول للمرة الاولى أن زوجها جازف بالارتباط عاطفياً بطفله، بعدما كان، مثل فوكس، لا يزور وحدة العناية المركزة إلا نادراً.

أخبرتني كارول: "لقد تشاجرنا كثيراً طوال هذه المرحلة."

❊ أنتِ شمسي ❊

أزهرت أشجار الفاكهة خارج المستشفى. وتناثرت الغيوم البيضاء ملطفة أجواء المدينة المكتظة بالابنية. ووسط ذلك كله بدا متنزَّه "سنترال بارك" حديقة جذابة واعدة بالسكينة والسلوان. كنت في بعض الصباحات أعدو عبر المتنزه لأكون مع اميلي. وفي أيام أخرى أذهب الى هناك لأجد نفسي محوطة بمجموعة ضاجة من الاطفال وهم يلهون برفقة أمهاتهم أو حاضناتهم. وتصورت نفسي أقود خطى اميلي وهي تلهو عابثة في أرجاء الحديقة الوارفة.

بقيت اميلي على حالها، وهذا يعني أنها لم تكن في حال جيدة. ومن جهتي، توقفت عن طرح الاسئلة عن وزنها، لأن نظرة واحدة اليها كانت كافية لأعلم أن وزنها ما زال متدنيا. كانت أوردتها من الصغر بحيث وضعت حداً لكمية الغذاء التي يمكن إيصالها اليها وريدياً. فجرب الاطباء صيغاً غذائية مختلفة محاولين اضافة مواد دهنية تتحول الى ما تحتاج اليه اميلي من وحدات حرارية (كالوري) ضرورية. وأخيراً ارتأى الدكتور فريدمان إيلاج أنبوب في عنقها.

يُدخل هذا الانبوب، واسمه أنبوب بروفياك،[٩] عبر جرح صغير في الوريد الوداجي، ويسمح بضخ كميات اضافية من الغذاء. وقد طمأنتني لسلي قائلة: "سيزداد وزنها بسرعة أكبر. هذا أفضل ما يُعمل."

أدركت وأنا أتمشى في المتنزه أن لا خيار آخر. فاذا لم يقضِ التهاب المعى والقولون على اميلي، فان الجوع سيقضي عليها حتماً.

---

(٩) Broviac tube

وكنت أشتريت من متجر الهدايا في المستشفى صندوق موسيقى في شكل وسادة مطرزة بالزهر ومزركشة بشريط مخرم، مستوحية الفكرة من احدى الامهات. وما إن سمعت اميلي الانغام المنبعثة من الصندوق حتى مدت رأسها وتلفتت محاولة تحديد مصدر الصوت، وهو لحن أغنية عنوانها "أنتِ شمسي."

وفيما أنا أتمشى في المتنزه قفز خيالي الى المستقبل نافضاً كل هراء المستشفى. فتصورت اميلي عروساً وحولها أمي وزوجي وولداه إيثان وسارة. رأيت فوكس يشعّ تيهاً وهو يواكب ابنتنا الجميلة المتهادية فرحة بثوبها الناصع البياض فيما أغنية "أنتِ شمسي" تملأ الجو فرحاً وبهجة.

وعندما عدت الى الجناح «K9» بادرتُ لسلي: "عديني بأن تحضري حفلة الزفاف. عديني بأن ترقصي وترشي الرز. عديني بأن تكوني هناك."

فقالت لسلي من دون ان تتردد لحظة واحدة: "أعدكِ بأن أفعل." ثم غمرتني بضمة زاخرة بالمحبة والحنان خلتها دامت وقتاً طويلاً.

بعد انقضاء أسبوع على إيلاج أنبوب بروفياك استعادت اميلي وزنها السابق. فهتفت السيدة دياز تشاركني في فرحتي: «Mucho mas grande» أي ان اميلي باتت أكبر كثيراً.

فأجبت بالاسبانية مشيرة الى معدة ابنها: "انها أصغر." وكان انتفاخ بطنه تقلص على نحو مفاجىء، كما استعاد لونه وبات اكثر تيقظاً واستجابة للاصوات.

فردت السيدة دياز بصوت رقيق: «Recuerde» أي تذكري. ثم ضغطت ذراعي بلطف وأضافت: «Esperanza y paciencia» أي الأمل والصبر.

* القبلة الأولى *

أظهرت صور الاشعة اليومية أن الضرر الذي سببه التهاب المعى والقولون لم يتفاقم. وبشّرتنا عبارة "يمكن سماع حركة الامعاء وإن خافتة" بأن النشاط المعوي لم يتوقف من جراء الاصابة بهذا المرض الذي يشكل خطراً دائماً على عمل الامعاء.

تعرفت الى الدكتور روبرت وولف جراح الاطفال في المستشفى. كان رجلا طويل القامة يناهز الخمسين من عمره وله شعر كستنائي متضائل. وهو خلُص الى قرار مفاده أن اميلي تحتاج الى جراحة في البطن، على الاقل لاستكشاف ما قد حصل. فاذا تبين أن ثمة انسداداً، فسيتوجب عليه فتحه. إلا أن اميلي كانت من الصغر بحيث لا تستطيع تحمل الجراحة.

قال الدكتور وولف: "أريد أن يصل وزنها الى كيلوغرام على الاقل."

لكن وزن اميلي لم يكن في تلك المرحلة ليزيد على نصف كيلوغرام!

في تلك الاثناء حاولنا، أنا وفوكس، أن نعيد بعض الاتساق الى حياتنا الزوجية. وكنا ما زلنا نذهب الى السوق معاً ونقرأ الصحف ونشاهد نشرة أخبار الساعة الحادية عشرة على التلفزيون.

كان فوكس يذهب الى عمله كل يوم. وعلى رغم امتعاضي من غيابه عن المستشفى فقد كان جزء مني معجباً بقدرته على مواصلة العمل. أما أنا فعشت على هذا الصعيد فوضى مطبقة. ولكم حاولت لسلي وغيرها اقناعي بالعودة الى العمل. فحال اميلي حسنة، كما قالوا. وتقدمها سيستمر سواء أكنت في المستشفى أم خارجها.

لكنني كرهت العودة الى مكتبي، وكرهت الرد على المكالمات الهاتفية وعلى التساؤلات التي يحمل بعضها مراءاة، وكرهت تكرار القصة مرة تلو أخرى. لذا قررت العمل بعد ساعات الدوام. وبهذه الطريقة وجدتني قادرة على العمل أربع ساعات متتالية أمضيتها في مراجعة بريدي والاستماع الى المكالمات الهاتفية المسجلة وتحضير الملفات اللازمة لمقالاتي. وقد اتسم أسلوب عملي هذا بطابع لاشخصي خالٍ من الاتصال البشري والأحاديث الفارغة.

بيد أن فوكس حذرني من مغبة هذا الأسلوب قائلا: "انك تخرجين الناس من حياتك فيصبحون عاجزين عن مد يد المساعدة اليك وإن حاولوا ذلك."

فأنكرت كلامه. لكنه كان على حق.

وذات ظهيرة، فيما كانت لسلي غائبة في يوم اجازتها الاسبوعية، اقتربت مني ممرضة اسمها بليندا وهي فيليبينية جذلة الصوت كنت أحب الاستماع اليها وهي تتكلم.

سألتني: "أتحبين أن تحملي اميلي؟"

يتخلل رسوم عصر النهضة شعاع نور غامر خيِّل الي في تلك اللحظة أنني أقف وسطه. أجبت: "طبعاً أحب أن أحمل اميلي."

فتوارت بليندا للحظات ثم عادت ومعها قميص أمامي أصغر من أن يُلبس الدمية التي كنت ألعب بها في طفولتي. ورفعت غطاء المحضن قليلا، ثم ألبست اميلي القميص من دون أن تفلت أياً من الانابيب أو الاجهزة أو تعبأ باهتياج اميلي واعتراضها. قالت ضاحكة: "أنها لا تريد أن تلبس ثياباً." كانت اميلي، كجميع الاطفال الضئيلي الحجم، ممددة فوق حفاض.

جلست في كرسيّ انتظر بليندا وهي تخرج اميلي بلطف وتؤدة من محضنها. ثم رأيتها تفصلها، للحظة، عن أنبوب التنفس كيما تعيد وصلها به خارج المحضن. كانت بليندا خبيرة بهذا الاجراء بحيث أتمته من دون صعوبة.

ثم ناولتني ابنتي.

كان الحرام الذي لفت به اميلي مزدانا برسوم أرانب، تماما كذاك الذي تخيلته. وكانت على رأسها قلنسوة صغيرة فيها خطوط زرقاء وزهرية.

وضعتُ اميلي على ذراعي اليسرى ورحت أحدق اليها بعجب وأهدهدها بلطف. كانت تلك حركة طبيعية وجدتني أؤديها من غير تفكير.

للمواليد الجدد شذا غير عادي هو أريج النضارة الخالصة، ولا يماثله أي عبير آخر في الارض. لقد أمضت اميلي كل حياتها في هذا الجو النسكي، فاحتفظت بذياك العبير السحري الذي تمنيت لو ينطبع في أنفي الى الأبد.

انحنيت لامنح اميلي قبلتها الاولى، طبعتها على جبينها، ثم قلت لها: "هذه اسمها قبلة. وهي من بابا ومني أنا."

ولما كانت اميلي غير معتادة اللمس فقد لوت قسمات وجهها اشمئزازاً. وهي لو استطاعت الكلام لصرخت ممتعضة: "قبلة! يا للقرف!"

تناهت الى مسمعي في تلك اللحظة ضحكات صدرت من بضعة أشخاص تحلقوا حولنا. الا أن ذلك لم يثنني. كانت تلك اللحظة خيالية بالنسبة الي. كنت ممسكة بابنتي أقبلها وأقول: "وهذه من إيثان وسارة وجدتك."

وأخيراً قبلتها مرة ثالثة قائلة: "وهذه من جميع مَنْ في عالمك، لأن عالمك يحبك كثيراً."

وهنا تقدمت مني بليندا وتلقفت اميلي بذراعيها ثم أعادتها برشاقة الى حاضنتها بعدما نزعت عنها القبعة والقميص والحرام وأعادت وصل الانابيب.

وفي المساء وجدت نفسي لا أكف عن وصف الشعور الذي غمرني وأنا أضم اميلي، والتحدث عن شذاها العذب وعن...

وعندما بلغت مرحلة وصف القبل قاطعني فوكس طابعاً على جبيني قبلة أنستنا كل ما تبادلناه من كلام غاضب.

قال: "وهذه القبلة هي من والد اميلي الى امها."

* وقع الصاعقة *

قبل يوم من عيد الأم[10] بلغ وزن اميلي ١٠٦٠ غراماً متجاوزاً الرقم الذي حدده الدكتور وولف لاجراء الجراحة. وكانت كميات صغيرة من الدم تخرج مع برازها من وقت الى آخر، لكن ذلك لم يعتبر مقلقاً. وواصل الدكتور فريدمان التزامه نظرية امكان تصحيح الضرر الناجم عن الالتهاب التنكرزي في المعى والقولون مهما بلغ. والواقع أن اميلي كانت مفعمة بالنشاط والتيقظ بحيث لم تبدُ مريضة.

(١٠) عيد الام في الغرب يصادف الاحد الثاني من شهر مايو (ايار).

هناك تعبير يقول: "وقع عليه الخبر كالصاعقة." وهذا تماماً ما حدث لي عندما دخل الدكتور فريدمان الغرفة فيما كنت واقفة الى جانب اميلي. ومن دون ان يحييني او يسألني "كيف حالك" فاتحني بالموضوع مباشرة. قال: "الآن وقد بات حجم اميلي يسمح باجراء الجراحة، هناك، كما تعرفين، احتمال أن نجد التلف كبيراً."

لم أجد مقعداً أتهاوى فيه. وفكرت في أن ظهيرة السبت تلك هناك لم تكن الزمان ولا المكان المناسبين لتداول مثل هذه المسألة، وخصوصا ان فوكس لم يكن حاضراً. فاقترحت أن نشركه في المناقشة. ووافق الدكتور فريدمان بعد تردد على الاجتماع بنا منتصف الاسبوع اللاحق.

جلست في منزلي صباح اليوم التالي واضعة على ثديي مضخة تستقطر الحليب اللازم لاطعام اميلي. ثم حضرت فنجاناً من الشاي وجلست أقرأ صحيفة الاحد. وحاولت، والمضخة تسحب مني الحليب بقوة، أن أقنع نفسي بأن أحداث العالم هي أهم كثيراً من دراما حياتنا اليومية.

فجأة سمعت فوكس يقول: "صباح الخير."

ثم تقدم مني حاملا خلف ظهره علبة وعلى محياه ابتسامة عريضة لعلمه أنه فاجأني حقاً. قال: "هذه هدية مني ومن اميلي لمناسبة عيد الام. اعاده الله عليك سنين كثيرة.".

حَوَت العلبة ثوباً رائعاً من أحد المتاجر المفضلة لديّ. وكان الثوب أخضر بحرياً، لوني المفضل، ومطبّعاً. وشرح لي فوكس أن "للثوب أزراراً أمامية تسهل عملية الارضاع." وهذا دليل على أنه بات يفكر بتفاؤل. أما الدليل الآخر على تفاؤله فكان قوله إني سأرتدي الثوب "عندما" نُحضر اميلي الى البيت، وليس "اذا" أحضرناها.

حاولتُ جهدي أن أرجىء البحث في حديث الامس الحزين. إلا أني لم ألبث أن قلت لزوجي: "فريدمان يود رؤيتنا معاً صباح الاربعاء." فأصر فوكس على معرفة التفاصيل، لكني لم أقل له سوى أن الطبيب يريد البحث في مسألة الجراحة.

في وقت لاحق من ذلك النهار زرنا اميلي معاً، وضمها فوكس بين ذراعيه للمرة الاولى. أمسكها كما كنت أفعل، بمزيج من الرهبة والحب والخوف. وقال لها بعدما قبلها على جبينها: "أحبك يا اميلي. بابا يحبك."

غمرتنا البهجة، لكننا مع ذلك كنا خائفين. قال فوكس للممرضة: "هناك دم في أنبوبها. وهذا ليس دليلا حسناً."

ذلك صحيح. فالاطباء لم يجدوا بداً من مد أنبوب عبر حلق اميلي لتصريف الافرازات الناجمة عن اصابتها الجرثومية. ومع أن هذه الافرازات كانت مخضرَّة اللون سابقاً فقد بدت اليوم ملطخة بالدم.

تحدثنا الى الطبيب المناوب فقال إن الامر يبعث على القلق. لكنه أضاف: "اعتقد أنه لو كان خطيراً حقاً لحدث باكراً."

كنت مستعدة للتشبث بأي احتمال ايجابي مهما يكن ضئيلا. كان علي التشبث بالامل.

وبعد يومين حدثت مضاعفة أخرى أنذرت بالسوء، لقد بدأت اميلي تخرج دماً عبر المستقيم (آخر الامعاء الغليظة). وأخبرنا الطبيب أن لا فكرة لديه عن سبب النزف، مضيفاً: "من المرجح أن يتوقف النزف تلقائيا. وما علينا سوى الانتظار والمراقبة."

كان ذلك طارئا جللا جعلني أرتعب من مجرد التفكير في ترك إميلي لحظة واحدة. كان عليَّ البقاء الى جانبها مع أني لم أدر ماذا يمكنني فعله لها. وفي الحادية عشرة ليلا، توقف النزف تلقائيا. فعدت الى البيت نزولا عند الحاح الطبيب.

في اليوم التالي قابلنا الدكتور فريدمان وعلمنا منه أن موعد الجراحة حدد في اليوم اللاحق، وأن الدكتور وولف سيُطلعنا على التفاصيل. ثم أخبرنا بأنه واثق، الى حد ما، بأن الامور ستسير حسناً. لكنه أضاف: "علينا مع ذلك ألا نُغفل إمكان اكتشافنا أمراً أكثر خطورة."

وهنا تقدم فوكس مني وضغط يدي محاولا تهدئة مخاوفي. لكني شعرت بتوتر في كل عضلة من جسمي.

قال الدكتور فريدمان: "لا أرجح هذا الاحتمال. فصور الاشعة السينية لم تشر الى ذلك. كما أن اميلي استجابت على نحو جيد جداً، وبثبات. ومع ذلك يبقى احتمال أن نجد المرض متفشياً حين نجري الجراحة."

فان صح ذلك فهو يعني أن الالتهاب التنكرزي في المعى والقولون قضى نهائيا على المسالك المعوية في اميلي.

أضاف الدكتور فريدمان: "في هذه الحال، قد لا يستطيع أي منا مساعدتها بشيء. ولسوف نحتاج اذذاك الى تعليمات منكما بصفتكما والديها."

وتابع الدكتور فريدمان: "من الممكن ابقاء اميلي حيَّة لفترة غير محددة من غير امعاء. ولكن عليكما أن تفهما أننا نتحدث عن أصعب أنماط الحياة اطلاقاً." فقد لا تستطيع اميلي الخروج من عالم محضنها المعقم. كما أنها، وإن ازدادت حجماً، وهذا أمر مشكوك فيه، فقد لا تستطيع المشي ولا الكلام. ولئن أمكن أن تبقى اميلي حية، فممكن أيضاً أن تموت في أي لحظة.

قال الدكتور فريدمان: "الامعاء لا تتجدد. ولا يمكن زرعها."

لم أستطع النظر الى فوكس، ولا هو استطاع النظر الي. وبقيت عيوننا مسمَّرة الى الارض.

وتابع الدكتور فريدمان: "لذلك نريد أن نسألكما عن الاجراءات التي ترغبان في أن نأخذها. فاذا وجدنا الداء متفشيا، فعلينا أن نعلم الى أي حد تريدان أن نكافح لانقاذ اميلي."

في اللحظات العصيبة قبل ولادة اميلي وبعدها، كنت أنا وفوكس تحدثنا عن احتمال كهذا. واتفقنا على أننا لا نريد أن تكون ابنتنا نصراً علميا فارغاً من الامل في حياة طبيعية منتجة. كان رأينا أن الاطفال بشر، وأن الموت حقّ لهم أيضا.

أخيراً تكلم فوكس عن كلينا. قال: "إن صحَّ أسوأ التوقعات وتبين لكم فعلا أن الانسجة كلها ميتة، فاعتقد أنني وزوجتي سنوافق على ترك الامور تسير في مجراها الطبيعي. لا أعتقد أن علينا فرض ارادتنا العلمية أو الطبية على ما كتبه الله."

سرَّني أن يجد فوكس الشجاعة على الكلام. ومع أني وافقت كلياً على حديثه فقد صعب عليّ النطق بهذه الكلمات. أخيراً قلت للطبيب: "أرجوك أن تعدني بألا تعاني اميلي أي ألم أو عذاب مهما حصل."

فرد الدكتور فريدمان: "سنبذل قصارى جهدنا، ونأمل ألا نجد حاجة الى أي شيء من هذا."

* متى حصل ذلك؟ *

عندما وصلنا الى المستشفى صباح الخميس بدت اميلي كأنها مدركة ما يدور حولها. كانت تجيل النظر بعينين واسعتين في أرجاء عالمها الصغير وترمقنا أنا وفوكس بنظرات حادة. كانت منذ البداية طفلة متيقظة على رغم ما أثقلها من أنابيب. أما اليوم فراحت تدير رأسها متتبعة كل ما يدور حولها كأنها رادار.

قال فوكس: "كأنها عالمة بأن ثمة أمراً على وشك الحدوث، لذلك لا تشاء أن تفوتها شاردة ولا واردة."

بذلنا قصارى جهدنا لكي نهدىء من قلقنا. وساعدنا تشجيع الممرضات اللواتي كن عالمات بأن ذلك كان يوم جراحة اميلي. فأحيا هذا الحس الأخوي العارم في نفسي شعوراً لم أختبره قبلا.

علمنا من الدكتور وولف أن جراحة اميلي ستكون الأخيرة ذلك اليوم. وهو توقع اجراءها بعيد الظهر اذا ما سارت الامور وفق البرنامج المحدد في غرفة العمليات. لكننا علمنا ظهراً أن برنامج العمليات لم يسر بحسب مواقيته. وعندما خرج الدكتور فريدمان لابسا بزة الجراحة الخضراء كانت الساعة تجاوزت الرابعة عصراً. قال: "ستستغرق الجراحة نحو ساعتين، لذلك أرى أن تتمشيا خارجا بعض الوقت أو أن تذهبا الى البيت. وسنتصل بكما فور خروج اميلي من غرفة العمليات."

مددنا أيدينا، أنا وفوكس، عبر كوى المحضن متيحين لابنتنا الامساك بأصبع لكل منا. وقلت لها: "أحبك كثيراً يا طفلتي الصغيرة. أنتِ مثل في الشجاعة يقتدى. كم يصعب عليَّ النظر اليك وأنت في هذه الحال. ليتني كنت في مثل شجاعتك."

وعدْنا اميلي أن نكون في انتظارها لدى عودتها الى الجناح «K9» وتمنينا لها حظا سعيداً. ثم وقفنا ملهوفين نراقب الممرضات وهنَّ يدفعن محضنها عبر الممر الى أن دخلن بها المصعد.

خرجت وفوكس الى الحديقة العامة وأخذنا نهرول علَّنا نخفف من وطأة القلق الذي تملكنا. لم نكن قادرين على التركيز أو التحدث الى أي كان، ولا على تبادل الحديث معاً. كما لم نشعر برغبة في الطعام.

عدنا بعد ذلك الى بيتنا. ولم أكد أنتهي من الاغتسال حتى رن جرس الهاتف. فصرخت مبتعدة كأنما الهاتف أفعى سامة، وقلت لفوكس: "رد أنت."

سمعت فوكس يسأل: "ألا تستطيعين إخبارنا شيئا؟"

وما كاد ينتهي من جملته حتى أجهشت في بكاء تعذر علي ضبطه.

قال فوكس: "تلك روبن. يريدون منا الحضور فوراً."

عندما خرجنا من المصعد الى الطبقة التاسعة كانت عقارب الساعة تشير الى الثامنة مساء، وكان الطبيبان وولف وفريدمان متكئين على منصة الاستقبال ومعهما روبن التي بدا منظرها مروِّعا. كانت منهكة العينين وقد سال الكحل على وجنتيها.

قال الدكتور وولف: "أخشى أن الامر هو في منتهى السوء."

فقاطعه الدكتور فريدمان: "مهلا، لنجلس هناك." ثم قادنا الى غرفة استراحة الاطباء.

وهناك تابع الدكتور وولف: "لم نتوقع ابداً مثل هذا الامر. فالمسالك المعوية تالفة برمتها، بل مدمرة كليا. لم نجد أي نسيج حيّ نعمل عليه. حاولنا وصل الاجزاء المتقطعة، لكننا لم نجد أنسجة حية كافية لذلك."

أردتُ سماع كل كلمة قالها الطبيبان. لكني وجدت نفسي أنشج باكية مرتعدة.

قال فوكس: "متى حصل ذلك؟ متى حلّ كل هذا الضرر؟"

فأجاب الدكتور فريدمان: "لا نعرف لذلك جوابا. لقد أخضعنا اميلي للعلاج بالمضادات الحيوية فور ارتيابنا في اصابتها بالتهاب التنكرزي في المعى والقولون. وكان من شأن ذلك أن يوقف المرض في حينه، وربما فعل. كما أخذنا لها صوراً بالاشعة يوميا، فلم يتبين لنا شيء من هذا."

وتابع الدكتور وولف: "في هذا المدى من الضرر لم يكن معقولا أن تستجيب اميلي وتنمو وتزداد وزناً كما فعلت. كان مفترضا أن تبدو أكثر مرضا."

فسأله فوكس: "كم من العمر تبقى لها؟"

فأجاب الدكتور فريدمان: "لا يمكن التكهن بذلك. ولكن، في حال كهذه، يحدث الموت عادة خلال فترة تراوح بين ٢٤ و٤٨ ساعة."

لبست وفوكس رداء المستشفى المعقم ومشينا عبر الممر الى وحدة العناية المركزة للمواليد. وكان الطبيبان حذرانا من أن أميلي ستبدو مشلولة بفعل أحد العقاقير التي استُعملت في الجراحة. وقد وجدتُها متصلبة الجسم جامدة لا تتحرك، فرحت أبكي لحظة وقع نظري عليها.

بكى فوكس أيضاً. ولم تنفع كل المحاولات التي بذلناها سابقاً لتحضير أنفسنا لهذا الاحتمال. والواقع أن لا شيء كان ليحضّرنا لمرأى ابنتنا هكذا ولمعرفة أنها ستموت قريباً.

كانت اميلي خدرة وبدت عاجزة عن أي اتصال. لكني كنت قرأت في كتاب ما أن مرضى ما بعد الجراحة يسمعون.

ناديتها عبر كوة الحاضن: "اميلي، أنا ماما. ماما وبابا هنا. نحن نحبك كثيراً، ونحن فخوران بك. فخوران بشجاعتك، ومحظوظان بأن نكون والديك."

ثم خاطبها فوكس بصوت متهدج: "يا فتاتي، أنتِ مبعث شجاعتنا."

جلسنا مع اميلي ساعات نحدثها حيناً ونحدق اليها أحياناً. نسينا الانابيب وكيس الغائط المعلق ببطنها. فهي، بالنسبة الينا، ما زالت جميلة جداً، وشجاعة جداً جداً.

* حديث أب *

اجتازت اميلي عطلة نهاية الاسبوع على رغم توقعات الطبيب، وكأنها تلقننا درساً ألا نسلّم جدلا بأي أمر، وألا نفوّت شيئاً، لا لفتة ولا نشقة ولا شدّة يد صغيرة.

عاملتني لسلي بلطف بالغ، وسمحت لي بأن أساعدها في تمريض اميلي. وكانت، في ما عدا اعطاء الدواء، تتيح لي مشاركتها في معظم الاجراءات الأخرى وتحضّني على لمس اميلي والتحدث اليها. كانت لا تجد أي غرابة في انصرافي الى التحدث مطولاً الى ابنتي على رغم كونها خدرة لا تعي شيئاً.

بدأت اميلي تنتفخ بفعل احتباس السوائل في جسمها. أخبرتُ لسلي بقلقي من أن ينكشط جلدها بفعل الملاءات الخشنة. فأومأت برأسها، ثم غابت لحظات عادت بعدها ومعها لفة من نسيج صوفي.

رفعنا طفلتنا الضعيفة بعناية فائقة ومددناها على الدثار الناعم. ولم أكد أنتهي من ذلك حتى انهمرت دموعي لمشهد اميلي التي بدت، أكثر من أي وقت مضى، مثل ملاك صغير يطفو فوق السحاب.

موسوعة الدحداح في علم العربيّة



١ ـ معجم قواعد اللّغة العربيّة في جداول ولوحات

٢ ـ معجم مصطلحات الإعراب والبناء في قواعد العربيّة العالميّة (عربيّ ـ فرنسيّ) (فرنسيّ ـ عربيّ)

٣ ـ معجم مصطلحات الإعراب والبناء في قواعد العربيّة العالميّة (عربيّ ـ إنكليزيّ) (إنكليزيّ ـ عربيّ)

٤ ـ معجم قواعد العربيّة العالميّة (عربيّ ـ عربيّ)

٥ ـ معجم قواعد العربيّة العالميّة (عربيّ ـ فرنسيّ)

٦ ـ معجم قواعد العربيّة العالميّة (عربيّ ـ إنكليزيّ)

٧ ـ معجم تصريف الأفعال العربيّة

٨ ـ معجم تصريف الأفعال العربيّة (الوسيط) ـ يصدر قريبًا ـ

٩ ـ معجم لغة النّحو العربيّ (عربيّ ـ عربيّ)

١٠ ـ معجم لغة النّحو العربيّ (عربيّ ـ إنكليزيّ) ـ يصدر قريبًا ـ

١١ ـ معجم لغة النّحو العربيّ (عربيّ ـ فرنسيّ) ـ يصدر قريبًا ـ

١٢ ـ معجم لغة النّحو العربيّ (الوجيز) ـ يصدر قريبًا ـ

السّفير
أنطوان الدّحداح
مكتبة لبنان

تباع في جميع المكتبات

لم يجد الاصدقاء والاقرباء والاطباء والممرضات كلاماً يشدون به من أزري أو يخففون من عذابي. أما السيدة دياز، شريكتي القديمة في الأمل والصبر، فأمسكت يدي ببساطة من دون أن تنبس بكلمة. فالكلام لم يعد ضرورياً بعد ما عانيناه معاً.

أدركتْ لسلي مدى توقي الى ضم اميلي وتدليلها والتعبير لها عن مدى حبي وتقديري لشجاعتها. فعمدت صباح الاثنين الى رفع غطاء المحضن. وكانت الانابيب ما زالت موصولة الى اميلي التي تضاعف حجمها بسبب الاستقساء.

سحبت لسلي الدثار خارجاً لكي تسهل عليّ لمس ابنتي. واذ نظرت اليها رأيتها تحرك أصابع قدمها وتحاول جاهدة أن تفتح عينيها. ثم رأيت عينيها تجولان تحت بشرتها الشفافة كأنهما تحاولان اجبار الجفون على الانفتاح.

وبإذن من لسلي قبلت اميلي على جبينها مرة تلو مرة نيابة عن والدها وعن جدتها.

عندما دخل فوكس الغرفة ووجدنا في هذه الحال، تناول كرسيا جلس فيه ثم مد يده لكي تمسكها اميلي. وبقينا هكذا، دونما حراك، الى أن تنحنحت لسلي وراءنا وقالت: "سأخرج لبضع دقائق. لكن ثمة أمراً قد تريدان التفكير فيه. قد تريدان التحدث الى اميلي والسماح لها بالذهاب. فهي، وإن بدا الامر غريباً، قد تكون في انتظار ذلك. قد تكون في حاجة الى سماعه منكما."

في وقت لاحق من عصر ذلك اليوم مشيت وفوكس خارجاً. وبعد مداولة قصيرة قررنا الأخذ بنصيحة لسلي.

كانت وحدة العناية المركزة خالية لدى عودتنا، وهذا أمر نادر. فاقترب فوكس من حاضن اميلي وفتح الكوة، ثم بدأ التحدث اليها.

قال فوكس: "اميلي، يا صغيرتي، هذا بابا. أحبك كثيراً. وماما تحبك. انها تحبك الى حد لا يمكنك تصوره. فأنتِ دنياها يا اميلي. انها تحبك كثيراً، وكذلك أنا.

"اميلي، لم نرَ في حياتنا أحداً يبذل مثل جهدك أو يكافح مثلك. لقد جعلتنا فخورين بك. فأنت لم تقبلي الاستسلام أبداً. وأتحتِ لنا أن نعرفك كشخص وكابنة ستبقى دائماً في قلبينا. يا إلهي، كم نحن محظوظان بأن نكون والديك!

"ولكن، أرجو يا اميلي أن تصغي إليّ بانتباه. لقد آن لكِ أن ترفعي عنك هذا الحمل. فليس عليك بعد اليوم مواصلة الصراع والكفاح. فلئن أردت الذهاب يا اميلي، فهذا حسن، ولا مانع لدينا من عبورك الجسر."

كان يبكي وهو يحدثها. وقد أدخل كل منا يداً في محضنها فأمسكت هي بأصبع في كل يد وتشبثت، وتشبثت.

عاشت اميلي ٥٣ يوماً كان آخرها الثلاثاء في ١٧ مايو (أيار)، وقد شعرت بذلك لحظة دخولي الجناح «K9» .

قالت لسلي: "كالمت السيد فوكس. انه قادم."

توفيت اميلي الساعة ١٠،٥٣ صباحاً. في تلك اللحظة كنت وفوكس نمسك يديها. أحسسناها تتلوى، ثم شعرنا بأن حركتها توقفت.

* سام *

وارينا اميلي الثرى يوم الاحد في بقعة قريبة من منزل آل بترفيلد في مساتشوستس. وقد اخترنا لها أيكة صغيرة تحت شجرة وارفة تتوسط مدفني والديْ فوكس. مشينا، أنا وفوكس وايثان وسارة ووالدتي، في موكب غريب وسط الغابة الكثيفة وصولاً الى البقعة المختارة. كان النهار بارداً والسماء ملبدة بالغيوم. وحين رأتني أمي ألفّ نعش اميلي بحرام قالت لي: "أنتِ لا تودين أن يصيبها برد."

وعندما بلغنا الفسحة حيث الشجرة المقصودة شرع فوكس وايثان (١١ عاما) وسارة (٨ أعوام) في الحفر بالمجارف. وبدا ايثان مهتماً بتحديد المسافات الفاصلة بين قبر اميلي وقبري جدَّيها. وقال لي: "هنا يرقد جدي وجدتي. والآن ترقد اميلي. ويوما ما سترقدين أنتِ وأبي هنا، ثم سارة وأنا. ويوما ما..." – وهنا أشرق وجهه للفكرة – "يوماً ما سيكتظ هذا المكان بآل بترفيلد."

تلَوْتُ صلاة قصيرة كانت في الحقيقة رسالة شكر الى اميلي لشجاعتها ونبلها ووعداً بأنها ستبقى في حياتنا الى الأبد. وقرأ فوكس قصيدة ادغار آلن بو "أنابل لي" بعدما بدل عنوانها ليصبح "اميلي لي." ثم أنشدنا معاً الاغنية التي وعدتُ اميلي بأن أعزفها في زفافها. وقفنا في الغابة نغني لاميلي وأيدينا متماسكة: "أنتِ شمسي، شمسي الوحيدة..."

بعد يومين عدت وأمي الى الغابة لنزرع الزهور على مثوى اميلي. كانت السماء صافية زرقاء، لكننا ما ان انحنينا للزرع حتى أعتمت فجأة. واذ تطلعنا الى أعلى رأينا السماء ما زالت صافية إلا من بقعة دائرية فوق الفسحة الصغيرة التي ضمت رفات اميلي. وما هي الا لحظات حتى شعرنا بقطرات مطر.

زرعنا الزهور بصمت، ولم يهدأ لنا بال حتى غطينا مثوى اميلي بدثار من أزهار "لا تَنْسَني" الزرقاء الفاتحة. ومشينا يداً بيد عبر الغابة الى البحر القريب. وعندما تطلعنا الى أعلى وجدنا أن الغيوم انقشعت، ورأينا في أعلى التلة الى جهة البيت قوس قزح. وتراءت لي فيه صورة اميلي مبتسمة.

استتبع موت اميلي فراغ لا يوصف. شعرت كأن جزءاً مني ذهب معها. بكيت في فراشي. بكيت في المطبخ. بكيت في الحديقة. بكيت في السيارة. وكنت أزورها كثيراً، وأبكي هناك أيضاً.

أردت الموت. وبدا لي أن ذلك هو أقل ما أفعله لطفلتي الصغيرة.

أما فوكس فكان قلبه ينفطر حزناً. فهو فقد ابنته، وها هو يفقد زوجته أيضاً.

أدركت أني لن أجد بديلا من اميلي. اشتقت اليها بكل ذرة من كياني. بيد أني، في الحقيقة، كنت أود إنجاب طفل آخر. وهذا ما حيَّر فوكس. فهو عرف رغبتي الجامحة في أن أصبح أماً، لكنه كان مرتاعاً. فماذا لو تكرر ما حدث؟ ماذا سيحل بنا اذذاك؟

ذات يوم جمع فوكس عزيمته وتصميمه وقال لي ونحن جالسان على الأريكة نقرأ صحيفة الاحد: "لماذا لا نتبنى طفلا؟"



اليزابيث وفوكس بترفيلد وابنهما سام.

كان على علم بأني عملت خلال دراستي الثانوية في مؤسسة للايتام، وبأني كنت أبتهج كلما تبنّى أحدهم طفلا. وكنت أقول دائما إن المرء اذا شاء أن يتبنى طفلا فلن يهمه أصله، فالمهم هو أن يحصل على الطفل ويحبه مقدار ما يستطيع.

لكني عندما سمعت اقتراح فوكس صرخت فيه بغضب الأم التي تتملكها رغبة جامحة في أن يكون لها طفل من صلبها: "هكذا؟ لا يمكنني انجاب طفل، وتريدني أن أنال جائزة ترضية؟"

فلم يعد فوكس الى فتح الموضوع ثانية.

أجرينا تغييرات رئيسية في حياتنا. فانتقلنا الى نيو انغلند لكي نكون على مقربة من ايثان وسارة. واشترينا بيتاً، واقتنينا كلباً. ومضى الوقت. ولم يبرأ الألم الذي سببه لي موت اميلي، لكنه خف قليلا.

حل عيد مولد اميلي الاول. كانت الارض ما زالت مكسوة ببعض الثلج والجليد لتلبُّث فصل الشتاء. فمشينا بحذر الى الغابة. وعندما بلغنا الضريح وقفت بإجلال استعرض ذكراها العزيزة على قلبي. ثم قلت: "هيا نصلِّ لاميلي، لطفلتنا الجميلة التي وُلدت قبل سنة وعاشت ٥٣ يوماً فقط."

بعد الصلاة ووضع الزهور وجدتني أقول: "فوكس، اعتقد أني بتُّ على استعداد لتبني طفل."

PHOTO: © GEORGE LORING

تداولنا الامر مطولا، وشعرت بالسكينة تغمر كياني. فتلك كانت المرة الاولى نتحدث بصراحة بعد أشهر المعاناة الطويلة.

وعلى رغم ذلك سمعت في أعماقي صوتا ما انفك يردد: "حاولي مرة أخرى. أنجبي طفلا من صلبك."

فاستشرنا طبيبا اختصاصيا خرجنا من عنده بمجموعة جديدة من التعليمات والعلاجات. وهو أخبرنا بأن لا أمل كبيراً، ومع ذلك تلاشى اليأس الذي لازمني طويلا، اذ تأكد لي أني لا بد حاصلة على طفل، بالتبني أو بالانجاب.

سألتُ الطبيب اجراء فحص الحمل مرتين. وعندما جاءت النتيجة ايجابية كدت لا أصدق حسن طالعي.

تملكني القلق خلال فترة الحمل، اذ كنت في كل لحظة أتوقع حصول الاسوأ. كان كل أسبوع يمر كمعلم فاصل في حياتي. وعندما اجتزت أسبوعي الـ٢٥ تنفسنا الصعداء، أنا وفوكس والطبيب. وقد فاجأ ابننا سام الجميع حين وُلد في أوانه.

يبتسم سام كثيراً ويضحك باعثا الفرح في قلوب من حوله. وهو صحيح الجسم قويُّه. ونشعر بأن نعمة كبرى حلت علينا. ولا نزال نستوحي من اميلي دروسا وعبراً. ونحاول ألا نضيِّع لحظة. كل يوم نقضيه مع سام يمدنا بفرح لا يوصف.

أُحب وسام أن نمشي معا مسافات طويلة نمتع النظر بمرأى الاشجار والطيور والزهور. وسيأتي يوم نتطلع فيه الى فوق فنرى قوس قزح، فأقول لسام: "هذه أختك، هذه اميلي يا سام."

اليزابيث مهرن بترفيلد ■

ترجمة فريد شديد

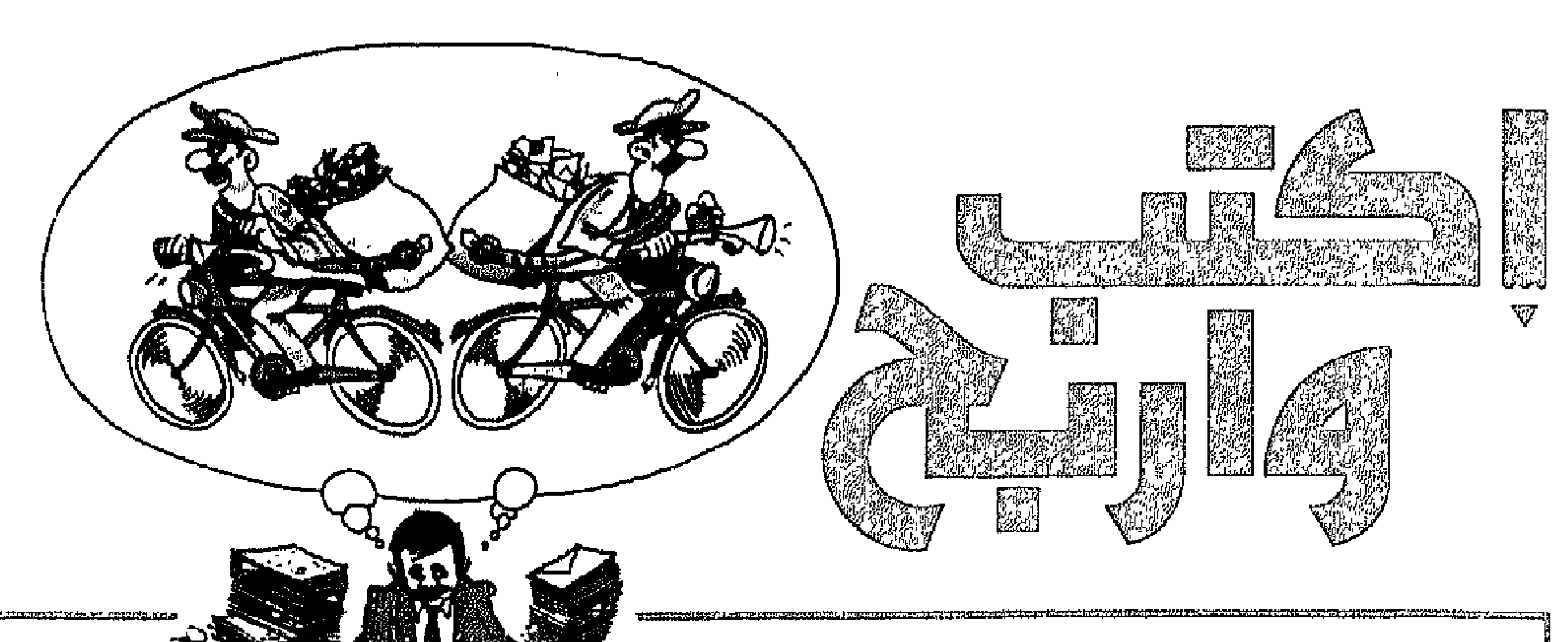


لكل امرىء خياره

نشأ الممثل المكسيكي الأمريكي ادوارد جايمس أولموس فقيراً في شرق مدينة لوس انجلس. وتألّفت عائلته من أحد عشر فرداً يتقاسمون ثلاث غرف بينها مطبخ بأرض ترابية. وكان لا يزال في السابعة من عمره حين انفصل والداه. وهو اليوم مهتمّ بزيارة الأحداث المساجين.

يقول: "أُخبرهم أن كلّا منّا يحظى بخيار في الحياة. فيقول بعضهم إنهم لم يملكوا خياراً، فهم إما فقراء وإما سود البشرة وإما معاقون وإما بلا أهل. لا شك في أن أسباباً كهذه تعوق التقدّم في الحياة. ولكن ماذا لو قلتم في أنفسكم: حسناً، هذه حالي، لكني لن أدع حياتي تتعثّر بسببها، بل سأجعل منها حافزاً يقويني ويدفعني الى الأمام. وهذا ما فعلته أنا."

ت.س.



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

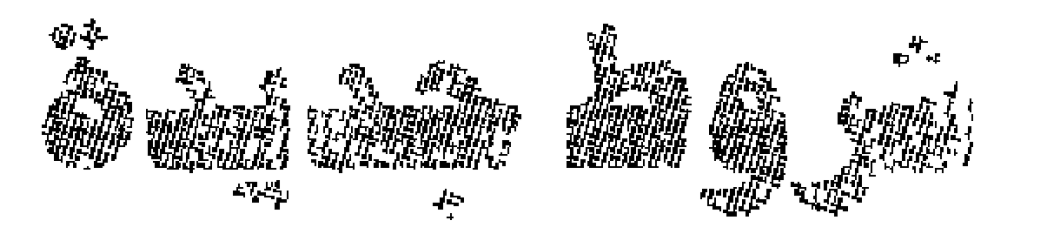
صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

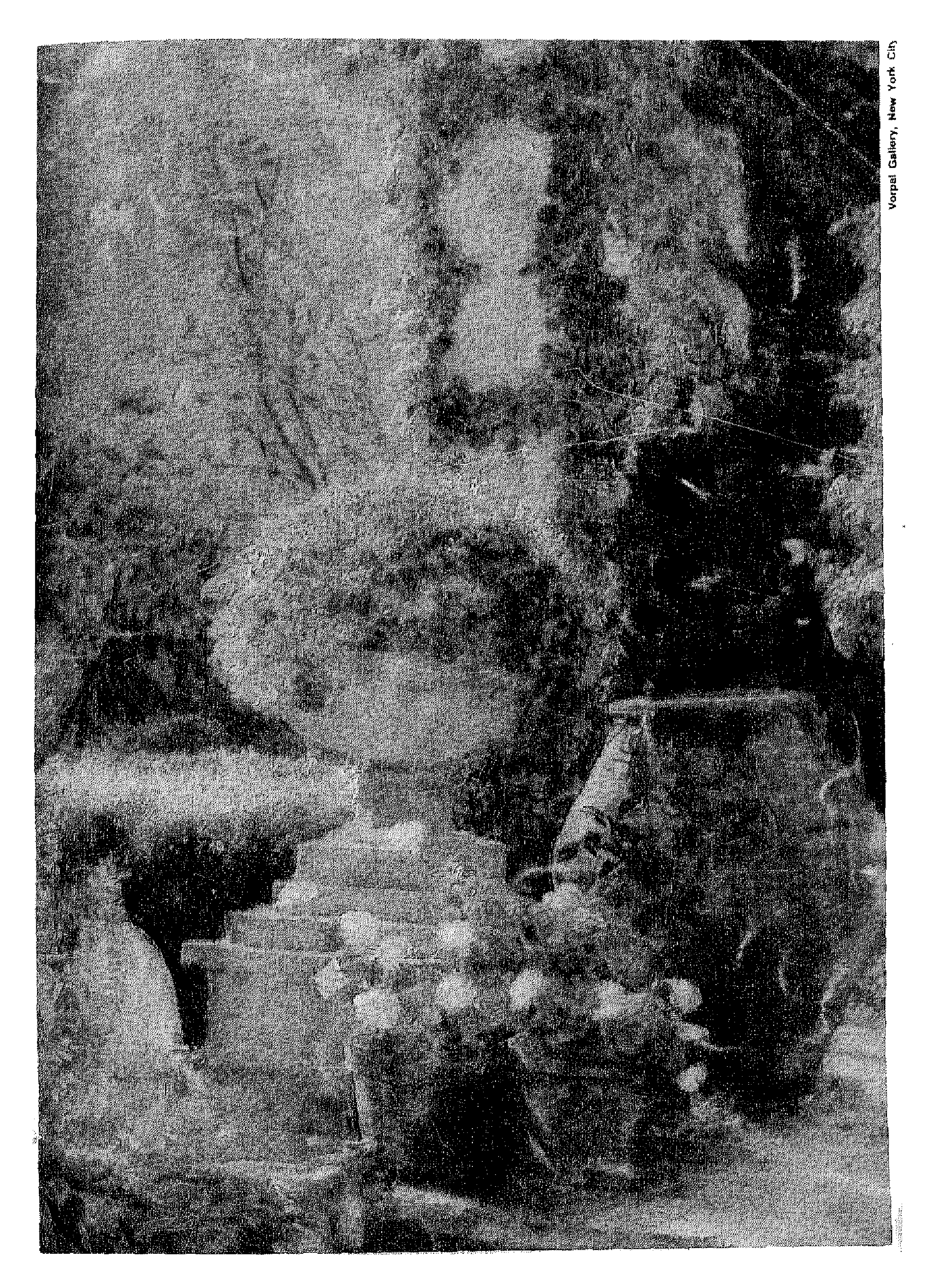
الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٣٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.



- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت. شارع المقدسي. بناية الشرتوني. ص.ب ٨٧٠٧ لبنان



Vorpal Gallery, New York City

"ركن مشمس في حديقة ايطالية" - زيتية للفنان البلجيكي بيات بيكارت، ١٩٨٨.